الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم

كلية الأدب العربي

قسم الأدب العربي

التخصص: دراسات بلاغية معاصرة الشعبة: دراسات لغوية

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة والأدب العربي

موسومة بـــ:

الشّاهد البلاغي بين الاتّباع والابتداع

- دراسة في ضوابط الاحتجاج لدى المعاصرين -

من إعداد: تحت إشراف الأستاذ الدكتور:

منور عمّار د. جاول بوطيبة

لجنة المناقشة

الإسم واللقب	الدرجة العلمية	الصفة	الجامعة الأصلية
بن عائشة حسين	أستاذ محاضر -أ-	رئيسا	جامعة مستغانم
بوطيبة جلول	أستاذ محاضر -أ-	مشرفا ومقرّرا	جامعة مستغانم
غول شهرزاد	أستاذ محاضر -أ-	عضوا مناقشا	جامعة مستغانم
دحماني نور الدين	أستاذ محاضر -أ-	عضوا مناقشا	جامعة مستغانم
حاج هني محمد	أستاذ التعليم العالي	عضوا مناقشا	جامعة شلف
عثماني عمار	أستاذ محاضر -أ-	عضوا مناقشا	جامعة غليزان

السنة الجامعية: 1441 هـ – 1442 هـ // 2020م / 2021م

بسم الله الرحمن الرحيم

" وقد كان الرَّجُلُ من العرب فيرسلُ عدَّة أمثالٍ سائرة، ولم يكن النَّاسُ جميعاً ليتمثلوا بها إلا لما فيها من المرفق والانتفاع. ومدار العِلم على الشّاهِدِ والمَثل"

أبو عثمان بن بحر الجاحظ (ت 255هـ)، البيان والتّبيّين، ج1، ص 271.

الإهداء

أهدي ثمرة جهدي وعملي إلى:

من قال في شأنهما الله عزّ وجلّ :

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ٢٣﴾ **[الإسراء: 23]**

- والديّ الكريمين رحمهما الله -

اللّذان سهرا من أجلي وبذلا كلّ ما في وسعهما لأصل إلى مبتغاي

كما لا أنسى إخوتي وأخواتي حفظهم الله ورعاهم

كما أهدي هذا العمل لكل من قدم لي يد المساعدة

في إتمامه، ولو بالكلمة الطيبة.

كلمة شكر

الحمد لله الّذي بنعمته تتم الصّالحات والصّلاة والسّلام على رسوله الكريم ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدّين.

بادئا أشكر وأحمد ربّ العباد العلي القدير شكرا جزيلا طيّبا مباركا فيه الذي أنارنا بالعلم وزيننا بالحلم، وأكرمنا بالتقوى، وأنعم علينا بالعافية، وأنار طريقنا ويسّر ووفّق وأعان في إتمام هذه الرسالة فله الحمد والشكر وهو المستعان.

وعرفانا بالمساعدات التي قدمت حتى يخرج هذا العمل إلى النور أتقدم بجزيل الشّكر والتّقدير والعرفان للدكتور جلول بوطيبة الّذي قبل الإشراف على هذه الرسالة، فله أخلص تحية وأعظم تقدير على كل ما قدّمه لي من توجيهات وإرشادات، وكل ما خصني به من جهد ووقت طوال إشرافه على هذه الرسالة، كما لا أنسى أستاذي الفاضل الدكتور نور الدين دحماني الّذي لم يبخل يوما بالنصح والإرشاد، وحمل معنا مشقة إتمام هذا العمل، فله مني تحية شكر وعرفان وتقدير.

وشكري موصول كذلك لكل من :

السّادة أعضاء لجنة المناقشة الذين تفضلوا بالموافقة للحكم على هذه الرسالة وخصّص كل منهم وقتا لقراءتها وتقييمها، وكل أساتذة جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم.

كما أتوجه بالامتنان لزملائي طلبة الدكتوراه: بلحاج منتصر، بن عمارة محمد، عمور عبد القادر، بن قناب سعاد، ناسي منى الّذين كانوا لي إخوة طيلة سنوات الدكتوراه،

إلى كل هؤلاء أقول شكرا جزيلا...

" وما توفيقي إلا بالله "

مقـــــدمـــــة

مقدمـــــة

إنّ علم البلاغة العربيّة من العلوم ذات المقاصد النّبيلة، وموضِعها من العلوم العربيّة موضع الرّأس من الإنسان أو اليتيمة من قلائد العقيان، فلا فضيلة لكلام على كلام ولا متكلّم على متكلّم إلاّ بما يملكه هذا المتكلّم من لطائف لغويّة وما يُودِعه فيها من مزايا ، وبما يحوقه من وشيّها، ويلفظه من درّها، ولا يتأتى له هذا إلاّ بتعلم البلاغة والرّجوع إلى شواهدها، ومعلوم أن البلاغة العربيّة نشأت في أحضان البيئة الدّينيّة، ومرّت بمراحل زمنيّة مختلفة، فحمل علماؤنا الأجلاء عبرها عبء البحث، والتّأصيل، والتّقسيم لمباحثها، وذلك لفهم إعجاز القرآن الكريم، وخلال هذه الرّحلة الطّويلة كان للشّاهد البلاغي الأثر الواضح في البناء البلاغي الثّلاثي الّذي عُرف فيما بعد مع ثلّة من العلماء، وعلى رأسهم الجاحظ، وعبد القاهر الجرجاني، والسّكاكي، وقد عرفت البلاغة العربيّة عدة قضايا كان للشّاهد الدّور البارز في تحريكها، فكان حجّة المتكلمين وسوطهم الّذي لا يُقهر، والتّفاضل بين العلماء كان في حسن استخدامهم للشّواهد، لتظهر قضايا أخرى مع البلاغيين المعاصرين لتتداخل عدة عوامل في استدعاء الشّاهد عند المعاصرين، فكانت العملية الانتقائية دليل على سعة اطلاع الباحث وحسن تذوقه، وتنوعت وظائف الشّاهد البلاغي عندهم.

استطاع أساطين البلاغة العربيّة أن يؤسسوا لعلم جليل فنالوا الشّرف، وتبوؤوا المنزلة الرّفيعة، ونالوا فضل الذكر والشّكر، واستفادوا من الشّاهد البلاغي في دراساتهم، فراوحوا بين الاتّباع والابتداع في استخدامهم له، وتفننوا في اقتناء الشّواهد البلاغيّة وبخاصة الشّعرية، وزادهم باب التّوسع المتاح في استخدام الشّاهد البلاغي غير المقيد بالإطار الزمكاني في الاستفادة من الشّواهد المختلفة ليقتحم النّثر – السّرد– مجال الشّاهد مع البلاغيين المعاصرين بالإضافة إلى الشّعر الحر الّذي يعدّ سمة الشّعراء المعاصرين.

وعلى الرّغم من هذا الزّخم في الشّواهد البلاغيّة، وباب التّوسع المتاح في الدّراسات البلاغيّة إلّا أن هذا لم يمنع المعاصرين من استخدام الشّواهد التّراثيّة، فنجدهم إتباعيين بنسبة كبيرة، أما الابتداع فيكون

حاضرا في بعض الدّراسات المعاصرة، وحتّى البحوث المتعلقة بالتّجديد البلاغي لا تستطيع الوقوف على ساعديها إلّا من خلال التّراث الّذي يعتبر الأساس والأصل فهو بمثابة الجذور الممتدة في الأرض، وهذا هو حال الدّراسات المعاصرة الّتي لا تقف إلى من خلال الاستناد على التّراث، وأمر التّجديد ليس شيئًا حديثًا، فمنذ القرن الثالث الهجري دعا ابن قتيبة إلى التجديد، وهذا ما يدفعنا في هذا البحث إلى الدعوة للتّجديد في الشّواهد البلاغيّة، وتفادي تكرار الشّواهد في كتب البلاغيين المعاصرين، ولكن من واجبنا صيانة التّراث البلاغي، والعمل على تداوله وازدهاره، فيجب العمل على تجديده وتطويره بما يُرغِّب في الإقبال عليه.

وعلى ضوء ما تقدم جاء هذا البحث موسوما بـ:

الشّاهد البلاغي بين الاتّباع والابتداع

دراسة في ضوابط الاحتجاج لدى المعاصرين

كمحاولة منّا للكشف عن الشّاهد البلاغي وضوابط الاحتجاج به عند المعاصرين.

- **أهمية الموضوع**

وبالنظر إلى ما سبق بيانه، يكتسي الموضوع أهمية كبيرة في الدراسات البلاغية، فقد حظي موضوع الشّاهد بعناية فائقة لدى العلماء القدامى والمحدثين، فهو يعدّ من الأدلة على إثبات القواعد وتوضيحها، وبه تقوم الحجة، وبالتّالي الرد على المعارضين، وغير ذلك من المقاصد السّامية في الاستشهاد، وبما أنّ قضيّة التّجديد في البلاغة محل نقاش وجدال، فعلينا أيضا أن نهتم بالتّجديد في الشّواهد البلاغيّة دون التّخلي عن الشّواهد التّراثية لما فيها من حمولة إبلاغية، ولكن يجب أن نختار الشّواهد المبتدعة الّتي تخدم الدّرس البلاغي وتنهض به حتّى وإن كانت شواهدًا جديدة لشعراء أو أدباء معاصرين.

مقـدمـــــة

- **إشكاليّة البحث**: إنّ من واجبنا البحث في تراثنا والعمل على تثمين جهود علمائنا الأجلاء، وتقدير جهود المعاصرين الّذين يتقاطعون مع القدامى في نقطة مشتركة ألّا وهي خدمة اللّغة العربية، ومعلوم أنّ أي بحث لا ينطلق من فراغ إنما هو فكرة تتبلور، لترسم لنا إشكاليّة، فتعلن عن ميلاد دراسة جديدة، وقد كانت تساؤلات هذه الدّراسة على النّحو الآتي:

- **ما ضوابط الاحتجاج بالشاهد البلاغي لدى البلاغيين المعاصرين؟**

- أاعتمد الباحثون المعاصرون على شواهد جديدة أم أنهم استعلموا الشواهد التراثية التي سبقهم إليها القدامى؟
- ما موقف البلاغيين المعاصرين من الشواهد المبتدعة؟

وقد كانت هناك عدة دوافع حفّزتني على خوض غمار هذا البحث في قضيّة الشاهد تمثلت في:

- رغبتي في دراسة الشواهد البلاغية لما لها من مكانة لا يستهان بها في المصنفات الأدبية التراثية والحديثة.
- محاولة اكتشاف إن كان لا يزال البلاغيون المعاصرون يعتمدون على الشّواهد البلاغيّة التّراثية أم أنهم تجاوزوا ذلك وصاروا يعتمدون على شواهد مبتدعة.
- الميل إلى البحث البلاغي لشرف منزلته بين علوم اللّغة.
- محاولة معرفة الضوابط الّتي احتكم إليها البلاغيون المعاصرون في استدعائهم للشّواهد البلاغيّة بغية الاحتجاج بها.
- ندرة الدراسات البلاغية الحديثة التي تناولت قضايا الشّاهد البلاغي.

مقدمــــــة

- الدّوافع والمسببات الّتي دعت البلاغيين المعاصرين لإتباع أسلافهم في الاحتجاج بالشّواهد التّراثيّة.

- معرفة إلى أيّ مدى اعتمد البلاغيون المعاصرون على الشّواهد المبتدعة، وهل هذا الاعتماد بُني من منطلق اللّغة المعيارية أو من منطلق المستوى الإبلاغي القائم على الإقناع والتّأثير.

وتقتضي الأمانة العلمية منّا إلى نبين أن هناك دراسات سابقة لامست بعض جوانب الموضوع وأهدافه ينبغي الإشارة إليها كالآتي:

✓ الإبلاغية في الشّاهد البلاغي (دراسة وتحليل)، نادر عبد الرحمن مُحَّد الوقفي.

✓ الشّاهد الشّعري في تفسير القرآن الكريم، عبد الرحمان بن معاضة الشّهري.

✓ البلاغة العربيّة بوجهة جديدة قراءة في الشّاهد، مُحَّد مسعد.

واعتمدنا على جملة من المصادر والمراجع قصد تحقيق الغاية، نوجزها فيما يلي :

✓ البيان والتبيين للجاحظ

✓ دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة للجرجاني

✓ الصناعتين للعسكري

✓ البلاغة العربية قراءة أخرى لمحمد عبد المطلب

✓ البلاغة العربية أصولها وامتداداتها للعمري

✓ البلاغة تطور وتاريخ لشوقي ضيف

- ✓ البلاغة والتطبيق لأحمد مطلوب
- ✓ إعجاز القرآن والبلاغة النّبوية لمصطفى صادق الرافعي
- ✓ البلاغة والأصول دراسة في أسس التّفكير البلاغي نموذج ابن جني لمحمد مشبال
- ✓ البلاغة العربية بين الإقناع والإمتاع مسعود بودوخة

وفي محاولة لاثراء ومعالجة هذه القضايا المتصلة بالإشكالية التي ينبنى عليها موضوعنا، ارتأينا أن نقسم بحثنا هذا إلى ثلاثة فصول تتصدرهم مقدمة ومدخل:

- **مقدمة**: وضحنا فيها الأطر العامة لبحثنا، فتناولنا فيها أهمية الشّاهد في التّأسيس البلاغي، وتأثر اللّاحق بالسّابق فتراوح العمل البلاغي بين الإتباع والابتداع في مسألة الشّاهد رغم توسع حقل الشّواهد في البلاغة العربيّة. مع ذكر أهم المصادر والمراجع الّتي رسمت لنا معالم البحث وذللت لنا الصعوبات

- **مدخل**: مهدنا فيه لموضوع الدراسة، فتعرضنا فيه لمفهوم الشّاهد لغة واصطلاحا، ووقفنا على مختلف المصطلحات الّتي تدخل في حقله المعجمي من مثل الحجة والبيان والبرهان والدّليل والمثل والمثال وحاولنا رسم الفروق بين هذه المصطلحات الّتي تتداخل إلى حدّ لا يمكن التّفريق بينها في بعض الحالات.

- **الفصل الأول**: عنوناه بـ: الشّاهد البلاغي عند البلاغيين القدامى، حاولنا أن نعالج فيه أهم قضايا الشّاهد البلاغي عند القدامى والعوامل المتدخلة في عملية استدعائه، وقد ارتأينا تقسيم هذا الفصل إلى المباحث التالية:

مقـدمــــــة

المبحث الأول: "المهاد التّاريخي للشّاهد البلاغي"، خصصناه للحديث عن نشأة الشّاهد في الحقل البلاغي منذ البدايات الأولى الّتي كانت فيها البلاغة على صلّة وثيقة بالنّقد، إلى غاية استواء البلاغة على يد السّكاكي.

أما المبحث الثاني فوسمناه بـ " قضايا الشّاهد البلاغي عند البلاغيين القدامى" وقد عُني بالحديث عن أهم القضايا البلاغيّة عند القدامى، والأثر الواضح للشّاهد في توجهيها وفي عملية إثارتها وتحريكها، لنعرج على المبحث الثّالث الّذي عنوناه بـ " عوامل استدعاء الشّاهد البلاغي عند البلاغيين القدامى"، وتناولنا فيه مختلف العوامل الّتي تتدخل في عمليّة استدعاء الشّاهد البلاغي.

الفصل الثاني: الموسوم بـ"الشاهد البلاغي عند البلاغيين المعاصرين"، وقد قسمناه إلى مباحث فرعية هي:

المبحث الأول بعنوان "قضايا الشّاهد البلاغي عند المعاصرين"، تطرقنا فيه إلى مختلف القضايا البلاغيّة عند المعاصرين مقارنة بالقدامى، وحاولنا الوقوف على القضايا الجديدة ومدى إسهام الشّاهد البلاغي في التّأسيس لهذه القضايا. أما المبحث الثاني فقد عرجنا فيه على دوافع الاحتجاج بالشّاهد البلاغي عند المعاصرين محاولين المقارنة بينها وبين دوافع القدامى، أما المبحث الثّالث فتعرضنا لوظائف الشّاهد البلاغي عند المعاصرين.

الفصل الثالث المعنون بـ"الشّاهد البلاغي عند المشارقة" وقد قسمته إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تطرقت فيه لقضايا" لمعايير انتقاء الشّاهد البلاغي عند مُحَمَّد عبد المطلب"، وقد تناولنا فيه قضية انتقاء الشّاهد عند مُحَمَّد عبد المطلب من خلال كتابه (البلاغة العربيّة قراءة أخرى)، أما المبحث الثّاني فقد تعرضنا فيه لمنهج التعامل مع الشّاهد الشّعري عند مُحَمَّد عبد المطلب.

بينما المبحث الثّالث: عنون بـ " ضوابط الاحتجاج بالشّاهد البلاغي عند أحمد مطلوب"، وحاولنا فيه الوقوف على أهم الضّوابط المعتمدة من قبل أحمد مطلوب في احتجاجه بالشّاهد البلاغي من خلال كتابه (البلاغة والتّطبيق).

- **الخاتمة**: خلصنا إلى خاتمة عرضنا فيها أهم النتائج والأحكام المتمخضة عن هذا البحث. وبعدها أضفت ملاحق لهذا البحث رصدت فيها الآيات القرآنية والأبيات الشعرية الورادة في متن الأطروحة .

- **قائمة المصادر والمراجع**: رتبت فيها مصادر البحث ومراجعه الّتي اعتمدت عليها في بحثي .

- **فهرس الموضوعات**: فهرست فيه موضوعات البحث وفصوله ومباحثه، مع ضبط صفحات تواجدها في البحث.

وقد اقتضت منا هذه الدّراسة وطبيعة الموضوع والتّحليل، الاستعانة بالمنهج التّاريخي، وذلك من خلال التّتبع الزمني لنشأة الشّاهد البلاغي، وتتبع صلة الشّواهد المتبعة عند المعاصرين مع الشّواهد التّراثية عند أسلافهم، كما اعتمدنا على المنهج الوصفي التّحليلي، وذلك من خلال الوقوف على الشّاهد البلاغي، وعوامل استدعائه سواء عند القدامى أو المعاصرين، وكذلك تحليل الشواهد المتبعة والمبتدعة، كما استعنا بالمنهج الإحصائي في نهاية البحث، وذلك من خلال إحصاء الشّواهد المتبعة والمبتدعة عند مُحَّد عبد المطلب وأحمد مطلوب.

وأهداف البحث تنطلق من رؤية ورغبة في الإجابة عن هذه التّساؤلات، ومحاولة معرفة إن كان الشّاهد البلاغي محصورًا في التّلقين والتّعليم، أم يتجاوز ذلك، فواجهت بذلك بعض الصعوبات تمثلت في ندرة الدّراسات البلاغيّة المباشرة المتعلقة بالشّاهد البلاغي، وضوابط الاحتجاج به، ورغم كل هذه الصّعوبات والعوائق، إلاّ أنني حظيت بالأستاذ الفاضل **الدكتور جلول بوطيبة** إذ تولى الإشراف على

هذه الرسالة، ولم يبخل بالنّصائح والتّوجيهات لإتمام الرّسالة، فكان سندا وعونا لي، كما لا أنسى أستاذي الفاضل **الدكتور نور الدين دحماني**، الذي ساعدني على تخطي الصعاب، ولم يبخل بالنّصح والإرشاد، كما لا يفوتني أن أتقدم بالشّكر الجزيل للجنة التّكوين والمناقشة الّتي ستنير جوانب هذا البحث بملاحظاتهم وتصوبياتهم القيمة.

منور عمّار : مستغانم 2021/03/15.

المـــــــدخــــــــل

تمهيد:

إنّ موضوع هذا البحث هو الشّاهد البلاغي فكان من الضّروري أن نوضّح أوّلا معنى كلمة شاهد في اللّغة والاصطلاح، وما بُنّي على هذه التّعريفات من أوجه الاختلاف والائتلاف مع المثال والحجّة وغيرها من المصطلحات الّتي تنتمي إلى نفس الحقل المعجمي، كما أنّنا تناولنا بعض المصطلحات الّتي تتداخل مع الشّاهد إلى حدّ لا يمكن التّفريق بينهما، لأنّه لا يمكن حصر كلّ المصطلحات الّتي تقترب من الشّاهد، كما تحدّثنا أيضًا عن مصطلحي الاتّباع والابتداع، وذلك من خلال تقفي معناهما اللّغوي والاصطلاحي.

أوّلا: معنى الشّاهد:

الشّاهد لغة:

الشّاهد: اسم فاعل مشتّق من الفعل (شَهِدَ) "أصلٌ يدلُّ على حُضورٍ وعِلْمٍ، و إعلامٍ، لا يخرُج شيءٌ من فروعه عن الذي ذكرناه" [1].

جاء في صحاح الجوهري حول مادة (شَهِدَ) مايلي: " الشهادة خبر قاطع، تقول منه: شهد الرجل على كذا ... والمشاهدة المعاينة، وشهده شهودًا أي حضره فهو شاهد، وقوم شهود أي حضور...وأشْهَدني إملاكه أي أحضرني ...وشهود الناقة: آثار موضع منْتِجِها من دم أو سلّى"[2].

[1] أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريّا، مقاييس اللّغة، تح عبد السّلام محمّد هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1979م، ج3،ص 221.

[2] اسماعيل بن حمّاد الجوهري، الصّحاح، تح أحمد عبد الغفور العطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط4، 1990م،ج2، ص 494.

يطلق الشّاهد في اللّغة على معانٍ متعدّدة، منها الحاضر الّذي يحضر الأمرَ ويشهده، "وشَهِد له بكذا شَهادةً، أي أدَّى ما عنده من الشهادة، فهو شَاهِدٌ، والجمع شَهْدٌ... وأَشْهدتهُ على كذا فَشَهِد عليه، أي صار شاهِدًا عليه...واستَشْهدتُ فلانا: سألتُه أن يَشْهَدَ" [1].

ومنها "الملك، كما في قول **الأعشى**:

فلا تحسَبَنّي كافرا لك نِعمَةٌ   عَلى شاهِدي يا شَاهِدَ اللهِ فاشْهَدِ"[2]، ومنها الشّاهد عند القاضي والحاكم، "يقال: شهِد فلانٌ عند القاضي، إذا بيَّن وأعلَم لمن الحقُّ وعلى مَن هو"[3]، وتأتي الشّهادة أيضا بمعنى البيان الوضوح، " قال **أبو عبيدة:** معنى شَهِدَ الله[4] قَضَى الله أنه لا إله إلاّ هو. وحقيقته عَلِمَ الله وبَيَّنَ الله؛ لأن الشاهد هو العالم الذي بين ما علمه ... و قال **أبو العباس:** شَهِدَ الله بَيَّنَ الله وأَظْهَر، وشَهِدَ الشاهِدُ عند الحاكم أي بَيَّنَ ما يعلمه وأَظْهَرَه"[5] ، وغير ذلك من المعاني.

أمّا الشّاهد عند المفسّرين فقد قال عنه **الكفوي**[6] : "قال المفسرون: شَهِدَ بمعنى: (بَيَّنَ) في حق الله، وبمعنى: (أَقَرَّ) في حق الملائكة، و بمعنى: (أَقَرَّ و احتَجَّ) في حق أولي العلم من الثَّقَلَيْنِ"[7].

---

[1] اسماعيل بن حمّاد الجوهري، الصّحاح،، مصدر سابق، ص494.

[2] ابن منظور أبو الفضل جمال الدّين محمّد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، لبنان: دار صادر بيروت، لبنان، 1968م، ج3، ص243

[3] أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا ، مقاييس اللّغة ، مصدر سابق، ص221.

[4] مشيرا إلى قوله تعالى في سورة آل عمران

[5] ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج3، ص 239.

[6] هو أبو البقاء أيوب بن سليمان الحسيني القريمي الكفوّي، المتوّفى سنة 1094 هـ، له كتاب الكليّات.

[7] أبو البقاء الكفوي، الكليّات، تح عدنان درويش و محمّد المصري، مؤسّسة الرّسالة للنّشر، لبنان، ط1، ص527.

يشير المفسّرون إلى أنّ كلمة شَهِدَ تفيد التّبيّين والإقرار والاحتجاج، ولا يختلفون مع اللّغويين في تحديد معنى الشّاهد الّذي لا يخرج عن ظاهرة الإبانة والإيضاح والاحتجاج وهي أغراض يؤدّيها في الغالب.

من خلال التّعاريف اللّغوية يتّضح أنّ مصطلح الشّاهد يشير إلى معانٍ متعدّدة منها الخبر القاطع، والحاضر الّذي يحضر الأمر ويشهده، وكذا يأتي بمعنى التّبيّين والاحتجاج، فهناك خيط واحد يربط هذه التّعاريف، وهو كون الشّاهد أثرًا دالاً على حقيقة الشّيء ووجوده، فهو الأصل الّذي يُمكننا من الاحتجاج به، ويزيد في مصداقية القضيّة الّتي نحاجج من أجلها، فالشّاهد يجب أن يَتَّسم ويتحلّى بخصائص معيّنة، ولا ينفكّ أن يكون متحليًّا بمميّزات كالظّهور والإبانة، فيجب أن يظهر الشّاهد الخفّي ويزيد في تسليم المتلقّي وإذعانه.

الشّاهد اصطلاحا:

يعرّف الشّاهد عند أهل العربيّة- كما يقول **التّهانوي**- هو: " الجزء الذي يستشهد به في إثبات القاعدة، لكون ذلك الجزئي من التنزيل، أو من كلام العرب الموثوق بعربيتهم "[1].

يشير **التّهانوي** على أنّ الشّاهد هو الجزء فقط الّذي يثبت قاعدة لغويّة، وقد جعل الشّاهد القرآني في المرتبة الأولى، لتليه الشّواهد الأخرى وخاصة الشّعرية وكذا كلام العرب والأقوال المأثورة عنهم.

ويُعْتَبَرُ الشّاهد أيضًا " جملة من كلام العرب أو ما جرى مجراه كالقرآن الكريم، تتسم بمواصفات معيّنة، وتقوم دليلاً على استخدام العرب لفظيًا لمعناه، أو نسقًا في نظم أو كلام، أو على وقوع شيء إذا

[1] التّهانوي،كشّاف اصطلاحات الفنون، تح رفيق العجم – علي دحروج، مكتبة لبنان للنّشر، ط1، 1996م، ج 1، ص1002- ص1003.

اقترن بغيره أو على علاقة بين لفظ أو آخر، أو معنى و غيره، وتقديم أو تأخير، واشتقاق أو بناء، ونحو ذلك ممّا يصعب حصره وممّا هو محسوب في مناحي كلام العرب الفصحاء"[1].

توحي بنا الآراء ممّا ذكرنا إلى أنّ الشّاهد يجب أن يُؤخذ من كلام العرب، وأوّل مصادره القرآن الكريم الّذي يعدّ المصدر الرّئيس، ويجب أن يتّصف بصفات معيّنة وهذا يتعلّق بقضيّة اختيار الشّاهد، أمّا فيما يتعلّق باستخدامه فهو دليل يُحتجّ به لإثبات قاعدة، أو بيان لاستخدام العرب للّفظ مثلاً أو حتّى علاقة لفظ بآخر، أو لإثبات معنى اللّفظ أو بنائه ونحو ذلك، فهو تأكيد على تواجده في كلام العرب.

كما يقول **اللّبدي**" الشاهد: هو قول عربي لقائل موثوق بعربيته يُورد للاحتجاج والاستدلال به على قول، أو رأي "[2].

يؤكّد **اللّبدي** على أنّ الشّاهد في اللّغة يؤخذ من لسان عربي موثوق بعربيته، فهو يحدّد بذلك الإطار الجغرافي للشّاهد أي يكون من عند العرب لا غير، كما أشار إلى استخدام الشّاهد الّذي يكون دليلا على قول أو حتّى رأي، فهو بذلك يمثّل دليلًا قاطعًا في توجيه أي مسألة لغويّة.

نستخلص من جملة الأقوال الّتي سردناها بحقّ الشّاهد البلاغي، فيمكن أن نقول عنه:

هو كلّ ما يستشهد به لتوضيح وبيان قاعدة بلاغيّة ، والاحتجاج به على قول أو رأي، كما أنّه يعتبر دليلاً على صحّة القول ودليلاً على ثبوت قضيّة من القضايا، ففي هذه الحالة يؤدّي وظيفة برهانيّة، والشّواهد الّتي يستشهد بها في التّفسير واللّغة والنّحو والبلاغة وغيرها متعددّة؛ منها القرآن الكريم، و كلام العرب نثرًا وشعرًا، ويضمُّ النّثر الحديث النّبوي، والأمثال، والخطب وغيرها.

---

[1] يحي جبر، الشّاهد اللّغوي، مجلّة النّجاح للأبحاث، المجلّد الثّاني، العدد السّادس، 1992، ص265.

[2] محمّد سمير نجيب اللّبدي، معجم المصطلحات النّحوية والصّرفيّة، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط1، 1985م، ص119-ص120.

ثانيًّا: المِثال والمِثل و المَثل

المثال لغةً: مأخوذ من الجذر الثّلاثي: (م – ث– ل)، وتورد المعاجم المختلفة معاني متعدّدة للفظة (مَثَل): كالصّفة والعبرة والشِّبه والصّورة.

يقول **ابن منظور** : " مِثل - بكسر الميم- كلمة تسوية، يقال: هذا مثله، ومَثَله –بالفتح – شِبْهه وشَبَهه بمعنى؛ قال ابن بري: الفرق بين المماثلة والمساواة، أن المساواة تكون بين المختلفين في الجنس، والمتفقين، لأن التساوي هو التكافؤ في المقدار، لا يزيد ولا ينقص. وأما المماثلة فلا تكون إلا في المتفقين تقول: نحوُه كنحوِه، وفقهُه كفقهِه؛ فإذا قيل: هو مثله على الإطلاق فمعناه أنه يسد مسدّه، وإذا قيل: هو مثله في كذا فهو مساو له في جهة دون جهة"[1].

تختلف المماثلة عن المساواة، والاختلاف يكمن في الاتّفاق بين الشّيئين اللّذين يقع عليهما التّمثيل أو المساواة، فالتّمثيل يكون بين شيئين متفقين، كما يمكن أن يكونا من جهة فقط، كتشبيه ابن بوالده مثلا من حيث الأفعال، على عكس المساواة الّتي تكون في المختلفين في الجنس ومتفقين في المقدار على سبيل المثال.

المثال اصطلاحا: كما قال **الزّمخشري** : " مَثّله به: شبّهه، وتمثّل به: تشبه به، ومُثِلَ الشيء بالشيء: سُوِّيَ به وقدر تقديرَه "[2].

يرى **الزّمخشري** أنّ تمثيل الشّيء بالشّيء هو تشبيهه به، وتسويته وتقديره به، إذن فالتّشبيه صفة ملازمة لتمثيل شيء بشيء.

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج 11، ص 610.

[2] الزّمخشري، أساس البلاغة، تحقيق محمّد باسل عيون السّود، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 1998م، ج2، ص 139.

جاء في مجمع الأمثال " قال **المبرد**: المثَلُ مأخوذ من المِثال، وهو: قولٌ سائرٌ يُشَبَّه به حالُ الثاني بالأول، والأصل فيه التَّشْبِيه، فقولُهم « مَثَلَ بَيْنَ يَدَيه» إذا انتصب معناه أَشْبَهَ الصورةَ المنتصِبة، و«فلان أَمْثَلُ من فلان » أي أَشْبَهُ بما لَه [من] الفضل. والمِثالُ القِصاصُ لتشبيه حالِ المقتَصِّ منه بحال الأول؛ فحقيقة المـَثَلِ ما جُعل كالعلم للتشبيه بحال الأول، **كقول كعب بن زهير**:

كَانَتْ مَوَاعِيدُ عُرْقُوبٍ لَهَا مَثَلاً وَمَا مَوَاعِيدُهَا إِلا الأَبَاطِيلُ "[1]

يتّفق **المبرد** مع **الزّمخشري** ويشير إلى شيء مهمّ في التّمثيل وهو التّشبيه الّذي يعدّ الأصل، فقولك فلان مثل فلان أي يشبهه، فالتّشبيه يظهر ضمنيًّا في التّمثيل.

قال **الزّركشي** أيضًا: « الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي والشاهد بالغائب »[2]، وقال **الزّمخشري**:" التمثيل إنما يصار إليه لما فيه كشف المعنى ورفع الحجاب عن الغرض المطلوب ....المتوهم من الشّاهد فإن كان الممثل له عظيما كان الممثل به مثله وإن كان حقيرا كان الممثل به كذلك"[3].

يستعمل التّمثيل في رفع الحجاب وكشف الغطاء عن المعنى، كما يؤكّد الزّركشي على أنّ المُمَثَّل له يساير المُمَثَّل به فإن كان عظيمًا كان الممثّل به أعظم منه أو مثله وإن كان حقيرًا كان الممثّل به أحقر منه أو مثله.

يتّضح من كلّ ما ذُكر أنّ المِثَالُ يطلق على الجزئي الّذي يُذكر لإيضاح القاعدة، وإيصاله إلى فهم المستفيد ، والجزئي يمكن أن يكون بيتًا شعريًّا أي الجملة الّتي تحوي المثال، ولذلك فإنّ كلّ ما يصلح

---

1 النّيسابوري الميداني، مجمع الأمثال ، تح مُحَمَّد محي الدّين عبد الحميد، مكتبة السّنة المحمية، 1955م، ص 5.

2 الزّركشي، البرهان في علوم القرآن، تح مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار التّراث، القاهرة، (د، ت)، (د، ط)، ج 1، ص488.

3 الزّمخشري، الكشّاف، تح عادل أحد عبد الموجود – علي مُحَمَّد العوض، مكتبة العبيكان، الرّياض، ط1، 1998م، ج1، ص 235.

شاهدًا يصلح مثالا من غير عكس، كما أنّ الأصل في التّمثيل هو التّشبيه، لرفع الغطاء وكشف الخفي، فاستعمال الأمثلة يكون بغرض إثبات القواعد، فيمكن أن نستعمل شاهدًا واحدًا لوضع قاعدة بينما يمكننا استعمال أكثر من مثال لتوضيح تلك القاعدة.

ثالثا: الاحتجاج

يعرّف **ابن فارس** الحجّة في اللّغة بقوله: " حَاجَجْتُ فُلَانًا فَحَجَجْتُهُ أَيْ غَلَبْتُهُ بالحُجَّةِ، وَذَلِكَ الظَّفَرُ يَكُونُ عِنْدَ الخُصُومَةِ، والجَمْعُ حُجَج، والمَصْدَرُ الحِجَاجُ"[1]. ومعناه أنّ الحجاج يكون ظاهرًا بنسبة كبيرة عند الخصومة، وذلك بإقامة الحجّة لكَسْبِ التّأييد والتّفوق على الخَصْم عند حدوث المجادلة الكلامية بين الأشخاص.

أمّا **ابن منظور** فيعرّفه كذلك بقوله: " يقال حَاجَجْتُهُ أُحَاجّه حِجَاجًا ومُحَاجّة حَتَى حَجَجْتُهُ أيْ غَلَبْتُهُ بِالحُجَجِ الّتي أدْلَيْتُ بِهَا (..) ويقال: حَاجّهُ، مُحَاجَّة وحِجَاجًا نَازَعَهُ الحُجَّةِ (...) واحتجَّ بالشّيءِ: اتَخَذَه حُجَّة (...) والحجّة الدّليل والبُرْهَان (...)"[2]، يلاحظ أنّ هذا التّعريف يشترك في بعضٍ من المعنى مع تعريف ابن فارس للحجّة، وذلك عندما اتّفقا على أنّ المحَاجَة تتطلّب إقامة الحجّة الّتي تؤدّي بك إلى التّغلّب على خصمك عند الخصومة، إلا أنّ ابن منظور لا يفرّق بينها وبين الدّليل والبرهان، فيعدهم جميعا الأدوات الّتي يحتاجها الإنسان في موقف يتطلّب منه الرّد على نفسه ودفع الخصومة عنه.

---

[1] أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللّغة، مصدر سابق، ج 2، ص30، مادة (حج).

[2] ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، مج 2، ص288، مادة (ح ج ج).

يرد كثيرا التّعبير بالاحتجاج بدلاً من الاستشهاد كقولهم: " وهذا لا يحتج به "، ونحو ذلك. والاحتجاج هو تقديم الحجة. وقال **الليث**: " الحجة: الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة، وجمعها حُجَجٌ "[1]. قال **الأزهري**: " وإنما سميت حجة لأنَّها تُحَجُّ، أي: تقصد، لأنَّ القصد لها وإليها"[2].

سميت الحجّة عند **الأزهري** لـمّا تحمله من قصدٍ، فالمجادل يقصد إليها لكسب التّأييد وقلب الموازين لصالحه في حالة حجاجه مع خصم أو من يخالفه في فكرة أو موقف.

ورد في التّعريفات " الحُجَّة: ما دَلّ به على صِحَّةِ الدعوى، وقيل الحُجَّة والدليل واحد"[3]، فيظهر من خلال تعريف **الجرجاني** أنّ الحجّة هي الدّليل على صحّة الدّعوى، وبذلك يتّفق مع ابن منظور في القول أنّ الحجّة والدّليل واحد، فهما لا يفرقان بينهما بل يتّفقان كل الاتّفاق حولهما.

فكلّ من الاستشهاد والاحتجاج يؤدّيان غرضا واحدا، وربَّما يكون متطابقا، هو " إثبات صحة قاعدة، أو استعمال كلمة، أو تركيب، بدليلٍ نقلي صحَّ سندُهُ إلى عربي فصيح، سليم السَّليقة"[4].

يهدف الاستشهاد والحجاج إلى غرض واحد وهو إثبات قاعدة أو استعمال كلمة أو معناها، ولا يكون هذا الإثبات إلاّ من خلال دليل ثَبُتَ نقله عن عربي فصيح سليم السّليقة، فَيُمكّن المحاجج من الظّفر ويزيد في حدّة إذعان المتلقي.

يبقى الغرض من الاستشهاد والاحتجاج واحد ألا وهو إثبات قاعدة أو إثبات استخدام لفظ أو المعنى الّذي يؤديه ذلك اللّفظ، أو بناء لفظ ولا يتأتّى ذلك إلاّ من خلال كلام العرب سليمي السّليقة،

[1] الأزهري، تح عبد الحليم النّجار، تهذيب اللّغة، الدّار المصريّة للتّأليف والتّرجمة، مصر، (د،ط)، (د،ت)، ج3، ص 390.
[2] ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج3، ص 390.
[3] علي بن مُحَمَّد السّيد الشّريف الجرجاني، التّعريفات، تح مُحَمَّد صديق المنشاوي ، دار الفضيلة، مصر،2004م، ص73.
[4] سعيد الأفغاني، أصول النّحو، المكتب الإسلامي، بيروت، 1987م، ص 6

كما يجب أن نشير من خلال التّعاريف السّابقة إلى أنّ الحجاج لا يتأتّى إلاّ من خلال الخصومة مما يجعله ظاهرا.

وهناك من يُعبّر بلفظة " الحَجَّةِ" بدل " الشّاهد" عند شرحه للشّاهد الشّعري، حيث يكثر من عبارة: "وهذا حجّة لكذا"، وهذا ما يوضّح التّداخل الّذي وقع بين المصطلحين نتيجة تأديتهما لنفس الغرض.

رابعا: الدّليل

الدّليل في اللّغة: ينحدر من الجذر (دلل)، وله أصلان كما يقول **ابن فارس** " أحدهما إبانة الشيء بإمارةٍ تتعلّمها، والآخر اضطراب في شيء. فالأول قولهم دلَلْتُ فلانًا على الطريق. والدليل الأمارة في الشيء. وهو بيّن الدَّلالة والدّلالة. والأصل الآخر قولهم: تَدَلْدَل الشيء، إذا اضطرَبَ "[1]، كما جاء في لسان العرب " الدَّلِيل: ما يُسْتَدَلُّ به. والدّليل: الدَّالُّ "[2]، وقد وقع الدّليل بمعنى المرشد وما به الإرشاد فقد قال **الزّبيدي**: "الدليل: ما يستدل به، وأيضا الدال، وقيل هو المرشد وما به الإرشاد، الجمع أَدِلَّةٌ وأَدِلاَّءُ، وقولُ الشاعِر:

شَدُّوا المطِيَّ على دَلِيلٍ دائبٍ مِن أهلِ كاظِمةٍ بسِيفِ الأَبْحُرِ"[3].

كما قد يطلق في اللّغة "بمعنى الدال وهو الناصب للدليل. وقيل الذاكر له، وقد يطلق على ما فيه من دلالة وإرشاد وهو المسمّى دليلاً في عرف الفقهاء سواء أوصل إلى علم أو ظن" [4].

---

[1] أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللّغة، مصدر سابق، ص259-260.

[2] ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج11، ص 248.

[3] الزّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس ، تح محمود محمّد الطّناحي، التّراث العربي ، الكويت، ط2، 1993م، ج28، ص 501.

[4] التّهانوي، كشّاف اصطلاحات الفنون، مصدر سابق، ص 796.

يتّضح من خلال التّعاريف اللّغوية الّتي أَحْصَيْنَاهَا أنّها تتّفق على أنّ الدّليل هو ما يستدلّ به على أمر، فهو المرشد الّذي يتمّ به الإرشاد أو الوصول إلى معرفة يقينية أو ظنيّة، كما أنّ الدّليل له أصلان، إظهار شيء أو علم بإمارة تتعلمها، والأصل الثّاني اضطراب الشّيء، فالدّليل في التّعريف اللّغوي يقترب من الشّاهد من جهة الاستدلال على شيء ولكن الاختلاف يكمن في أنّ الدّليل ليس بالضّرورة أن يكون قطعيًّا أو صادقًا، فقد يغلب عليه الظّن في بعض الحالات.

وفي الاصطلاح: جاء تعريف الدّليل في معجم التّعريفات " **الدَّلِيل**: في اللُّغة: هو المرشد وما به الإرْشاد، وفي الاصطلاح: هو الذي يلزم من العلم به العلم بشيء آخر وحقيقة الدليل هو ثبوت الأوسط للأصغر واندراج الأصغر تَحْت الأَوْسط"[1].

يتّضح أنّ الدّليل يتطلّب العلم به العلم بشيء آخر، فيقال الدّليل على الصّانع هو الصّانع، فقد جعل العلم على صنعته دليلاً عليه، كما يتطلّب الدّليل ثبوت الأوسط للأصغر، واندراج الأصغر تحت الأوسط، فالدّليل يمكن أن يستلزم العلم بمقدمات تندرج كلّها تحت نتيجة واحدة تثبت حدوث الشّيء، أو تستلزم نتائج جزئية لتثبت نتيجة كليّة، فتكون مترابطة فيما بينها، تبثت بعضها البعض للوصول إلى النّتيجة النّهائية (الدّليل).

أشار صاحب الكشّاف إلى أنّ "الدليل هو علامة يهتدي بها الطبيب إلى المرض...وعند الأصوليين له معنيان، أحدهما أعمّ من الثاني مطلقًا. فالأول الأعمّ هو ما يمكن التوصّل بصحيح النظر فيه إلى مطلوب خبري وهو يشتمل القطعي والظنّي، وهذا المعنى هو المعتبر عند الأكثر. والثاني الأخصّ هو ما

[1] علي بن مُحَمَّد السّيد الشّريف الجرجاني، التّعريفات، مصدر سابق، ص91.

يمكن التوصّل بصحيح النظر فيه إلى العلم بمطلوب خبري وهذا يخص بالقطعي المسمّى بالبرهان. والعلم بمعنى اليقين على اصطلاح المتكلّمين والأصوليين والظنّي يسمّى أمارة"[1].

يعتبر الدّليل علامة يستدلّ بها الطّبيب مثلا في تشخيص مرض، كاحمرار الوجه الّذي يدلّ على ارتفاع الحمى مثلًا، أمّا عند الأصولييّن له معنيان، فالأوّل أعمّ من الثّاني فهو يشمل الظّن والقطع معًا، كرؤية السّحب الكثيفة فهي دليل على قدوم الغيث، لكن يمكن أن يحدث هذا التّنبؤ كما يمكن عدم حدوثه، فهذا الأمر يبقى غير قطعي، والثّاني هو قطعي ويسمّى البرهان فالبرهان لا يحتمل الظّن فهو أمر واقع لا محال، كقولنا مثلا مادة الحديد تتمدّد بالحرارة، فكلّ قطعة حديديّة تتمدّد بالحرارة، فهذه القضيّة لا تحتمل الظّن لأنّنا إذا عرضنا أي قطعة حديدية لدرجة حرارة معيّنة فستتمدّد، أمّا عند المتكلّمين والأصوليّين بمعنى اليقين والظّن ويدعى أمارة فهو دليل.

كما جاء تعريف الدّليل بمعنى البرهان " واصطلاحاً: [يعني الدليل]: هو البرهان الذي نتوصل به إلى العلم أو الظن بالشيء "[2].

نرى أنّ الدّليل وقع بمنزلة البرهان، فالدّليل هو البرهان الّذي نتوصل به إلى معرفة الشّيء سواء كان يقيني أو ظنّي، وهذا يقودنا للحديث عن البرهان وتوضيح أوجه الاختلاف بينه وبين الدّليل.

خامسا: البرهان

انقسم أهل اللّغة في اشتقاق كلمة البرهان إلى قسمين، فهناك من اعتبر النّون غير أصليّة، فجعل اشتقاق الكلمة إلى الفعل الثّلاثي (بَرَهَ)، وهناك من اعتبر النّون أصلية، فجعل اشتقاقها إلى الفعل الرّباعي (برهن)، وجاء في معجم العين "بره: البُرْهان: بيانُ الحُجَّة وإيضاحُها"[1].

---

[1] التّهانوي، كشّاف اصطلاحات الفنون، مصدر سابق، ص793.

[2] ابن الوزير، المصفّى في أصول الفقه، دار الفكر المعاصر، لبنان، 1996م، ص125.

أمّا فيما يتعلّق بالتّعريف اللّغوي للبرهان فقد جاء في لسان العرب:" البرهان: الحجة الفاصلة البينة، يقال: برهن يبرهن برهنة إذا جاء بحجة قاطعة للدد الخصم، فهو مبرهن...وقد برهن عليه: أقام الحجة. وفي الحديث الصدقة برهان، البرهان: الحجة والدليل، أي أنها حجة لطالب الأجر من أجل أنها فرض يجازي الله به وعليه" [2].

يتّفق **الخليل** مع **ابن منظور** في القول بأنّ البرهان هو بيان الحجّة وإيضاحها، فالحجّة لا تتّضح ولا تتأتّى للمتلقي إلاّ من خلال البرهان، كما يعتبره **ابن منظور** الحجّة الفاصلة والقاطعة، فالبرهان وحده كفيل بهزم الخصم فيجب أن تكون الحجّة قاضيّة، فهي أيضا الدّليل، ففي الحديث: الصّدقة برهان، أي أنّها دليل على طلب صاحبها الأجر من الله سبحانه وتعالى، فيجزى عليها، ويتّضح من خلال هذا التّعريف اللّغوي التّداخل الحاصل بين المصطلحات الثّلاث.

يعرّف صاحب القاموس المحيط البرهان بقوله" البُرْهانُ، بالضم، الحُجَّةُ، ...وبَرْهَنَ عليه: أقامَ البُرْهانَ"[3].

يشير الفيروز آبادي إلى أنّ البرهان هو الحجّة فلا اختلاف بينهما، وقولنا برهن على شيء أي أقام البرهان على ذلك الشّيء، وهذا ما يظهر جليًّا في إثبات القواعد الرّياضيّة الّتي تحتاج إلى البرهنة عليها.

أمّا **اصطلاحًا**: فقد وقع البرهان عند الأصوليّين نظيراً للدّليل والحجّة، " وقد يطلق على الحجة نفسها وهي التي يلزمُ من التصديق بها التصديق بشيء"[4].

---

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، تح عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2003م، ج1، ص125.
[2] ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج13، ص 51.
[3] الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تح مكتب تحقيق التّراث، مؤسّسة الرّسالة، لبنان، ط8، ص1180.
[4] التّهانوي، كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم، مصدر سابق، ج1، ص324.

يتّضح أنّ الأصوليّين يضعون البرهان والحجّة والدّليل في كفّة واحدة، فالبرهان هو الحجّة نفسها ولكنّ الحجّة الّتي تستلزم التّصديق بشيء قبلها لتصديقها، يضيف الجرجاني ويقول " البُرْهان: هو القياس المؤَّلَف من اليقينيَّات سواء كانت ابتداء وهي الضروريات، وهي النظريات، والحدُّ الأوسط فيه لا بد أن يكون عِلَّة لنسبة الأكبر إلى الأصغر"[1].

يتّفق **الجرجاني** مع **التّهانوي** في أنّ البرهان يجب أن يكون مؤلف، **فالجرجاني** يقول أنّ البرهان هو قياس مؤلف من اليقينيّات الّتي تقابل الأشياء يُلزم تصديقها لتصديق الحجّة، ولكنّ **الجرجاني** يضيف ويوّضح أنّ اليقينيّات سواء كانت ضروريات أو نظريات يجب أن تكون حدودها متناسقة ومتناسبة فيما بينها.

يعرض **أبو هلال العسكري** قوله عن البرهان أيضًا فهو عنده "ما يقصد به قطع حُجّة الخصم فارسي معرب وأصله بُرَان: أي اقطع ذاك، ومنه البرهة وهي القطعة من الدلالة ولا يعرف صحة ذلك ...والدليل يكون وضعيا قد يمكن أن يجعل على خلاف ما جعل عليه نحو دلالة الاسم على المسمى، وأما دلالة البرهان فلا يمكن أن توضع دلالة على خلاف ما هي دلالة عليه نحو دلالة الفعل على الفاعل، لا يمكن أن تجعل دلالة على أنه ليس بفاعل"[2].

يتّضح أنّ الغرض من البرهان هو إفحام الخصم، وقطع حجّته، ومنه البرهة الّتي هي القطعة، فالبرهان حجّة قاطعة فاصلة، أمّا الفرق بين البرهان والدّليل، فنجد الثّاني وضعيًا والأوّل قطعيًا، وهنا يتّضح أنّ هناك اختلاف بين الدّليل والبرهان، فيمكن أن نمثّل للبرهان بدلالة الفعل على الفاعل، فالفعل لا يقوم به إلاّ فاعل.

---

[1] الجرجاني، معجم التّعريفات، مصدر سابق، ص40.

[2] أبو هلال العسكري، الفروق اللّغوية ، تح مُحَّد إبراهيم سليم، دار العلم و الثّقافة للنّشر والتّوزيع، مصر،1998م، ص72.

يظهر من خلال ما تقدّم أنّ هناك فرقًا واضحًا بين الدّليل و البرهان، فالدّليل أعمّ من البرهان لأنّه يتّسع فيشمل الظّن و القطع معاً، بينما البرهان موضوع في الأصل لما يوجب العلم قطعا، فالبرهان الحجّة الفاصلة والدّليل الّذي لا شكّ فيه.

سادسا البيّنة:

جاء في مقاييس اللّغة لدى ابن فارس: " بين: الباء والياء والنون أصلٌ واحد، وهو بُعْدُ الشَّيء وانكشافُه"[1]، فالمراد بالبيان في اللغة الظهور و الوضوح. ويقول **ابن منظور**: " والبيان: ما بين به الشيء من الدلالة وغيرها. وبان الشيء بياناً: اتضح، فهو بيّن ..."[2].

نلاحظ أنّ **ابن فارس** و**ابن منظور** يتّفقان على أنّ البيّنة لغة تعني الانكشاف والوضوح، فتكشف عن الشّيء الغامض، وتردُ كثيرًا لفظة البيّنة في القضاء، فهي بمثابة الدّليل بالنّسبة للمُدَّعِي والمُدَّعَى عليه، بينما صاحب **قاموس محيط المحيط** يقول: " البَيِنَة مؤنَّث البيّن والدليل والحجة "[3].

يتّضح أنّ التّعاريف اللّغوية تتّفق على أنّ البيّنة تكون بمنزلة الدّليل والحجّة، غير أنّها تختلف عن الحجّة في كون هذه الأخيرة تكون محل النّزاع والخصومة، والتّعاريف اللّغوية تتّفق على أنّ الهدف من البيّنة الوضوح والانكشاف، فهي شهادة ودليل إثبات.

بينما في **الاصطلاح**، "البيان: إظهار ما كان مستوراً قبله"[4]، أي البيّنة تكشف الغطاء عن المستور، فهي تظهره.

---

[1] أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللّغة، مصدر سابق، ج1، ص 327.

[2] ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج 13، ص67.

[3] بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان، بيروت، (د،ط)، 1987م، ص65.

[4] الجرجاني، التّعريفات، مصدر سابق، ص52.

يمكن أن تقع البيّنة موقع الدّليل حيث يقول **الآمدي** " وإذا عرف أنّ البيان هو الدليل المذكور، فحدّ البيان ما هو حدّ الدليل على ما سبق في تحريره، ويعمّ ذلك كلّ ما يقال له: دليل، كان مفيداً للقطع أو الظن، وسواء كان عقليًّا أو حسيًّا، أو شرعيًّا أو عرفيًّا، أو قولاً أو سكوتاً، أو فعلاً أو ترك فعل، إلى غير ذلك "[1].

يساوي **الآمدي** بين الدّليل والبيّنة في الاصطلاح، فحدّهما حدّ واحد، فهما يفيدان الظّن والقطع معًا، فقد تكون البيّنة بمثابة البرهان إذا كانت فاصلة، وتكون بمثابة الدّليل إذا كانت ظنيّة، فالبيّنة نظيرة الدّليل، سواء أكان الدليل حسيًّا أو عقليًّا أو غير ذلك.

فمن خلال التّعريفات يظهر أنّ البيان هو الدّليل من جهة الاصطلاح فيقعان على معنى واحد، فالدّليل يفيد الظّن والقطع معاً، فالبيّنة تنزل منزلة الدّليل من حيث هذه الحيثيّة، فهي تكشف المستور، وتنزع الغطاء عن الغامض.

سابعا: الاتّباع:

لغة:

جاء في **معجم العين**: "تبع: التّابع: التالي، ومنه التتّبعُ والمتابعة والاتّباع، يتبعه: يتلوه. تَبِعَه يَتْبَعُهُ تَبَعًا. والتّتَبُّعُ: فعلك شيئًا بعد شيء. تقول: تتّبعتُ علمه، أي: اتّبعت آثاره...والتّتابُعُ ما بين الأشياء إذا فعل هذا على إثر هذا لا مهلة بينهما كتتابع الأمطار والأمور واحدًا خلف آخر، كما تقول: تابع بين الصلاة والقراءة، كما تقول: رميته بسهمين تِباعًا وولاءً ونحوه."[2]

---

[1] الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، تح عبد الرّزاق عفيفي، دار الصّميعي للنّشر والتّوزيع، السعودية، ط1، 2003م،ج7 ، ص32.

[2] الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، مصدر سابق، ص179-ص180

بينما يقول **ابن منظور** :" تبع: تَبِعَ الشيءَ تَبَعًا وتَباعًا في الأفعال وتَبِعْتُ الشيء تبوعًا: سِرْتُ في إِثْرِه، واتَّبَعَه وأَتْبَعَه وتَتَّبعه قفاه وتطلّبه متَّبعًا له"[1].

يتّفق **الخليل** و**ابن منظور** في أنّ الاتّباع يأتي بمعنى التّتبع والمتابعة، وتتابع الأشياء أي تواليها واحدًا بعد الآخر، فالاتّباع يكون بمعنى اقتفاء الأثر وأيضا بمعنى التّوالي، فهو طلب الشّيء باتّباعه.

كما ورد في **مقاييس اللّغة** " التاء والباء والعين أصل واحد لا يشذ عنه من الباب شيء، وهو التُّلُوُّ والقَفْو. يقال تبِعْتُ فلانًا إذا تَلَوْتَه [و] اتّبعْتَه. وأتّبعْتّه إذا لحِقْتَه. والأصل واحد، غير أنَّهم فرَّقوا ببين القَفْو واللُّحُوق فغيَّرُوا البِناء أدنَى تغييرٍ"[2].

وقد جاء في تهذيب اللّغة: " أتبعت القوم مثال أفعلت. إذا كانوا قد سبقوك فلحِقتَهم. قال: واتّبعتهم مثل افتعلت إذا مرّوا بك فمضيت معهم، وتبِعتهم تبعا مثله. ويقال: ما زلت أتّبعهم حتى أَتْبعتهم، أي حتى أدركتهم"[3].

تتّفق التّعاريف اللّغوية في أنّ الاتّباع هو التّلو والقَفو والإدراك، فيكون الاتّباع بغاية اللّحاق، فاتّباعك القوم يعني لحاقك بهم حتّى تدركهم، واتّباعك لعلم أو عالم يكون بغرض اقتفاء أثره والسّير على خطاه.

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج 8، ص27.

[2] أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريّا، مقاييس اللّغة، مصدر سابق، ص362.

[3] الأزهري، تهذيب اللّغة، مصدر سابق، ج2، ص281.

إصطلاحا:

جاء في كتاب **فقه اللّغة** أنّ الاتّباع" هو من سنن العرب وذلك أن تتبع الكلمة الكلمة على وزنها ورَوِيّها إشباعًا وتوطيدًا اتّساعًا كقولهم: جائع نائع، وساغِب لاغِب، وعَطشان نَطشان، وصَبٌّ ضَبٌّ، وخَراب يَباب. وقد شاركت العرب العجم في هذا الباب"[1].

تتّخذ العرب من هذا القبيل الاتّباع سنة من سننها، وقد يكون حتّى في الكلمات، فتتبع الكلمة الكلمة على وزنها، والاتّباع في هذا الباب لا يقتصر على العرب دون العجم فقد تشاركا فيه على حدّ سواء.

يأتي الاتّباع في الغالب بمعنى اللّحوق فيقول **الكفوي**" تبع واتبع بمعنى واحد وهو اللحوق.فأَتْبَعَهم فرعون: أي لحقهم أو كاد. واتَّبَعه: بالتشديد بمعنى سار خلفه. وقيل: اتْبَع: بقطع الألف بمعنى اللحوق والإدراك، وبوصلها بمعنى اتّبع أثره، أدركه أو لم يدركه"[2]، ويؤكّد هذا المعنى **المناوي** فيقول: " الإتباع: اللحاق بالأول"[3].

يتّفق **الكفوي** و**المناوي** في أنّ الاتّباع يأتي غالبًا بمعنى اللّحوق والسّير خلف المُتبع قصد إدراكه، فالاتّباع لا يتأتّى إلاّ بوجود طرفين على الأقّل حتّى يتمكن الثّاني من اللّحاق بالأوّل وإدراكه، سواء كان في أمور عادية كسير الرّجل خلف الرّجل، أو في الأمور الدّينيّة أو في طلب العلم، والمُتَّبِع يكون بغرض تقليد المُتَّبَع فلا يخرج عليه، فهو يحاول إدراكه وتقليده أو على الأقل السّير على نهجه، وهذا ما نحاول

---

[1] أبو منصور الثّعالبي، فقه اللّغة وأسرار العربيّة، تح يحي مراد، مؤسّسة المختار للنّشر والتّوزيع، القاهرة، ط1، 2009م، ص277.

[2] الكفوي، الكليّات، مصدر سابق، ص35.

[3] عبد الرءوف بن مناوي، التّوقيف على مهمات التّعريف،تح عبد الحميد صالح حمدان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1990م، ص28.

الحديث عنه في قضيّة الشّواهد البلاغيّة المتّبعة أي قضيّة التّقليد في الشّواهد عند البلاغيّين المعاصرين، ومدى اعتمادهم على الشّواهد الّتي اعتمدها السّابقون.

ثامنا: الابتداع:

لغة:

جاء في **معجم العين** " بدع: البَدْعُ: إحداثُ شيء لم يكن له من قبلُ خلقٌ ولا ذكرٌ ولا معرفةٌ. والله بديعُ السّموات والأرض: ابتدعهما،...والبِدْعَةُ: اسم ما ابتدع من الدين وغيره. ونقول: لقد جئت بأمرٍ بديع، أي: مبتدع عجيب. وابتدعت: جئت بأمر مختلف لم يعرف ذلك"[1].

يشير **الخليل** إلى أنّ الابتداع يعني الإتيان بشيء عجيب، أي أمر مختلف، كما أنّ بدع تعني إحداث شيء لم يكن معروفًا من قبل.

يقول **ابن منظور** : " بدع: بدَع الشيء يَبْدَعُه بَدْعًا وابْتَدَعَه: أنشأه وبدأه...والبَدِيعُ والبيدْعُ: الشيء الذي يكون أولا. وفي التنزيل: قُل ما كنتُ بدْعًا من الرُّسُل، أي ما كنت أَوّلَ من أُرْسِلَ، فقد أُرسل قبلي رُسُلٌ كثير...وأَبدعْتُ الشيء: اخْتَرَعْته لا على مِثال"[2].

يتّضح أنّ الابتداع مأخوذ من الجذر (بدع)، ويعني في الغالب البدأ والإنشاء الّذي يكون أوّلا، أي إنشاء شيء لم يكن موجودًا من قبل، فهو بمثابة الاختراع، فالابتداع يدلّ على الإتيان بشيء جديد لم يكن له وجود قبلا.

---

1 الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، مصدر سابق، ج1، ص 121.

2 ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج8، ص6.

وجاء في **تهذيب اللّغة** " المبتدع الذي يأتي أمرًا على شِبه لم يكن ابتداؤه إيّاه "[1]، وجاء في القاموس المحيط: " البَدِيعُ: المبْتَدِعُ والمبْتَدَعُ وحبْلٌ ابْتُدىءَ فَتْلُهُ، ولم يكن حَبْلاً ...وأبْدَعَ: أبْدَأَ " [2].

يشير **الأزهري** إلى أنّ المبتدع هو الّذي يأتي بشيء غير موجود سابقًا فهو صاحب فعل الإبداع، أمّا صاحب **القاموس المحيط** فيشير إلى أنّ معنى أبدع هو أبدأ، فيسير في نهج سابقيه ويؤكّد على أنّ المعنى اللّغوي للابتداع ينحصر في البدء والإنشاء.

اصطلاحا:

يقترب المعنى اللّغوي كثيرًا من المعنى الاصطلاحي، **فالزّمخشري** يقول: "أبْدَعَ الشيءَ وابتَدَعَه: اخترعَه، وابتَدَعَ فلانٌ هذه الرَّكِيّةَ، وسِقاءٌ بديعٌ: جديدٌ."[3]، فابتدع الشّيء يعني اخترعه، ولكنه يضيف الجدّة، فالابتداع الإتيان بشيء لم يكن موجود أو جديد

لا يخالف **الجرجاني الزّمخشري** في التّعريف الاصطلاحي للابتداع فيقول: "فالإبداع والابتداع: إيجاد شيء غير مسبوق"[4]. فالابتداع إيجاد شيء غير مسبوق، أي إنشاء شيء جديد سواء في أمور دينيّة أو دنيويّة، فالابتداع الإتيان بشيء جديد قد يكون محمودًا أو مذمومًا، فهذا يرجع للغاية الّتي من أجلها ابتُدِع هذا الشيء، وهذا ما نحاول الحديث عنه، فالشّواهد البلاغيّة المبتدعة عند البلاغيّين المعاصرين يُقصد بها الشّواهد الجديدة المعتمدة في مصنّفاتهم البلاغيّة.

قد أشرنا سابقًا إلى المصطلحات اللّغوية الّتي تنتمي إلى نفس الحقل المعجمي للشّاهد، ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ الشّواهد في البلاغة تتّسع لتشمل المثال والحجّة، فهي يُؤتى بها للاستشهاد والدّلالة على

---

[1] الأزهري، تهذيب اللغة، مصدر سابق، ج 2، ص240.

[2] الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مصدر سابق، ص702.

[3] الزّمخشري، أساس البلاغة، مصدر سابق، ج1، ص50.

[4] علي بن محمَّد السّيد الشّريف الجرجاني، التّعريفات، مصدر سابق، ص9.

قضيّة بلاغيّة، فهي بيّنة على صحّة تلك القضيّة، وقد تكون برهانًا قاطعًا لها وإن كان باب النّزاع لا يُقفل، فهو سمة العقل البشري، ثم تحدثنا عن مصطلحي الاتّباع والابتداع، فالاتّباع والابتداع مساوي للتّقليد والتّجديد، وظهور الشّواهد البلاغيّة ارتبط بظهور البلاغة، فسنتطرق إلى المهاد التّاريخي للبلاغة ومصادرها.

الفصل الأول: الشّاهد البلاغي عند البلاغيين القدامى

المبحث الأوّل: المهاد التّاريخي للشّاهد البلاغي

المبحث الثّاني: قضايا الشّاهد البلاغي عند القدامى

المبحث الثّالث: عوامل استدعاء الشّاهد البلاغي عند القدامى

المبحث الأوّل: المهاد التّاريخي للشّاهد البلاغي

1- نشأة الشّاهد البلاغي

بدأ الشّاهد يأخذ معناه الاصطلاحي قديما، فقد ارتبطت نشأته بنشأة البلاغة، والبوادر الأولى لنشأتها كانت من العصر الجاهلي، وسنتتبّع مراحل نشأة البلاغة العربية تاريخياً.

1-1 البلاغة في العصر الجاهلي:

ارتبطت البلاغة في هذا العصر بالنّقد، وما كان يحصل في سوق عكّاظ وتلك الملاحظات الّتي كان يقدّمها النّابغة للشّعراء من تقويم ومفاضلة بينهم هي خير دليل على ذلك ، فذاع صيت النّابغة الذّبياني شهرة، حيث كانت تضرب له قبة حمراء ويأتيه الشّعراء من كل حدب وصوب ليعرضوا عليه أشعارهم قصد الاحتكام إليه، فيذكر ما أنشدّه الأعشى ثمّ ما أنشده حسّان بن ثابت الأنصاري قائلا:

"لنا الجفناتُ الغُرُّ يلمعن بالضُّحى وأَسْيَافُنَا يقْطُرْنَ من نَجْدَةٍ دَمَـا

ولَدْنا بني العنقاء وابْنَيْ مُـــحرّقٍ فأكرِم بنا خالاً وأكرِمْ بنا ابْنَما

فقال له النابغة «أنت شاعر» ولكنك أقللت جفانك، وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك، وإنما قال " أقللت جفانك وأسيافك " لأن " الجفنات" لأدنى العدد والكثير " جفان" وكذلك "أسياف" لأدنى العدد والكثير " سيوف"[1].

أخذت جملة هذه الملحوظات تنمو شيئًا فشيئًا، وتُعبّد الطّريق نحو سَيْرٍ حَسن، فمنذ ذلك الوقت التفوا إلى قضيّة اللّفظ والمعنى، وشكلت البذور الأولى للبلاغة ابتداء من العصر الجاهلي والأمثلة كثيرة

[1] عيد المتعال الصّعيدي، البلاغة العالية —علم المعاني – مكتبة الآداب للنّشر والتّوزيع، القاهرة، ط2، 1991م، ص34.
– راجع خبر النابغة وحسان في جمهرة أمثال العرب في الجاهلية والإسلام، لأبي زيد محمّد بن أبي خطاب القريشي تحقيق علي محمّد البجاوي، دار النّهضة، مصر، 1981م، ص79.

على تلك الملاحظات وكتب البلاغة تزخر بها، كما ننوّه بالمعلقات والقصائد الجاهليّة الّتي كانت زاخرة بالتّشبيه والاستعارة وغيرها من الألوان البلاغيّة، فقد اهتمّوا كثيرًا بفنون الكلام وهذا ما يعدّ دليلاً قطعيًّا على أنّ البلاغة تشغل حيّزا زمنيًّا بداياته من العصر الجاهلي، والحديث على المعلّقات يطول، ولكن لا بدّ أن نشير إلى أنّ بعض شعرائها كانوا ينقّحون قصائدهم حولًا كاملًا حتّى يطرحوها في أبهى حلّة وبأرقى أسلوب، لتحتل المكانة الّتي تستحقّها، والجاحظ يؤكّد هذه الحقيقة بقوله: «ومن شعراء العرب من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولاً كرِيتاً وزمناً طويلاً يردُّ فيها نظره، ويجيل فيها عقله ويُقلب فيها رأيه اتهاماً لعقله، وتتبُعاً على نفسه، فيجعل عقله زمامًا على رأيه ورأيه عيارًا على شعره اشفاقًا على أدبه، وإحرازًا لما خوّله الله تعالى من نعمه»[1]. كما لا يمكن إهمال خطباء العصر الجاهلي الّذين تفنّنوا وأبدعوا في خطبهم، وقد كان **قسّ بن ساعدة الإيادي** من أشهر خطبائهم، ولكنّ الخطابة لم تبلغ مكانة الشّعر في تلك المرحلة، وما وصلنا من أقوال في هذا الشّأن خير دليل على ذلك، فالبلاغة في هذا العصر كانت عبارة عن ملاحظات نقديّة، والملاحظ أنّ الشّواهد الشّعريّة هي السّمة الغالبة على هذه المرحلة، فالكتب البلاغيّة لا تكاد تخلو من الشّواهد الشّعريّة لهذا العصر.

1-2 البلاغة في العصر الإسلامي:

عرفت اللّغة تطوّرًا ملحوظًا، وذُهل النّاس من إعجاز القرآن الكريم، رغم أنّهم قد بلغوا من بلاغة الكلام وحسن البيان أرقى الدّرجات، "ومن أكبر الدلالة على ما حذقوه من حسن البيان أن كانت معجزة الرسول الكريم وحجَّته القاطعة لهم أنّ دعَا أقصاهم وأدناهم إلى معارضة القرآن في بلاغته الباهرة"[2]، فيعدُّ الرّسول ﷺ خطيب الأمّة، فهو لا ينطق عن الهوى، ولا يوجد من هو أفصح ولا أبلغ من سيد المرسلين الأولين والآخرين، وقد أعجز المشركين في ما يحسنون، وتحدّاهم بآيات الذّكر الحكيم،

---

[1] أبو عثمان عمرو بن الجاحظ، البيان والتّبيّين، تحقيق عبد السّلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1998م،ج2، ص9.

[2] شوقي ضيف، البلاغة تطوّر وتاريخ، دار المعارف، مصر، ط9، (د، ت)، ص9.

ولعلّ أكبر حجّة على ذلك اعتراف ألدّ خصومه بذلك، فيُروى أنّ **الوليد بن المغيرة**، وهو ألدّ أعدّاء الرّسول ﷺ سمعه يتلو " آي القرآن، فقال: والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه، وإنه ليحطم ما تحته وما يقول هذا بشر"[1].

يعدّ هذا أكبر دليل على فصاحة سيّد الأمّة ومبعوث العالمين، وقد كانت أحاديثه غاية في الدّقة والبلاغة، مما جعلها هي الأخرى تحظى باهتمام الدّارسين، فالأستاذ الرّافعي رحمه الله يقول: " لقد رأينا هذه البلاغة النّبويّة قائمة على أنّ كلّ لفظ هو لفظ الحقيقة لا لفظ اللّغة، فالعناية فيها بالحقائق، ثم الحقائق هي تختار ألفاظها اللغوية على منازلها، وبذلك يأتي الكلام كأنه نطق للحقيقة المعبر عنها، ومعلوم أنّه ﷺ لا يتكلّف ولا يتعمّل، ولم يكتب ولم يؤلف، ومع هذا لا تجد في بلاغته موضعًا يقبل التنقيح، أو تعرف له رقة الشأن، كأنما الألفاظ ومعانيها في كل بلاغته مقياس وميزان"[2].

إنّ الرّسول ﷺ كان مؤيّدًا من خالق البشريّة، فقد وهبه رشدًا قائدًا إلى الحقّ، فلغة الحقّ هي الّتي تختار ألفاظه وهذه في حدّ ذاتها معجزة، فقد مكنّه الله سبحانه وتعالى وجعل كلامه بليغًا لا يقبل التّنقيح أو التّعديل،وسار الخلفاء الرّاشدون على نهجه واتّبعوا خطاه، فكان كلامهم بليغًا، وألسنتهم متحليّة بالصّدق، ونطقهم مؤيّد بالحجّة، وعلى رأسهم أوّل خليفة للمسلمين أبو بكر الصّديق رضي الله عنه، فقد مرّ به رجل معه ثوب " فقال له: أتبيع الثوب؟ فأجابه لا، عافاك الله فقال أبو بكر رضي الله عنه: لقد علمتم لو كنتم

[1] شوقي ضيف، البلاغة تطوّر وتاريخ، مرجع سابق، ص9.
- راجع شيخ الإسلام، محمّد بن عبد الوهاب، مختصر سيرة الرّسول ﷺ، راجعه عبد الرّحمان بن ناصر البراك، عبد العزيز بن عبد الله الرّاجعي، محمّد العلي البراك، مطابع الفرزدق التّجاريّة، الرّياض، (د ط)، (د ت)، ص102.
[2] محمّد عبد المنعم خفّاجي – عبد العزيز شريف- علي علي صبح، الأدب الإسلامي : المفهوم والقضيّة، دار الجيل، بيروت، ط1، 1992م، ص122.

تعلمون، قل: لا، وعافاك الله"[1]، وهذا ما يدلّ على اهتمام الخليفة باللّغة، فهو يشير إلى قضيّة الوصل والفصل ويعلّمها للمسلمين، وكيف تؤثّر في المعنى، وقد سار الصّحابة على نهج سيّد الأوّلين والآخرين ﷺ ، فكانوا يستضيئون في خطبهم، بخطابة الرسول الكريم وبآيات الذّكر الحكيم، وقد كان سيّدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه "يُخرج الضّاد من أي شِدقيه شاء"[2]، وهذا يُبيّن أنّ الخليفة الفاروق كان من أفصح العرب لسانًا وأبلغهم،وقد بلغه" شعر قاله النعمان يذكر فيه الخمر، وهو:

ألا هل أتى الحسـناءَ أنَّ حليلَها   بميسانَ يُسقى في زجاج وحَنْتَمِ

إذا شئتُ غنتني دهاقينُ قـريـةٍ   ورقّاصةٌ تجثـو على كُلّ مِنْسِمِ

فإن كنتَ ندماني فبالأكبرِ اسِقني   ولا تسقِنـي بالأصغـرٍ المتثلّمِ

لـعـل أميـر المؤمنيـن يسـوءه   تنادُمنـا في الجـوسقِ المتهـدمِ

فقال عمر: نعم والله، إني ليسوءني، ومن لقيه فليخبره أني قد عزلته، وقال النعمان عندما قدم على عمر: والله ما شربتها قط، وما ذاك إلا شيء طفح على لساني. قال عمر: أظن ذلك، ولكن لا تعمل لي عملاً أبداً، وقد قلتَ ما قلت..."[3].

يوضّح هذا الشّاهد روح الإسلام الّتي أصبحت تختلج نفوس المسلمين، فرغم أنّ الشّاعر عبّر عمّا يختلج في نفسه إلاّ أنّ الشّعر الّذي قاله يتناف مع ما جاء به الإسلام، فالفاروق قد ساءه حديث النّعمان عن الخمر، وهذه الرّؤية لا يبصرها إلاّ حاذق في اللّغة، ولا يعرفها إلاّ بليغ، فلو تجاوزها وعفى عنه لشاع هذا

---

[1] أبو عثمان عمرو بن الجاحظ، البيان والتّبيّن، مصدر سابق، ج1، ص261.
- راجع شوقي ضيف، البلاغة تطوّر وتاريخ ، مرجع سابق، ص14.

[2] أبو عثمان عمرو بن الجاحظ، البيان والتّبيين، مصدر سابق، ج1، ص62.

[3] وليد قصّاب، من قضايا الأدب الإسلامي، دار الفكر، دمشق، ط1، 2008م، ص42.

الأمر بين المسلمين، وأصبحوا يتغنون بهذه الأبيات، فجاء ردّه صاعقاً دالاًّ على اطّلاعه وبلاغته،أمّا ثالث الخلفاء سيّدنا عثمان بن عفان ﵁ فقد كان أسلوبه يتّسم بالسّهولة والبعد عن التّقعر، فقد كان مثله مثل سابقيه ينأى عن حوشي الكلام والسّجع المصطنع، وقد جاء " عن الحسن البصري: أن عثمان بن عفان ﵁ خطب الناس، فحمدَا الله وأثنى عليه، ثم قال: (أيها الناس، اتقوا الله فإن تقوى الله غُنْم، وإنَّ أكيسَ الناس من دانَ نفسه وعمل لِما بعد الموت، واكتسب من نور الله نورًا لظلمة القبر، ولْيَخْشَى عبدٌ أن يحشرَه الله أعمى وقد كان بصيرًا. وقد يكفي الحكيمَ جوامعُ الكَلِم، والأصمُّ يُنادَى من مكان بعيد. واعلموا أن من كان الله معه لم يَخَفْ شيئًا، ومن كان الله عليه فمن يرجو بعده؟!) "[1]، فهذه إحدى خطب سيّدنا عثمان، والملاحظ أنّها سهلة العبارة، قويّة المعنى، تنفذ مباشرة إلى المتلقي، تدلّ على بلاغته وفصاحته، وكذلك على اهتمامه بالمسلمين وموعظته لهم، فخير عمل بني آدم ما كان لآخرته، ويعدّ سيّدنا علي بن أبي طالب ﵁ من أبلغ الصّحابة، وقد ارتبط اسمه بالخطابة ارتباطًا وثيقًا، فكان حُجّة المسلمين، وكتب الأدب العربي شاهدة على ذلك، وقد عُرِف صحابة الرّسول ﷺ بالبلاغة والفصاحة.

3-1 البلاغة في العصر الأموي:

يعدّ العصر الأموي مرحلة انتقاليّة في حياة المسلمين، فقد تبدّلت الأوضاع تبدّلاً ملموساً، فقد كانت الحياة الجاهليّة تعتمد على الشّعر، به مفاخراتهم ومخاصماتهم، ولكنّ الإسلام قضى على تلك العصبيّة، وقد ابتعد بعض الشّعراء المخضرمين عن الشّعر مثل لبيد بن أبي ربيعة، وامتثلوا لقول الرّسول ﷺ: " لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا فيريه خير له من أن يمتلئ شعراً "، وهكذا فُتح الباب أمام النّثر استجابةً لظروف الدّولة الأمويّة، فقد كان لسان الدّولة الإسلامية، فبه تُكتب العهود وتُحرر الرّسائل، وتُكتب المواثيق والعهود ...، كما عرفت الخطابة انتشاراً واسعاً، وقد عُرف أكثر من خطيب في هذا العصر

[1] ابن كثير، البداية والنّهاية، مكتبة المعارف، بيروت، (د ط)، 1992م، ج7، ص215.
راجع: عبد السّتار شيخ، عثمان بن عفان الحي السّخي ذو النّورين، دار القلم، دمشق، ط1، 2014م، ص 100.

ولعلّ زياد والحجاج يعدّان من أشهر الخطباء السّياسيّين، و"هذا عصر سارت الشجاعة فيه وراء البيان، وملك اللسان منه ما لم يملك السيف، وتسابق الناس فيه إلى غاياتهم، بحسب مقالاتهم، وقد رأوا المثل الأعلى في الكتاب العزيز فتساموا إلى طريقة في الإقناع، وإقامة الحجة، واقتبسوا من لفظه، واستعانوا بروحه فحيوا في بلاغتهم حياة جديدة"[1]، فالخطباء استعانوا بالقرآن لصقل خطبهم وكسب مؤيّديهم بالحجّة القاطعة وإقناعهم، فجاءت خطبهم بليغة، ولا ضير أن نشير إلى إحدى خطب الحجّاج إذ قال: "اللهم أرِنِي الهُدَى هدًى فأتّبِعَهُ، وأرِني الغَيَّ غَيًّا فأجتنبَه، ولا تكِلْني إلى نفسي فأضلَّ ضلالاً بعيدا. والله ما أُحِبُّ أنَّ ما مضى من الدُّنيا لي بعمامتي هذه، ولَمَا بَقي منها أشبَهُ بما مضى من الماء بالماء"[2]، فهذا دليل على بلاغة الرّجل، والكثير يشهد له بذلك، فكتب البلاغة تزخر بخطبه وخطب بني أميّة، ولم تقتصر الخطابة على بني أميّة فقط، فقد عرف الوضع السّياسي احتدامًا مما عجل بظهور طوائف وفرق، ومن أبرزها الشّيعة والخوارج، فكانت اللّغة السّبيل الوحيد لشحذ الهمم، وكان لا بدَّ للخطيب أن يكون فصيحًا وبليغاً إضافة لامتلاكه الآليات الإقناعيّة، ورغم ما عرفه هذا العصر من فتن وتناحر سياسي، إلاّ أنّ الخطابة ميّزته بدون منازع، ولكن هذا لا يعني أنّ المسلمين قد تخلّوا عن الشّعر، فهو ضرورة وجوديّة بالنّسبة لهم، وقد أقيمت أسواق شعريّة على شاكلة الأسواق الّتي كانت تقام في الجاهليّة، ومن أشهرها سوق مربد في البصرة وسوق الكناسة في الكوفة الّتي عرفت وفوداً من الشعراء، يتسابقون لعرض أشعارهم فكانت بمثابة مناظرات يحضرها الكثير من النّاس، كما فتح الملوك أبوابهم للشّعراء، ممّا جعلهم يتنافسون فيما بينهم، إلى أن وصلوا إلى الخصومة فكان الهجاء الغرض المناسب في هذا المقام، ويعتبر جرير والفرزدق رائدا هذا الضّرب، ولكن لم يسلم الشّعراء من التّصويب إذا وقعوا في الزّلل وهذا ما حدث لابن قيس الرّقيات" لـمَّا أنشد لعبد الملك قصيدته البائية فيه لما انتهى إلى قوله:

---

[1] مُحَمَّد أبو زهرة، الخطابة أصولها، تاريخها في أزهى عصورها عند العرب، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، 1980م، ص301.

[2] أبو عثمان عمرو بن الجاحظ، البيان والتّبيين، مصدر سابق، ج1، ص 137.

يأْتَلِقُ التاَّجُ فَوقَ مِفْرَقِهِ   على جَبِينٍ كَأنَّهُ الذَّهَبُ

فغضب عبد المالك وقال: قد قلت في مصعب بن الزبير:

إنَّما مُصْعَبٌ شِهابٌ من الله   تَجَلَّتْ عن وَجْهِه الظَّلَمَاءُ

فأعطيته المدح بكشف الغمم وجلاء الظلم، وأعطيتني من المدح ما لا فخر فيه"[1].

هذه ملاحظة دقيقة فيجب أن يكون المدح بالفضائل النّفسية لا بأوصاف الجسم وما يتّصل بها، وقد أحضر شاهدًا من شعر قيس في مدحه لمصعب بن الزّبير، وهذا يدّل على سعة اطّلاع عبد الملك، وتذوّقه للشّعر، وهذه الملاحظة استغلّها قدامة في كتابه "نقد الشّعر"، فقد كانوا يهتمّون باللّفظ والمعنى، وهناك الكثير من الشّواهد الشّعريّة لهذا العصر، فقد كانت الملاحظات البيانيّة كثيرة، وقد عرفت البلاغة في هذا العصر تطوّرًا بفضل فنّي الخطابة والشّعر، فلا يمكن لأي خطيب أو شاعر أن يتخلّى عن البلاغة، فهي قوّته وحجّته، فهو يحارب بالكلمة ويكسب التّأييد بها، ويعبّر بها عمّا يختلجه من مشاعر، فهكذا خطت البلاغة في هذا خطوات نحو الأمام، مستجيبة لظروف العصر ومتطلّباته.

1- 5 البلاغة في العصر العبّاسي:

كان لتطوّر الحضارة العربيّة واتساعها الأثر البالغ في البلاغة، فقد تطوّرت الملاحظات البلاغيّة، كما كان للتّرجمة دورٌ واضحٌ خاصة مع تأسيس دار الحكمة، فراح الأدباء يترجمون كتب الحضارات السّابقة، وخير مثال **ابن المقفّع (ت 143هـ)** الّذي ترجم كثيرًا عن الكتب الفارسيّة، وعرف النّثر والشّعر أزهى صوره في هذا العصر، "ولا يلبث ابن المقفع أن يضع قاعدة مهمّة لكلّ متكلّم أن يكون في فاتحة كلامه ما يشير إلى غرضه، وهو ما سمّاه فيما بعد أصحاب البديع باسم حسن الاستهلال"[2]، فهذه بعض

[1] شوقي ضيف، البلاغة تطوّر وتاريخ، مرجع سابق، ص18.

[2] المرجع نفسه، ص 21.

الملاحظات البلاغيّة الّتي أشار إليها ابن المقفّع، وهي دليل على بلاغة الرّجل وسلاسة أسلوبه، وقد زاد اهتمام الدّارسين بإعجاز القرآن الكريم، كما لا يمكن إغفال العلماء الّذين اهتموا بالقرآن الكريم وبلاغته، فنجد **الفرّاء (ت207هـ)** صاحب كتاب (معاني القرآن)، الّذي شرح آيات القرآن، وتحدث عن التّقديم والتّأخير والإيجاز والإطناب، وقد عاصر أحد أعمدة اللّغة وهو أبو عبيدة **معمر بن المثنى (ت208هـ)** مؤلف كتاب (مجاز القرآن) الّذي يعدّ من أساطين البلاغة، فقد ألفّ هذا الكتاب ردًّا على إبراهيم بن إسماعيل الكاتب، "الّذي سأله عن قوله تعالى:﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝٦٥﴾ [الصّافات:65]، وإنّما يقع الوعد والوعيد، بما عرف مثله، وهذا لم يعرف ...فيجيب أبو عبيدة على هذا التساؤل بقوله: وإنما كلم الله تعالى العرب على قدر كلامهم، وامرؤ القيس يقول:

أيقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال

فشبه سنان سيفه بأنياب الغول، وهم لم يروا الغول قط، ولكن لمّا كان أمر الغول يهولهم أوعدوا به، أي أنّ هذا التّشبيه جاء حملاً على مذهب العرب في تسميتهم كل ما يستعظمونه شيطانًا"[1]، فعزم تأليف كتابه للرّد على مثل هذه المسائل، وكلمة مجاز عنده تعني الطّرق الّتي يسلكها القرآن في تعبيراته، وهذا المعنى أعمّ من المعنى الّذي جُعل للمجاز فيما بعد، وهذا مثال على ما جاء في كتاب مجاز القرآن:

"وفي قوله تعالى:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ۝١٧٥ ﴾ [البقرة: 175]، فمجازها: «ما الذي صبّرهم على النار، ودعاهم إليها، وليس بتعجب» "[2]، وقد أشار أبو عبيدة في تفسيره لآي الذّكر الحكيم إلى بعض المسائل البلاغيّة

[1] عبد القادر حسين، المختصر في تاريخ البلاغة، دار غريب للطّباعة والنّشر، القاهرة، (د ط)، 2001م، ص19 ص20.
[2] المرجع نفسه، ص20.

كالإيجاز والإطناب، والواضح أنّ أبا عبيدة كان سباقًا لتأليف أوّل كتاب يبحث في أسلوب القرآن. جاء في البيان والتّبيين أنّ بشر بن المعتمر مرّ بإبراهيم بن جبلة بن مخرمة الشوكني الخطيب "وهو يعلم فتيانهم الخطابة، فوقف بشر فظن إبراهيم أنه أنما وقف ليستفيد أو ليكون رجلاً من النظارة، فقال بشر: اضربوا عما قال صفحًا واطؤوا عنه كشحًا، ثم دفع إليهم صحيفة من تحبيره وتنميقه،... قال بشر: فلما قُرئت على إبراهيم، قال لي: أنا أحوج إلى هذا من هؤلاء الفتيان "[1]، وتعدّ هذه الصّحيفة أوّل وثيقة بلاغيّة نقديّة، ولها أهمّية كبيرة فيما وصلت إليه المباحث البلاغيّة فيما بعد، ولعلّ الدّليل على أهمّيتها هي أنّ الجاحظ قد أوردها في كتابه البيان والتّبيين، وقد حملت هذه الصّحيفة العديد من الملاحظات البلاغيّة.

لا بدّ من الإشارة إلى أنّ هذا العصر عرف طوائف، فنجد طائفة معلمي اللّغة والنّحاة، وطائفة المتكلّمين الّذين عنوا بالبلاغة، فقد اشتدّ الصّراع بينهم منذ عصر بني أميّة واستمر في هذا العصر، وعرف المعتزلة بشيوخهم وروادهم، ومن أبرز شيوخهم النّظّام، ويظهر "معتزلي كبير – هو **الجاحظ** المتوفى سنة 255 للهجرة – لدرس شؤون البلاغة، فيؤلف كتاب البيان والتّبيين في أربعة مجلّدات كبار جامعاً فيه ملاحظات الأجانب"[2]، والمتصفّح لكتاب البيان والتّبيين يجد تعريفات عديدة للبلاغة غير أنّ الجاحظ استحسن هذا التّعريف: " وقال بعضهم: وهو أحسن ما اجتبيناه ودوّناه ....

لا يكون الكلام يستحق البلاغة، حتى يسابق معناه لفظه، ولفظه معناه، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك"[3]. فخرج الجاحظ بقاعدة للبلاغة ألا وهي مناسبة اللّفظ للمعنى، فقد كان

---

[1] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان و التّبيين، مصدر سابق، ص135 –ص136.

[2] شوقي ضيف، البلاغة تطوّر وتاريخ، مرجع سابق، ص 46.

[3] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتّبيين، مصدر سابق، ج1، ص115..

سبّاقًا لفكرة مراعاة الكلام لمقتضى الحال، كما أنّه قد عرّف الحقيقة والمجاز فقال: " الحقيقة تعني استعمال اللفظ فيما وضع له أصلاً، والمجاز يعني استعمال اللفظ في غير ما وضع له، لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي"[1]. فالحقيقة عند الجاحظ تقابل المجاز الّذي يعدّ من مقوّمات البلاغة العربيّة، ورغم ما قام به الجاحظ إلاّ أنّه لم يسلم من النّقد، ولكن لا يجوز الحكم على الجاحظ بمقاييس العصر الحديث، ففيه إجحاف بحق الرّجل، فهو يعدّ رمزًا من رموز البلاغة العربيّة وأوّل دارسيها.

يعدّ **عبد الله ابن المعتّز (ت296هـ)** مؤسس علم البديع، فأضاف لونا جديدا للبلاغة العربيّة، حيث قال في مصنّفه «البديع» " وما جمع فنون البديع ولا سبقني إليه أحد "[2]، وهذه إشارة واضحة إلى أنّه كان السّباق للتّأليف في هذا اللّون ، فهو مكتشف علم البديع، ولكنّه أشار إلى سبعة عشر لونًا فقط بينما بلغ عند "صَفِيّ الدّيْن الحِلّي" مئة وأربعين لونا، ولكن ما يلفت النّظر أنّ ابن المعتز استخدم مصطلح البديع بمدلوله العام فهو يشمل كلّ الصّور والأساليب البلاغيّة "فابن المعتز يعتبر الاستعارة من البديع. بل إنه يعتبرها الباب الأول من البديع ويعالجها في أول الكتاب. وقد ظلّ مصطلح البديع يستخدم بهذا المدلول العام ولم يأخذ مفهومه البلاغي المحدد إلا في أواخر القرن السابع الهجري"[3]، وقد حصر ابن المعتّز البديع في خمسة فنون وهي: الاستعارة، والتّجنيس، والمطابقة، ورد أعجاز الكلام على ما تقدمها، والمذهب الكلامي.

نجد **القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني (ت366هـ)** في كتابه «الوساطة بين المتنّبي وخصومه»، والملاحظ من خلال العنوان أنّه أراد أن يتوّسط بين المتنّبي وخصومه، ويتحدّث في كتابه عن الاستعارة، ولاحظ أنّ بعض النّاس يخلطون بينها وبين التّشبيه البليغ، فيقول: "وربما جاء من هذا الباب ما يظنه

---

[1] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السّلام مُحَمَّد هارون، ط2، 1965م، ج1، ص91.

[2] أبو العبّاس عبد الله بن المعتّز، البديع، موسوعة علوم اللّغة العربيّة، علم البلاغة، شرحه وحقّقه عرفان المطرجي، مؤسّسة الكتب الثّقافيّة، بيروت، لبنان، ط1، 2012م. ص5.

[3] علي عشري الزّايد، البلاغة العربيّة تاريخها- مصادرها- مناهجها، مكتبة الشّباب،القاهرة، (د ط)، 1982م، ص 109.

النّاس استعارة وهو تشبيه أو مثل، فقد رأيت بعض أهل الأدب ذكر أنواعًا من الاستعارة عدَّ فيها قول أبي نواس:

والحبُّ ظَهْرٌ أَنت راكبُـــهُ   فإذا صرفتَ عِنـــانَـه انْصَـرَفَـــا

ولست أرى هذا وما أشبهه استعارة، وإنما معنى البيت أنّ الحب مثل زَهْر أو الحب كظهر تديره كيف شئت إذا ملكت عنانه، فهو إما ضربُ مثلٍ أو تشبيهُ شيء بشيء"[1]، فهو بذلك يحاول الفصل بين الاستعارة والتّشبيه، ثمّ ينتقل إلى التّجنيس فيقسّمه أقساماً منه المطلق الّذي سُمّي عند بعض البلاغيّين باسم جناس الاشتقاق، ومنه المستوفى، وهو الجناس الكامل، كما أشار كذلك إلى المطابقة، والتّقسيم، والتّصحيف، وبذلك يكون قد عالج ألوان البديع، ثمّ يتحدّث عن الشّعراء القدامى والمحدثين وخاصة أبا نوّاس وأبا تمّام مبيّنا ما في شعرهما من جيّد ورديء، ثمّ يتوجّه للحديث عن المتنّبي، كما أنّه قد خصّصّ فصلا للحديث عن السّرقات الشّعريّة، وهكذا فقد أشار الجرجاني إلى بعض المباحث البلاغيّة.

يعدّ **أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحي الآمدي (ت370هـ)** من الّذين تأسّست دراساتهم النّقدية في جوهرها على أسس بلاغيّة، ويظهر ذلك في كتابه «الموازنة بين شعر أبي تمّام والبحتري»، ونجده قد استهلّ كتابه ببيان أنّ في الشّعر مذهبين، أمّا الأوّل فهو مذهب المطبوعين ويمثّلهم البحتري، والثّاني هو مذهب المتكلّفين ويمثّلهم أبو تمام، ويعرض احتدام الجدل في المذهبين، فقد رأى أصحاب أبي تمّام أنّه أتى بمذهب جديد في الشّعر، أمّا البحتري فقد كان مقلّدًا، ولكنّ أصحاب البحتري قد ردّوا عليهم بأنّ صاحبهم مقلّد لمسلم بن الوليد، والآمدي بعد عرضه لجدال الفريقين يتطرّق إلى بيان أنّ كلّ شاعر لم يَسلمْ من الطّعن في شعره حتىّ شعراء الجاهليّة كامرئ القيس، ويعرض الآمدي مجموعة من الاستعارات القبيحة الّتي جاءت في شعر أبي تمّام، كقوله:

[1] علي بن عبد العزيز الجرجاني، الوساطة بين المتنّبي وخصومه، تحقيق مُحَّد أبو الفضل إبراهيم – علي مُحَّد البجاوي، المكتبة العصريّة، بيروت، ط1، 2006م، ص54.

يا دهرُ قوّمْ من أخْدَعيْك فقــد　　　أضْجَجْتَ هذا الأَنامَ من خُرُقِك[1]

الآمدي ينتقد أبا تمّام انتقادًا مرًّا على استخدامه مثل هذه الاستعارات الغريبة، ويراها "استعارات في غاية القباحة والهجانة والغثاثة والبعد عن الصيانة"[2]، وأبدى الآمدي اهتماما كبيرا بالاستعارة، فهي لا تستعمل إلاّ فيما يليق بالمعاني فاللّفظ لا يستعار لما ليس له إلاّ إذا كان يقاربه أو يناسبه أو يشبهه في بعض أحواله ثمّ ينتقل إلى البحتري فيذكر له بعض السّرقات، ثم أشار إلى اضطراب أوزانه، ولكن بقدر قليل مقارنة مع أبي تمام، ، كما تحدّث عن الجناس الرّديء والجيّد، والطّباق مما يدخل في باب البديع.

يعدّ **علي بن عيسى بن علي بن عبد الله أبو الحسن الرّماني (ت 386هـ)** أحد أعلام المعتزلة الّذي تحدّث عن البلاغة في رسالته المسمّاة " النكت في إعجاز القرآن الكريم"، وقد كتب هذه الرّسالة جوابًا على سؤال لشخص طلب منه تفسير تلك النّكت في إجمال وبدون تطويل في الحجاج، وفي حديثه عن البلاغة فإنّه يحصرها في ثلاث طبقات: " منها ما هو في أعلى طبقة، ومنها ما هو في أدنى طبقة، ومنها ما هو في الوسائط بين أعلى طبقة وأدنى طبقة"[3]، فالعليا بلاغة القرآن، والوسطى والدّنيا بلاغة البلغاء حسب تفاوتهم، ويقسّم البلاغة إلى عشرة أبواب قائلاً: " والبلاغة على عشرة أقسام: الإيجاز والتشبيه والاستعارة والتلاؤم والفواصل والتجانس والتصريف والتضمين والمبالغة، وحسن البيان ونحن نفسرها بابًا بابًا إن شاء الله"[4]، ويفصّل الحديث في كلّ قسم من هذه الأقسام مبتدئا بتعريفه، ثمّ مصوّراً شُعبَه، ممثّلا بآي الذّكر الحكيم. "وأول قسم وقف عنده هو الإيجاز، وقد عرّفه بأنه تقليل الكلام من غير

[1] أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي، الموازنة بين البحتري وأبي تمّام، تحقيق أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ط4، 1992م، ص261.

[2] المصدر نفسه، ص265.

[3] الرّماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق محمّد خلف الله، محمّد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط3، 1976م، ص75.

[4] المصدر نفسه، ص76.

إخلال بالمعنى ثم قال إنه على وجهين: إيجاز حذف .. والوجه الثاني أو النوع الثاني للإيجاز إيجاز القصر"[1]، كما أنّه بحث في التّشبيه والاستعارة بحثا دقيقاً وفرّق بينهما، لينتقل للحديث عن التّلاؤم ويريد به حسن النّظم والرّصف، واستفاد من الجاحظ في هذا الموضع، كما فرّق بين فواصل القرآن والأسجاع، والجاحظ ليس الوحيد الّذي استفاد منه الرماني، فقد أفاد من جهود سابقيه من علماء البلاغة، كما استفاد المتأخرّون منه، وكلّ هذا في سبيل البحث في وجوه إعجاز القرآن والكشف عن أسراره البلاغيّة العجيبة الّتي لم يشهد لها مثيل، ولكن لا بد من التّوضيح أنّ الرماني أضاف في حديثه عن البلاغة إضافات جديدة، فقد حدّد بعض فنونها تحديدًا دقيقًا.

استمرّ نمو البحث البلاغي وذلك على يد **أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت395هـ)** صاحب كتاب "الصّناعتين"، ويقصد بالصّناعتين الكتابة والشّعر، وفي مقدمة الكتاب نوّه بعلم البلاغة، وأشار إلى أنّه ضروري لفهم إعجاز القرآن الحكيم، وللتّمييز بين جيّد الكلام ورديئه، ويذكر كتاب البيان والتّبيين للجاحظ ويثني عليه ثمّ ما يلبث أن يقول أنّه صنّف هذا الكتاب لسدّ نقص كتاب الجاحظ، مقسّمًا إيّاه إلى عشرة أبواب:

- **الباب الأوّل**: في الإبانة عن موضوع البلاغة في أصل اللّغة وما يجري معه من تصرف لفظها وذكر حدودها.
- **الباب الثّاني**: في تميّز الكلام جيّده من رديئه ومحموده من مذمومه.
- **الباب الثّالث:** في معرفة صنعة الكلام.
- **الباب الرّابع:** في البيان من حسن السّبك وجودة الرّصف.
- **الباب الخامس:** في ذكر الايجاز و الإطناب.

[1] شوقي ضيف، البلاغة تطوّر وتاريخ، مرجع سابق، ص104.

- **الباب السّادس**: في حسن الأخذ وقبحه وجودته ورداءته.
- **الباب السّابع**: القول في التّشبيه.
- **الباب الثّامن**: في ذكر السّجع والازدواج.
- **الباب التّاسع**: في شرح البديع والإبانة عن وجوهه.
- **الباب العاشر**: في ذكر مقاطع الكلام ومبادئه والقول في الإساءة في ذلك والإحسان فيه"[1]

ومن الواضح أنّ أبا هلال استفاد من النّقاد والبلاغيّين الّذين سبقوه أو عاصروه، فقد وشّح كتابه بالكثير من الأمثلة محلّلا إيّاها تحليلا يدلّ على ذوقه الرّفيع وإحساسه المرهف.

أبو علي حسن بن رشيق القيرواني (ت456هـ) صاحب كتاب «العمدة في محاسن الشّعر وآدابه ونقده»، والكتاب في جزءين، واستهلّ الحديث عن فضل الشّعر، وقد أفرد باباً للبلاغة يذكر فيها بعض تعريفاتها المبثوثة في كتاب البيان والتّبيين، ويفتح للإيجاز بابًا ويتلوه بباب للبيان وآخر للنّظم، وجعل الاختراع للمعنى والإبداع للّفظ، ويأخذ في الحديث عن البديع وفنونه منّوها بصاحبه ابن المعتّز، ثمّ باب في المجاز وإنّما أراد به طرق القول الّتي تحتاج شيئا من التّأويل، ويؤكّد ما قاله ابن قتيبة " لو كان الكلام كذبًا لكان أكثر كلامنا باطلاً"[2]، ويرى أنّ المجاز أبلغ من الحقيقة، ويعقد فصلا عن الاستعارة متحدّثا فيها بإسهاب عن فنونه، ناقلا عن علي بن عبد العزيز الجرجاني والرّماني وابن وكيع المصري، ويفرد فصلا للتّمثيل، ثم يتحدّث عن التّشبيه مستفيدا من سابقيه، ومستنيرا ببحوثهم السّابقة، ويذهب إلى التّجنيس ذاكرا أنواعه الكثيرة كالمحقّق، المضارعة، النّاقص، المشاكلة، المنفصل، التّرديد، التّصدير، المطابقة، المقابلة،

---

[1] أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، الصّناعتين، تحقيق محمّد البجاوي، محمّد أبو الفضل ابراهيم، دار إحياء الكتب العلمية، عيسى البابي الحلبي، ط1، 1952م، ص5.

[2] ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشّعر وآدابه ونقده، حقّقه وفصله وعلّق حواشيه، محمّد محي الدّين عبد المجيد، دار الجيل، سوريا، ط5، 1981م، ج1، ص266.

التّقسيم الّذي أشار فيه إلى اختلاف وجهات النّظر، والتّسهيم متابعا في ذلك ابن هارون المنّجم بينما قدامة وأبو هلال أطلقا عليه مصطلح «التّوشيح»، وسمّاه ابن الوكيع «المطمع»، التّفسير، الاستطراد، التّفريع الّذي أدرجه وأتبعه للاستطراد، التّتميم، المبالغة، الإيغال، الغلو ويشار له أيضًا بالإغراق والإفراط، أمّا «الإغراق» فقد ورد عند القاضي الجرجاني في كتابه الوساطة وغيرها من الأبواب الّتي ذكرها في التّخصيص للبلاغة من مديح، وافتخار ورثاء وهجاء، ولا بد من الإشارة إلى دقّة صاحب العمدة في جمعه للآراء المتقابلة في الفنون المختلفة، كما يُلاحظ أنّه كان حسن التّدقيق وحسن الاختيار، فجمع فن الرّواية إلى علم الدّراية، ففرّق بين ألوان لطالما اختلطت حدودها فكان له يد في البلاغة العربيّة لا تقلّ في صنيعها عن صنيع غيره من كبار البلاغيّين، وهذا ما جعله يحظى بإشادة الدّارسين ولعلّ في هذا نورد قول عبد الرّءوف مخلوف: " تدور مباحث كتاب العمدة حول النقد والبلاغة، وله ذلك الباع الذي لا يطاول"[1]، وهذا دليل على نبوغ ابن رشيق القيراوني فهو قدّم مباحث في النّقد والبلاغة، مما خدم البلاغة وسار بها نحو الازدهار.

1-6 مرحلة الازدهار:

يحتل الشّيخ **الإمام أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان بن مُحَّد الجرجاني (ت471هـ)** مكانة كبيرة في تاريخ البلاغة، إذ استطاع أن يضع نظريتي علمي المعاني والبيان وضعا دقيقا، وبهذا يتضّح لدارس البلاغة أنّ هذه المرحلة هي مرحلة الازدهار وهي تمثّل القرن الخامس هجري، وذلك بفضل مؤلفات عبد القاهر الجرجاني الّتي مازالت لحدّ الآن تحظى باهتمام الدّارسين، ونخصّ منها بالذّكر كتابي «دلائل الإعجاز» و «أسرار البلاغة»، ومن البصمات القوّية الّتي رسمها عبد القاهر الجرجاني على وجه الدّرس البلاغي واللّغوي، الارتقاء بالنّحو من كونه درسا لقواعد الإعراب إلى كونه أساسا في بلاغة الكلام، وسرّا في براعة النّظم وحسن الدّلالة، فكان صاحب نظريّة النّظم والّتي حدّد لها تعريفا بقوله:

[1] عبد الرّءوف مخلوف، نوابغ الفكر العربي ابن رشيق القيرواني، دار المعارف، مصر،، (د ط)، 1946م، ص73.

"معلوم أنّ ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب من بعض، والكلم ثلاث: اسم وفعل وحرف وللتعليق فيما بينها طرق معلومة"[1]، وهو بهذا يوضّح أنّ النّظم هو تعلق الكلم ببعضه، ويوضّح أنّ الكلم ثلاث: اسم وفعل وحرف تتعالق فيما بينها وفق طرق معلومة داخل إطار نحوي واضح.

إنّ نظريّة النّظم الّتي وضعها عبد القاهر الجرجاني قامت على أنّ النّحو ليس مجرد العلم للّغة وإقامة الإعراب، وإنمّا هو لطائف شتّى تتضمّن سرّ الإبداع، فيقول:" اعلم أنّ ليس النظم إلّا أن تضع كلامك الموضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصله وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم، التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها. وذلك أننا لا نعلم شيئًا يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وخروقه فينظر في الخبر في الوجوه التي تراها "[2].

كما تحدّث عبد القاهر الجرجاني عن مباحث بلاغيّة في دلائل الإعجاز وعقد فيها فصولاً، نذكر منها: التّقديم والتّأخير والحذف، بابًا في الفصل والوصل، وبابًا في اللّفظ والنّظم، ثم عقد فصلاً في فنّ المجاز، فصلاً في «الكناية»، «الاستعارة»، «التّمثيل»، وفصلاً في تحقيق القول في " الفصاحة والبلاغة"، فقد أخرج مباحث البلاغة من حال التّشتت والغموض إلى حال الانتظام والجلاء، فجمع مباحث علم المعاني في كتاب مستقلّ هو "دلائل الإعجاز"، وعلم البيان في كتاب مستقلّ هو "أسرار البلاغة".

ركزّ عبد القاهر الجرجاني في كتابه "أسرار البلاغة" على مباحث هامّة في علم البيان المتمثلّة في التّشبيه، التّمثيل والاستعارة قائلاً في ذلك: " وأول ذلك وأَولاه، وأحقه بأن يستوفيه النظر ويتقصاه ، القول على «التشبيه» و«التمثيل» و«الاستعارة» فإن هذه أصول كبيرة، كأنّ جلّ محاسن الكلام –إن لم

---

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمّد رضوان الدّاية، فايز الدّاية، دار الفكر الإسلامي، دمشق، ط1، 1428هـ، 2007م، ص23-24.

[2] المصدر نفسه، ص24.

نقل كلّها- متفرّعة عنها وراجعة إليها. وكأنّها أقطاب تدور عليها المعاني في متصرفاتها، وأقطار تحيط بها من جهاتها..."[1].

يبيّن عبد القاهر الجرجاني أهمّية هذه الأصول الثّلاثة، فمحاسن الكلام وجماله لا يتأتّى إلاّ من خلال هذه الأصول، كما أشار إلى بعض ألوان البديع، كالتّجنيس وأنواعه، السّجع، فالمسائل البلاغيّة الّتي تحدّث عنها عبد القاهر الجرجاني قد تناولها سابقوه بالدّرس والنّظر والتّحليل، فلم يسبق إليها ولكنّه مع ذلك هو واضع علم البيان، لأنّ البلاغيين بحثوا في هذه المسائل "ولكنهم لم يحرروها ولم يبحثوا دقائقها على نحو ما بحثها وحرّرها عبد القاهر في كتابه "أسرار البلاغة"، فقد ميّز أقسامها وفروعها وحلّل أمثلتها تحليلا بارعا في نحو أربعمائة كتاب"[2].

يعتبر عبد القاهر الجرجاني واضع نظريتي النّظم أو الأسلوب – علم المعاني فيما بعد - والبيان، "وواضح أنّه لم يحاول وضع نظريّة في علم البديع، وإن كان فصَّل القول في أسرار البلاغة عن الجنّاس والسّجع وحسن التّعليل وأشار غير مرة إلى الطّباق، ولكنّه لم يحاول وضع نظريّة عامّة له، ولو صنع لأعفى أصحاب البديع من توزُّع مباحثهم فيه توزُّعاً حال بينه وبين أن تصبح له نظريّة متشابكة على نحو نظريتي المعاني والبيان"[3]، فالبلاغة العربيّة على امتداد تاريخها لم تعرف عبقرية بمنزلة عبد القاهر الجرجاني، إذ عرفت معه منعطفا زاهرا، خرجت به من التّشتت إلى الانتظام، ومن الإجمال إلى التّفصيل، وعدم الاعتماد على التّذوق كليًّا بل ضرورة دمجه مع الذّكاء والفطنة والمنطق.

يعدّ الإمام **أبو قاسم جار الله محمود بن عمر الزّمخشري (ت 538هـ)** من أساطين البلاغة، وهذا بفضل مؤلفاته ونخصّ بالذّكر «تفسير الكشاف»، ومعجم "أساس البلاغة" المشهور، وهو يورد فيه المعاني

[1] عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تحقيق محمود محمّد شاكر، دار المدني، جدّة، ط1، 1412هـ، 1991م، ص27.
[2] شوقي ضيف، البلاغة تطوّر وتاريخ، مرجع سابق، ص190.
[3] المرجع نفسه، ص 218 – ص219.

اللّغوية للكلمة ثمّ ينتقل إلى معانيها المجازية، أما كتابه الثّاني "تفسير الكشّاف"، فهو الّذي نال شهرة كبيرة لتناوله تفسير القرآن الكريم بصورة رائعة، ويقول في مقدمته: "فالفقيه وإن برز على الأقران في علم الفتاوى والأحكام، والمتكلم وإن بَزَّ أهل الدنيا في صناعة الكلام، وحافظ القصص والأخبار وإن كان من ابن القرية أحفظ، والواعظ وإن كان من الحَسن البصري أوعظ، والنحوي وإن كان أنحى من سيبويه، واللغوي وإن عَلَكَ اللغات بقوّة لحييه لا يتصدّى منهم أحدّ لسُلوك تلك الطرائق، ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق، إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن، وهما علم المعاني وعلم البيان"[1].

يوضّح الزّمخشري أهميّة علم المعاني وعلم البيان، فهما أهمّ عدة لمن يريد أن يفسّر القرآن، فالتّفسير ليس معرفة معاني القرآن فحسب، بل هو أيضا بيان لأسرار إعجازه، فالمفسّر لا يصل إلى فهم القرآن إذا لم يملك آلة البلاغة، وبالتّالي فعليه معرفة علم المعاني والبيان، "وهذه أول مرة يلقانا هذا التمييز بين العلمين الأساسين للبلاغة، وكان عبد القاهر كما أسلفنا يسمي العلم الأول علم النظم أو الأسلوب، لتنازع المعتزلة والأشعرية في مدار الإعجاز وهل هو النظم أو الفصاحة على نحو ما مرَّ بنا في صدر هذا الفصل، فوضّع هذا الاسم الجديد للعلم حتى يخرج به من مجال هذا النزاع. وكانت هذه كلمة البيان كما قدمنا قد ترددت على لسان عبد القاهر الجرجاني في فاتحة كتابه "أسرار البلاغة" فاتخذها الزمخشري علما على مباحثه فيه"[2]، وهي مباحث تناول فيها التّشبيه والاستعارة والمجاز بنوعيه، والعقلي أو الإسنادي أو الحُكْمي. فكان أوّل من يميّز بين هذين العلمين، فجعل لكل منهما مباحثه الخاصة، ونقل عنه السيد الجرجاني أنّه لم يكن يعدّ البديع علما مستقلا بل كان يراه ذيلا لعلمي المعاني والبديع، حيث اقتصر فيه على قضايا الالتفات، اللّف والنّشر، والتّجريد والتّقسيم، المقابلة، الطّباق.

[1] الزّمخشري، الكشّاف عن حقائق التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل، دار المعرفة للطّباعة والنّشر، بيروت، ط3، 2009م، ص23.

[2] شوقي ضيف، البلاغة تطوّر وتاريخ، مرجع سابق، ص221 – ص222.

قد حظي "الكشّاف" بقيمة علميّة كبيرة، فتناوله طلّاب العلم بالبحث والدّراسة فهو قيمة علميّة، إذ يعدّ أهمّ موروث خلّفه الزّمخشري، فبفضل هذا الكتاب استطاع أن يحقّق بعض المسائل البلاغيّة ويوضّحها، ولعلّ عبد العزيز عتيق يجحف بحق الزّمخشري إذ يقول: " والذي يدرس بإمعان تفسير (الكشّاف) يخرج بحقيقتين: إحداهما أنّ الزمخشري استوعب كل ما كتبه عبد القاهر في كتابيه (دلائل الإعجاز، أسرار البلاغة)، وتشبّع بروحه واتّجاهه البلاغي، والحقيقة الثانية أن (الكشّاف) هو في الواقع خير تطبيق على كل ما اهتدى إليه عبد القاهر من قواعد المعاني والبيان"[1].

حقيقة أنّ كلام عبد العزيز عتيق صحيح، ولكن هذا ليس عادلا وكأنّ الزّمخشري لم يأت بالجديد فتطبيقه أمثلة وشواهد من الذّكر الحكيم على قضايا الجرجاني وهذا بحدّ ذاته جديد، كما أنّ الزّمخشري لم يهدف إلى وضع كتاب في البلاغة بقدر اهتمامه بتطبيق البلاغة على آيات القرآن، فاستخرج لطائف المعاني لإظهار جمال النّظم القرآني ورونقه مبيّنا إعجازه، فتفسيره يعدّ من أهمّ التّفاسير البيانيّة والبلاغيّة.

هكذا عرفت البلاغة في هذا العصر نموًّا وتطوّرًا، وقد كان الجرجاني من أعلامها بفضل نظرية النّظم الّتي جاء بها، كما لا يمكننا إغفال جهود الزّمخشري في تفسيره، فاشترك مع الجرجاني في الكثير من المباحث البلاغيّة، ولعلّ المتتبع للبلاغة العربيّة يرى أنّ هذين العالمين قد شغلوا عقول الدّارسين لحيز من الزّمن وما زال مستمرًّا لوقتنا هذا، فلا أحد ينكر عبقرية الرّجلين، فالزّمخشري استوعب ما جاء به الجرجاني والجاحظ، واستفاد كثيرا منهما ومن سابقيه في تفسيره "الكشّاف"، وهذا بحدّ ذاته ليس بالأمر الهيّن، رغم أنّ الجرجاني أشعريّ والزمخشري معتزلي، فهذا لم يمنع الزّمخشري من التّأثر بالجرجاني في تفسيره وبيان إعجاز القرآن الكريم وبيان نظمه، فالبلاغة العربيّة لم تكن استوت بعد ولكنّ مع هذين العالمين اتّضحت معالمها جلّيا، وتمهدت الطّريق لإرساء رواسيها، لتنطلق مرحلة أخرى من حياة البلاغة العربيّة بزعامة السّكاكي.

[1] عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم البيان، دار النّهضة العربيّة، بيروت، (د ط)، 1985م، ص28.

1-7 مرحلة الجمود

استوت البلاغة العربيّة في هذا العصر، واكتملت مباحثها، وهذا بفضل **أبي يعقوب يوسف ابن أبي بكر مُحَمَّد بن علي السّكاكي (ت626هـ)** صاحب (مفتاح العلوم)، مقسّمًا إيّاه إلى ثلاثة أقسام قد خصّ القسم الأوّل: في علم الصّرف، والثّاني: في علم النّحو، أمّا الثّالث: في علم المعاني والبيان، وقد انطلق من تقسيمه للبلاغة من نظرة فلسفيّة، فقد كانت قبله مفتوحة الأبواب، عامة المواضيع، فكأنّ "السكاكي خشي على علم البلاغة من ذلك الإطلاق الذي يجعل الحرية فيه فوضى في يوم من الأيام، فنظر إلى هذا العلم نظرة فلسفية تحدّد ما بينه وبين سائر فنون الأدب من النسبة والارتباط، وتميّزه تميّزا واضحا، وتحصر أبوابه ومباحثه حصرا حتى لا يبقى مجال للخوف عليه من دعي لا يفقه الأدب ولا يعرف فنونه"[1]، ولكن شهرته تعلّقت بالقسم الثّالث من كتاب مفتاح العلوم، فقد أعطى الصّيغة النّهائية الّتي عكف عليها العلماء من بعده، يتدارسونها ويشرحونها مرارا وإلى يومنا هذا، فاستطاع أن يستفيد من أعمال سابقيه وبخاصّة تلخيص الرازي والجرجاني والزّمخشري ليضع تلخيصاً دقيقاً وشاملاً.

وما يشدّ انتباه المتتبّع لعمل السّكاكي هو جعل البلاغة علمين أساسين هما علم المعاني والبيان فيسير في نهج الزّمخشري، ولم يجعل الألوان البديعيّة علما قائما بذاته بل جعلها تابعة لعلمي البلاغة السّابقين، واستهل الحديث في القسم الثّالث من كتابه مفتاح العلوم بتعريف علم المعاني والبيان بمقدّمة، فقال في تعريف علم المعاني: إنّه "تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره لِيُحْتَرَزَ بالوقوف عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضى الحال ذكره"[2]، أمّا علم البيان فقد عرّفه بقوله: " معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان لِيُحْتَرَزَ

---

[1] أحمد مطلوب، منهج السّكاكي في البلاغة، مجلة المجمع العراقي، بغداد، المجلد 10، 1962م، ص282.

[2] السّكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق نعيم زرزور، دار الكتب العلميّة، لبنان، ط2، 1987م، ص161.

بالوقوف على ذلك الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه"[1]، ثمّ بدأ بالفصل الأوّل الخاص بعلم المعاني حيث قام بتوزيع مباحثه على الخبر والطلب، ثمّ أخذ بعد ذلك يوضّح الموضوعات الّتي يتناولها الخبر، وهي الإسناد الخبري والمسند إليه والمسند والفصل والوصل والإيجاز والإطناب، ثمّ يفيض في الحديث عن الطّلب ويقسّمه إلى خمسة أنواع وهي: التّمني والاستفهام والأمر والنّهي والنّداء.

ينتقل بعد ذلك إلى الفصل الثّاني الّذي خصّصه لعلم البيان: فاستهل حديثه عن التّشبيه مبيّنا أركانه والغرض منه وأحواله، ثمّ ينتقل إلى المجاز مبيّنا علاقته بالحقيقة وواضعا تعريفًا خاصًّا به، ثمّ ينتقل إلى تقسيماته، وأوّل مجاز هو المجاز اللّغوي الرّاجع إلى معنى الكلمة غير المفيد، وثاني مجاز هو المجاز المفيد الرّاجع إلى المعنى المفيد الخالي من المبالغة في التّشبيه، وثالث مجاز هو الرّاجع إلى المعنى المفيد المتضمّن للمبالغة في التّشبيه، ولكنّ السّكاكي ما يلبث أن يتّجه إلى الاستعارة فيقول أنّها تنقسم إلى استعارة تصريحيّة ومكنيّة، ويأخذ في تبيّين أقسامها، ثمّ يواصل حديثه عن المجاز الرّابع وهو الرّاجع إلى حكم الكلمة في الكلام، والمجاز الخامس هو المجاز العقلي، وينتقل إلى الكناية معرّفا إيّاها ويقوم بتقسيمها، ثم يأخذ بعد ذلك في تلخيص القول عن البلاغة والفصاحة، فالجرجاني والزّمخشري لم يفرقا بينها – يقصد الفصاحة والبلاغة – لكن السّكاكي جعل لكلّ منهما مجاله الخاص، أمّا المحسنّات البديعيّة المعنويّة الّتي وقف عندها هي: المطابقة، المقابلة، المشاكلة، مراعاة النّظير، المزاوجة، اللّف والنّشر، الجمع، التّفريق، التّقسيم، الجمع مع التّفريق والتّقسيم، تأكيد المدح بما يشبه الذّم، سوق المعلوم مساق غير الاعتراض، الاستتباع، الالتفات، تقليل اللّفظ ولا تقليله، أمّا المحسنّات البديعيّة اللّفظية الّتي أوردها فهي: التّجنيس وقد فصّل القول فيه، والإشتقاق، ورد العجز إلى الصّدر، والقلب، والسّجع، والتّرصيع.

هكذا محصّ السّكاكي البلاغة وهذّب مسائلها، ورتّب أبوابها ترتيبا منطقيًّا، فجاءت المباحث البلاغيّة كالغابة على حد وصف شوقي ضيف بل كالدّغل الملتّف الّذي لا يمكن سلوكه إلاّ بواسطة

[1] السّكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق نعيم زرزور، مصدر سابق، ص162.

مصابيح من المنطق ومباحث المتكلّمين والفلاسفة، فقد جعل البلاغة جامدة وذلك بترسبّها في نظريّات وقواعد خاليّة من الإمتاع، وقوانين شبيهة بقوانين النّحو، فجاءت هذه القوانين في قوالب جافّة، وهذا ما جعل كتابه يحتاج إلى الشّرح، وهكذا ما فتئ الشّراح يشرحون الكتاب واحدا تلو الآخر، وقد لقي عمل السّكاكي الثّناء من المتقدّمين والمتأخرّين فقال الخطيب القزويني صاحب "إيضاح التّلخيص" عن القسم الثّالث من مفتاح العلوم: " أعظم ما صُنّفَ فيه من الكتب المشهورة نفعا لكونه أحسنها ترتيبا، وأتمها تحريرا، وأكثرها للأصول جمعا "[1]، وهذا دليل على أهميّة الكتاب، ونذكر من بين الشراح: قطب الدّين محمود الشّيرازي (ت710هـ) ، السّيد شفيع الجرجاني (ت816هـ)، ابن كمال باشا (ت940هـ) وغيرهم، ولعل تلخيص القزويني للقسم الثّالث من كتاب السّكاكي هو الّذي نال شهرة كبيرة، فقد كان حسن العبارة، واضح الدّلالة ودقيق الإشارة.

هكذا ظهرت البلاغة العربيّة فقد كانت عبارة عن ملاحظات بسيطة، ولكن ما لبثت أن التفتت إلى القرآن الكريم وإعجازه، فوقف العرب عاجزين أمام البلاغة القرآنيّة مما جعل مواضيع البلاغة تظهر متفرّقة في كتب الفرّاء وأبي عبيدة والجاحظ، ثمّ أخذت البلاغة تتّطور خاصّة مع ابن المعتّز، لتخطو خطوة كبيرة مع الجرجاني والزّمخشري، وبعد أن وصلت البلاغة إلى ذروتها، جاء السّكاكي فوضع لها قوانين خاصة مستفيداً من أعمال سابقيه وتظهر الشّروح بعده، معلنة بذلك جمود البلاغة على حدّ وصف الكثير من الدّارسين.

2- مصادر الشّاهد البلاغي

إنّ الشّواهد الّتي امتثلها البلاغيّون في مؤلّفاتهم للاستشهاد بها لإثبات صحّة أقوالهم، واستعانوا بها في تفاسيرهم خدمة للقرآن الكريم كانت أغلبها منظومة أو منثورة، والمنثور إمّا قرآناً، أو حديثًا نبويًا شريفا، أو كلام صحّابي أو تابعي ، أو مثلاً، أو حكمة، ورغم أنّ جهودهم كانت موجّهة لخدمة القرآن

[1] الخطيب القزويني، التّلخيص في علوم البلاغة، تحقيق عبد الرّحمن البرقوقي، دار الفكر العربي، ط2، (د، ت) ،ص21.

إلا أنّهم ما لبثوا أن نهلوا من فيض نوره لانبهارهم بإعجازه، ولكن تبقى الشّواهد الشّعريّة من أهم الشّواهد المستخدمة نظرا لما كانت تمثّله بالنّسبة للعرب، وأهمّ هذه المصادر هي:

2-1 الشواهد القرآنية:

يعتبر القرآن الكريم كلام الله المعجز الّذي أسكت به أفواه المشكّكّين، وألزم به قلوب الخائفين الوجل والإشفاق، وما لبث أن نهل من فيض نوره العلماء والحكماء لأنّه أفصح الكلام وأبلغه، فهو أعلى الكتب والمصادر منزلة، فصاروا يستشهدون ويحتجّون به في مختلف علوم اللّغة بما فيها البلاغة، فمكانة الشّاهد عند العرب كبيرة ومقاصده ساميّة سواء كان الشّاهد شعريًّا أو نثريًّا من كلام العرب أي من كلام البشر فاهتمّوا به وحظي بمكانة كبيرة، فكيف إذا كان الشّاهد قرآنيا؟ فهو إذن معجزة خالدة، وقد قال **مصطفى صادق الرفاعي** " إنّ القرآن كان علم البلاغة عند العرب، ثم صار بعدهم بلاغة هذا العلم"[1]، وهكذا نجدّ أنّ البلاغة في حدّ ذاتها ظهرت لتبيان إعجاز القرآن الكريم فابن خلدون يقول في هذا الشّأن "واعلم أن ثمرة هذا الفنّ إنما هي فهم الإعجاز من القرآن، لأن إعجازه في وفاء الدلالة منه بجميع مقتضيات الأحوال منطوقة ومفهومة، وهي أعلى مراتب الكلام، مع الكمال فيما يختص بالألفاظ في انتقائها وجودة رصفها وتركيبها، وهذا هو الإعجاز الذي تقصر الأفهام عن إدراكه، وإنما يدرك بعض الشيء منه من كان له ذوق بمخالطة اللسان العربي وحصول ملكته، فيدرك من إعجازه على قدر ذوقه."[2]، ويفهم من خلال كلام ابن خلدون أنّ مهمّة البلاغة هي فهم الإعجاز من القرآن، فهو أعلى مراتب الكلام، وشواهده أعلى سلطة من الشّواهد الأخرى، فألفاظه ومعانيه تتّسم بالكمال ولا يمكن أن

[1] مصطفى صادق الرّافعي، إعجاز القرآن و البلاغة النّبويّة، دار الكتاب العربي، ط9، 1973م، ص 275.

[2] عبد الرّحمن بن مُحَمَّد ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تحقيق عبد الله مُحَمَّد الدّرويش، مكتبة الهداية، دمشق، ط1، 2004م، ج2 ، ص375

يدرك هذا الأمر إلا أصحاب الألباب، من كان لهم معرفة باللّسان العربي وقدرة على التّذوق فعلى قدر معرفتهم وتذوقهم يكون فهمهم وإدراكهم لإعجاز القرآن.

2-2 شواهد الحديث النّبوي الشّريف:

يعتبر الحديث الشّريف الأصل الثّاني بعد القرآن الكريم عند أساطين البلاغة العربيّة، فجعلوه حجّة في بحوثهم البلاغيّة، فالحديث النّبوي" لفظه لفظ **الرسول** ﷺ، ومعناه من عند الله، ولذلك نسب الرسول الفصاحة إليه فقال: " أنا أفصح العرب، بيد أني من قريش، ونشأت في بني سعد بن بكر "وتعليله عليه السلام بأسباب تقويم اللسان إلى أعلى درجة عرفها العرب، يدل على أن لفظ الحديث من لدنه"[1] ، وقد قال الجاحظ واصفًا كلام رسول الله صلي الله عليه وسلم " هو الكلام الذي قلّ عدد حروفه وكثر عدد معانيه، وجَلَّ عن الصَّنعة، ونُزِّه عن التكلف... واستعمل المبسوط في موضع البسط، والمقصور في موضع القصر، وهَجَر الغريب الوحشيّ، زغِب عن الهجين السُّوقّي، فلم ينطق إلا عن مِيراث حكمةٍ، ولم يتكلم إلا بكلامٍ قد حُفَّ بالعصمة، وشّيّد بالتأييد، ويُسِّرَ التوفيق"[2]، فقد كان النّبي صلى الله عليه وسلم أفصح العرب لسانًا، وأبينهم قولاً، فلم تخلو كتب البلاغة من الأحاديث النّبويّة استشهادًا و تمثيلاً.

2-3 الشّواهد الشّعريّة:

يعدّ الشّعر دستور العرب في الجاهليّة، وديوان أخبارها و كما قال **أبو هلال العسكري** " ديوان العرب و خزانة حكمتها، ومستنبَطُ آدابها ومستودع علومها "[3]، ولابدّ من الإشارة إلى أنّ البلاغيّين وعلماء اللّغة استشهدوا كثيرًا بالشّعر في مصنّفاتهم لأنّه لا يحظى بنفس القدسيّة الّتي يتمتع بها القرآن

[1] كمال عزّ الدّين، الحديث النّبوي الشّريف من الوجهة البلاغيّة، دار اقرأ، بيروت، ط1، 1984م، ص23.

[2] الجاحظ، البيان و التبيين، مصدر سابق، ج3، ص 17.

[3] أبو هلال العسكري، الصّناعتين، مصدر سابق، ص 124.

والحديث النّبوي الشّريف، فآثروا الشّعر وأصبح المادة الأساسيّة في كتبهم، ضف إلى ذلك أنّ الشّاهد الشّعري في البلاغة لم يُقيد كالشّاهد النّحوي بالزّمان والمكان فكان مجاله أرحب وأوسع فشمل كلام العرب والمولّدين، وفُكّت قيوده مقارنة بالشّاهد النّحوي فقال **ابن جنّي** " المولدون يستشهد بهم في المعاني، كما يستشهد بالقدماء في الألفاظ "[1]، وقال **أبو جعفر الرّعيني المعروف بالأندلسي (ت.779)**: " علوم الأدب ستة: اللغة والصرف والنحو، والمعاني والبيان والبديع، والثلاثة الأولى لا يستشهد عليها إلا بكلام العرب، دون الثلاثة الأخيرة، فإنه يستشهد فيها بكلام غيرهم من المولدين، لأنها راجعة إلى المعاني، ولا فرق في ذلك بين العرب وغيرهم، إذ هو أمر راجع إلى العقل، ولذلك قبل من أهل هذا الفن الاستشهاد بكلام البحتري، وأبي تمام، وأبي الطيب، وهلم جرا"[2].

وقد أرجع الأندلسي هذا التّوسع في الشّاهد الشّعري إلى كون البلاغة لا تبحث في القواعد بقدر بحثها عن المعاني الّتي تتعلّق بالعقل، ولعل هذا الاتّساع هو الّذي جعل الشّاهد الشّعري في الكتب البلاغيّة متنوّعا ومتميّزا، فأصبح ميزة لا تكاد تخلو في أيّ منها.

2-4 الشّواهد النّثريّة:

نقصد بالشّواهد النّثريّة الخطب والأمثال والحكم والمأثور من كلام العرب وغيرها، والمتصفّح لكتب البلاغة يجد بين طيّاتها خطب ووصايا في غاية الجمال و ذات ذوق بلاغيّ عالٍ، ناهيك عن عبارات في غاية الدّقة والرّوعة والبيان، وحتّى أهل النّحو أخذوا من كلام العرب في استشهاداتهم النّحوية، والفرّاء يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣﴾ [المطففين: 03]، "الهاء في موضع نصب، تقول: قد كلتك طعاماً كثيراً، وكلتني مثله، تريد: كلت لي وكلت لك، وسمعت أعرابية تقول: إذا صدر الناس أتينا التاجر فيكيلنا المدد والمدين إلى الموسم المقبل، فهذا شاهد، وهو من كلام أهل الحجاز ومن

[1] ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر ونقده، مرجع سابق،ج2، ص985.

[2] البغدادي، خزانة الأدب ولُب لباب لسان العرب، تح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1989م، ج1، ص05.

جاورهم من قيس"[1]، وهكذا كان الاستشهاد بكلام العرب المشهود لهم بفصاحتهم وسلامة ذوقهم، فنجد صفحات تراثنا اللّغوي زاخرة بمثل هذه المشاهد، والاستشهاد بكلام العرب من عامّة وخاصّة ينير الدّرب للأجيال ويبيّن مدى تمكّنهم من اللّغة وحرصهم عليها.

3- الشّاهد بين البلاغيّين والنّحويين:

إنّ المتتبّع للشّاهد يرى فرقا بين الشّاهد البلاغي والشّاهد النّحوي، فالشّاهد النّحوي تحدده أسس متفق عليها قد وضعها النّحويّون، ويكمن الفرق بينهما في النّقاط التّالية:

3-1 الإطار الزّماني:

إنّ الشّاهد النّحوي محكوم بإطار زمني وإن اختلفوا في تحديد تاريخ محدّد، إلا أنّ المعتدلين من أهل اللّغة قد اتّفقوا على تاريخ وسط على وجه التّقريب "بين ذي الرمة المتوفى سنة 117 ه من جهةٍ، وإبراهيم بن هَرمة المتوفى سنة 167 ه من جهة أخرى، فجعلوا سنة 150 ه وهي منتصف القرن الثاني الهجري فيصلاً في خلافهم، يأخذون بشعر من عاش قبل هذا التاريخ، ويُعرِضونَ عن شعر من عاش بعده، وعلى هذا يكون الشاعر ابن ميادة المتوفي سنة 149ه آخر شعراء العربية الذين يجبُ أنْ يُتوقف عندهُ في الاحتجاج والاستشهاد، وإن كان الأصمعي يرى التوقف عند ابن هَرْمَة."[2]، وحتّى الشّعراء فقد تمّ تقسّيمهم إلى أربع طبقات:

- **الطّبقة الأولى:** طبقة الشّعراء الجاهليين، وهم من عاشوا قبل الإسلام كامرئ القيس بن حُجر، وزُهَير بن أبي سُلْمى، وغيرهما.

[1] الفرّاء، معاني القرآن، دار عالم الكتب ، بيروت، ط3، 1983م، ج3، ص245 - ص246.

[2] عبد الرّحمان بن معاضة الشّهري، الشّاهد الشّعري في تفسير القرآن الكريم، مكتبة دار المنهاج، الرّياض، ط1، 2010م، ص102.

- **الطّبقة الثّانية:** طبقة الشّعراء المخضرمين، وهم الّذين أدركوا الجاهليّة والإسلام كلَبيد بن ربيعة، وحسان بن ثابت ﷺ.
- **الطّبقة الثّالثة:** طبقة الإسلاميين، وهم الّذين عاشوا في صدر الإسلام ولم يدركوا الجاهليّة، كجرير والفرزدق.
- **الطّبقة الرّابعة:** وهي طبقة المُولَّدين، ويقال لهم المحدثون كبشّار بن برد، وأبي نوّاس وغيرهما.

وأمّا الطّبقة الأولى والثّانية فقد أجمع اللّغويون على الاستشهاد بها، والطّبقة الثّالثة فقد انقسم اللّغويون في صحّة الاستشهاد بأشعارهم، ولكن الّذي استقرّ عليه الأمر جواز الاستشهاد بكلامهم، ولكن ما اتُفق عليه هو عدم الاستشهاد بشعراء الطّبقة الرّابعة أي الشّعراء المولّدين.

وهكذا تمّ تحديد الفترة الزّمنيّة للشّاهد النّحوي على عكس البلاغة الّتي لم تحدّد فيها فترة الاحتجاج بالشّاهد، وقد أقصى أصحاب النّحو بالإجماع الطّبقة الرّابعة، ولكن أهل البلاغة أخذوا عن كلّ الشّعراء بما فيهم طبقة المولّدين، وأيَّد أبو جعفر الرّعيني الأندلسي صحّة الاستشهاد بكلام المولّدين في علوم البلاغة إذ قال: " يستشهد فيها بكلام غيرهم من المولدين، لأنها راجعة إلى المعاني، ولا فرق في ذلك بين العرب وغيرهم. إذ هو أمر راجع إلى العقل. ولذلك قُبِل من أهل هذا الفن الاستشهاد بكلام البحتري، وأبي تمام وأبي الطيب وهلم جرا"، فعلماء البلاغة يستشهدون بكلام المولّدين مثلهم مثل شعراءِ الطّبقات السّابقة لأن المعاني تبقى مشتركة بين جميع الطّبقات.

2-3 الإطار المكاني:

حددّ النّحويون قبائل محدّدة يؤخذ عنها ويحتجّ بكلامها وهي كالتّالي: "قيس وتميم وأسَد، فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه، ثم هذيل وبعض كنانة، وبعض الطائيين، ولم يؤخذ عن

غيرهم من سائر قبائلهم "[1]، وعلماء اللّغة اعتمدوا في أخذهم من القبائل القريبة من مكّة وما حولها وكذا مقدار توغلّها في البداوة، وعلى هذا الأساس نجد مثلا ابن جنّي عقد فصلا في كتابه الخصائص بعنوان: " ترك الأخذ عن أهل المدَر كما أُخذ عن أهل الوبر"، وهذا دليل على أنّ العلماء أخذوا يقسّمون اللّغة إلى بدوية وحضرية ويُعْنون بالأولى ويحتكمون إليها، ويتخلّون عن الثّانية ولا يرجعون إليها في احتجاجهم، وقد حرص علماء البصرة على هذا الأمر، فكانوا يتأكّدون من توفر عنصر البداوة فيمن يأخذون عنه، وكانوا يفتخرون بذلك.

أمّا أهل البلاغة فقد أخذوا من كلام العرب، ولم يميّزوا بين قبيلة وأخرى، ولكنّ الاختيار كان وفق الذّوق وكذا نسبة الإبلاغية الّتي يوفّرها الشّاهد البلاغي، فقد كان البلاغيون يستشهدون بكلام العرب على شرط توّفر النّواحي الجماليّة، وقدرة استمالة الشّاهد البلاغي للمتلقي وزيادة حدّ إذعانه.

3-3 الوظيفة والإطار:

نقصد بها الوظيفة الّتي يؤدّيها الشّاهد النّحوي والبلاغي، فالشّاهد النّحوي يكون غالبا لوضع قاعدة محدّدة على عكس الشّاهد البلاغي الّذي يلعب دورين فيكون أساس وضع القاعدة البلاغيّة، وقد يكون في بعض الحالات عبارة عن مثال، وهذا راجع للنّشأة، فالبلاغة لم تنشأ مستقلة بل كانت في بداياتها متعلّقة بعلوم أخرى وعلى رأسها النّحو، وفي هذا يورد البغدادي قول الشّاعر:

"غير مأسوف على زمن ينقضي بالهم والحزن

يقول وهذا البيت لأبي نواس، وهو ليس ممن يستشهد بكلامه، وإنما أورده الشارح مثالا للمسألة"[2].

[1] جلال الدّين السّيوطي، الاقتراح في أصول النّحو، تحقيق عبد الحكيم عطيّة، دار البيروتي، ط2، 2006م، ص47.
[2] البغدادي، خزانة الأدب ولباب لسان العرب، مصدر سابق، ج1، ص345 - 346.

أمّا من ناحية الإطار فالشّاهد البلاغي أرحب وأوسع، فيشمل كلام القدامى والمحدثين، في حين يضيّق إطار الشّاهد النّحوي في إطار زمني ومكاني محدّدين، كما أنّ الشّواهد البلاغيّة متعدّدة ومتنوّعة، كما يتّسع إطارها الميداني الّذي يتيح مجالا رحبا للاختيار، فالبلاغة قد نشأت نشأة ذوقيّة، فكانت في بداياتها عبارة عن ملاحظات ذوقيّة، ثم بدأت تميل إلى النّاحية التّحليليّة الّتي تجمع بين القاعدة والتّذوق، لتسير نحو النّضج وتتجه إلى التّقعيد على يد السّكاكي.

المبحث الثّاني: قضايا الشّاهد البلاغي عند القدامى

تمهيد:

تتقاطع علوم اللّغة وتشترك في العديد من المسائل، ولكن لكلّ علم قضاياه، وعلم البلاغة مثله مثل علوم اللّغة عالج قضايا مختلفة منذّ بذوره الأولى، وقد عالج العلماء الأجلاء قضايا عديدة وصنفوها في مصنفاتهم الأدبيّة، حيث احتلت بعض القضايا أبوابًا في حدّ ذاتها، وظلّت مبثوثة في كتبهم تُعَبّر عن آرائهم المعرفيّة والنّقدية، والبحث في هذه القضايا هو الّذي جعل البلاغة حقلا شاسعا، يَسع الكثير ويفتح لهم أبواب الاجتهاد والبحث، فكان من غير الممكن البحث في هذه القضايا البلاغيّة من دون استحضار الشّواهد البلاغيّة باختلاف مصادرها، فهي الّتي تُذّلل الطّريق وتُبيّن السّبيل وتوضّح الرّؤية وتوصل الفكرة للمتلّقي، فهي حجّة المستشهد وبرهانه القاطع للمعارض.

قضايا الشّاهد البلاغي عند القدامى:

أثار البلاغيّون القدامى عدّة قضايا بلاغيّة، فكان إعجاز القرآن على رأس تلك القضايا البلاغيّة، ليتناولوا الحقيقة والمجاز، وفي إثارتهم لتلك القضايا وجبَ عليهم الاستشهاد لها، فكان حضور الشّاهد البلاغي ضروريًّا، وهكذا استخدم البلاغيّون القدامى الشّواهد سواء من القرآن أو الشّعر أو النّثر لتوضيح تلك القضايا الّتي شغلتهم، وشغلت المعاصرين من بعدهم، وسنحاول أن نقف على أهمّ القضايا البلاغيّة الّتي شدّت البلاغيين القدامى إليها وجعلتهم يبحرون في مباحثها، وهذا ما جعل هذه القضايا متداولة في الكتب البلاغيّة، والّتي سنعرض بعضها:

1- قضيّة اللّفظ والمعنى:

تعتبر قضيّة اللّفظ والمعنى من القضايا الّتي حظيت باهتمام البلاغيّين، وذلك لما نشب من حولها من اختلاف لوجهات النّظر بين مؤيّدٍ للّفظ ومعارض له ومؤيّد للمعنى على حسابه، وطرف ثالث يتوسط لهما محاولا التّوفيق بين الرّأي الأوّل والثّاني.

إنّ قضية اللّفظ والمعنى قضية يصعب التّأريخ لها، ولكن هذه القضيّة في البلاغة العربيّة تعود إلى الفرق الكلاميّة، والواقع أنّ المحفز لقضيّة اللّفظ والمعنى هو الإعجاز القرآني، فكان النّزاع في أين يكمن الإعجاز في اللّفظ وتأليفه، أو في المعنى ودلالته، أم في اتحادهما معاً؟

يعتبر الجاحظ من بين البلاغيّين الّذين أشعلوا شرارة الجدال حول اللّفظ والمعنى، بعد أن قضى قضاءً واضحًا بينهما، فانتصر للفظ على حساب المعنى، ووضع الجمال والأناقة في اللّفظ، فالجمال الأدبي بالنّسبة للجاحظ يكمن في جزالة اللّفظ وحسن التّركيب، وحسبه "المعاني مطروحةٌ في الطريق، يعرفها العجميُّ والعربيُّ، والبدويُّ والقَرَوي، [والمدنيّ]. وإنَّما الشأنُ في إقامةِ الوزن، وتخيُّر اللفظ، وسهولة المخرج، [وكثرة الماء]، وفي صحَّة الطّبع وجودة السَّبك"[1].

جعل الجاحظ سمات للّفظ البليغ، ومن أهمّها اختيار اللّفظ، فمسألة اختيار الألفاظ مهمّة في قضيّة البلاغة بحدّ ذاتها، وهذا يوضّح أنّ الجاحظ قد اهتمّ بقضيّة الاختيار، فيقول: " كما لا ينبغي أن يكون اللفظ عاميًا، وساقطاً وسُوقياً، فكذلك لا ينبغي أن يكون غريباً وحشياً، إلّا أنْ يكون المتكلّم بدويًّا أعرابيًّا، فإن الوحشيَّ من الكلام يفهمه الوحشيُّ من الناس، كما يَفهَمُ السُّوقيّ رِطَانَةَ السُّوقيّ. وكلامُ

[1] الجاحظ،كتاب الحيوان، مصدر سابق، ج3، ص131 – ص132.

النّاس في طبقاتٍ كما أنّ النّاس أنفسَهم في طبقات. فمن الكلام الجَزل والسَّخيف، والمليحُ والحسن، والقبيح والسَّمجُ، وكلُّه عربيّ، وبكُلّ قد تكلَّموا، وبكلّ قد تَمادَحوا وتعايبوا"[1].

حدّد الجاحظ كلام النّاس في طبقات وكذلك ألفاظهم، فاللّفظ حسبه يجب أن لا يكون عاميًّا ولا ساقطًا، فيجب أن يكون في منزلة رفيعة، ولا ينبغي أن يكون غريبا أو وحشيا، فهو ضدّ الغرابة في الألفاظ الّتي تجعل المتلّقي يُرْهَقُ في الوصول إلى المعنى، وفي كلام العرب القبيح والجميل، وقد استعملت هذه الألفاظ بغض النّظر عن منزلتها في أغراض مختلفة من مديح وهجاء أو غير ذلك.

سار أبو هلال العسكري على نهج الجاحظ في تخيّيره اللّفظ على المعنى، حيث يقول: "الكلامُ – أيدكَ الله– يَحْسُن بسَلَاسَتِه، وسهولته، ونَصَاعته، وتخيُّر لفظه، وإصابة معناه، وجَوْدَةِ مَطَالِعه، ولين مقاطعه، واستواء تقاسيمه، وتعادُلِ أطرافه، وتشابه اعْجَازِه بِهَوَادِيه، وموافقة مآخِيره لمبَادِيه، مع قِلَّةِ ضروراته، بل عدمها أصلاً، حتى لا يكون لها في الألفاظ أثر، فتجد المنظوم مثل المنثور في سهولة مَطْلَعه، وجودة مَقْطَعِه، وحُسْنِ رَسْفِه وتأليفه، وكمال صَوْغِه وتركيبه.

فإذا كان الكلام كذلك كان بالقبولِ حقيقيا، وبالتحفظ خَلِيقاً، كقول الأول:

هُم الألى وَهَبوا للمَجْدِ أنفسهم   فما يُبالُـونَ مَا نالـــوا إذَا حُمِـــدُوا

وقول معن بن أوس:

لَعَمْرُكَ ما أَهْوَيْتُ كَفي لِرِيبــةٍ   ولا حَمَلَتْنِـــي نَحْوَ فاحشـــة رِجْلِـــي

ولا قادَنِي سَمْعِي ولا بَصَرِي لها   ولا دَلَّني رَأْيِـــي عليهـــا ولا عَقْلِـــي

وأَعْلَمُ أَنِّي لَمْ تُصِبْنِـــي مصيبــةٌ   من الدَّهْرِ إلَّا قَدْ أصابتْ فَتًى قَبْلِي

[1] الجاحظ، البيان والتّبيّين، مصدر سابق، ج1، ص144.

وَلَسْتُ بملشٍ ما حَيِيتُ لمُنْكَـرٍ   من الأَمْرِ لا يَمْشِـــي إلى مثلِـهِ مثْلي"[1].

هكذا نرى أنّ أبا هلال العسكري ينتصر للّفظ، ويعزّز موقفه بالعديد من الشّواهد والأمثلة، والشّواهد الشّعرية هي ذات الحظّ الوافر في استدلاله، فالشّواهد الشّعرية ملائمة في مثل هذه المواقف، ففي حديثه عن المعنى يقول: "وليس الشأن في إيراد المعاني، لأَنَّ المعاني يعرفُها العربيّ والعجميّ والقرويُّ والبدوي، وإنما هو في جودةِ اللفظِ وصفائه، وحُسْنِه وبهائه، ونزاهته ونَقَائِه، وكثرة طلاوته ومائه، مع صحة السَّبْكِ والتركيب، والخلوّ من أَوَدِ النّظمِ والتأليف. وليس يُطْلَبُ من المعنى إلا أن يكون صَوَاباً، ولا يُقْنَعُ من اللفظ بذلك حتى يكونَ على ما وصفناه من نعوته التي تقدَّمَت"[2].

يتضّح من كلام العسكري أنّه قد تأثر بالجاحظ ، يظهر التّأثر من خلال استمداده من قول الجاحظ في اللّفظ الّذي أشرنا إليه سابقاً – وإنَّما الشّأنُ في إقامةِ الوزن، وتخيُّر اللفظ، وسهولة المخرج، [وكثرة الماء]، وفي صحَّة الطّبع وجودة السَّبك–، وهكذا كان العسكري يعزّز رأي الجاحظ ويورد شواهد وأمثلة حتّى يُفهم القارئ أن الفضل للفظ على حساب المعنى، فالعسكري معجب باللّفظ ويميل إليه،ولكن هذا الرأي لم يكن ليرضي الجميع.

ظهرت طائفة تجمع بين اللّفظ والمعنى، ويتقدّمهم ابن قتيبة الّذي جعل الجمع بين اللّفظ والمعنى مقياسًا للبلاغة، فعند حديثه عن نعت ائتلاف اللّفظ مع المعنى يقول: " من أنواع ائتلاف اللفظ مع المعنى:

---

[1] أبو هلال العسكري، الصّناعتين، مصدر سابق، ص61.

[2] المصدر نفسه، ص63، ص64.

المساواة:

وهو أن يكون اللفظ مساوياً للمعنى حتى لا يزيد عليه ولا ينقص عنه، وهذه هي البلاغة التي وصف بها بعض الكتاب رجلاً، فقال: كانت ألفاظه قوالب لمعانيه أي هي مساوية لها لا يفضل أحدهما على الآخر."[1].

يربط ابن قتيبة البلاغة بمساواة اللّفظ للمعنى، فالألفاظ حسبه ما هي إلاّ مجرّد قوالب للمعنى فكلّما كان القالب ملائمًا كان الكلام بليغًا، وهنا نرى نظرة ابن قتيبة الثّاقبة إذ لا يجعل المزيّة لأحد منهما بل كلاهما مكمّل للآخر، فجعل اللّفظ والمعنى في مستوى واحد، وإنّما يتوافقان في الجودة والقبح، وقد كان في حديثه عن قضيّة اللّفظ والمعنى يستشهد بالأشعار، فيختار منها ما يناسب كلامه، فيقول: " ومن أنواع ائتلاف اللفظ والمعنى:

الإشارة:

وهو أن يكون اللفظ القليل مشتملاً على معان كثيرة بإيماء إليها، أو لمحة تدل عليها كما قال بعضهم وقد وصف البلاغة فقال: هي لمحة دالة.

ومثل ذلك قول امرئ القيس:

فإن تَهلكْ شنوءة أو تبدَّلْ فسيري إنَّ في غَسَّان خالاَ

لعِزهِمُ عَـزَزْتَ وإن يَذِلُّـوا فَذُلهمُ أنالَـكَ مـا أنَــالاَ"[2].

---

[1] ابن قتيبة، نقد الشّعر، مصدر سابق، ص153.

[2] المصدر نفسه، ص154، ص155.

يرتكز ابن قتيبة أساساً في حديثه عن اللّفظ والمعنى على الشّاهد الشّعري، الّذي يعتبر الدّعامة الأسّاسيّة في تأكيد توجّهه في قضيّة الجمع بين اللّفظ والمعنى، ويحاول أن يربط بين هذه القضيّة والبلاغة، ولكنّ هناك من نقده في اختياره للأشعار ومطابقتها لأحكامه، ولكن نظرته اختلفت عن نظرة الجاحظ وخالفه، فلم يجعل الشّرف للّفظ على حساب المعنى.

عدّ ابن رشيق القيرواني اللّفظ والمعنى شيئاً واحداً، إذ يقول: " اللفظ جسمٌ، رُوحُهُ المعنى، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم، يضعف بضعفه، ويقوي بقوّته، فإذا سَلِمَ/ المعنى، واختلَّ بعضُ اللفظ كان نقصًا للشعر، وهُجْنَة عليه، كما يعرض لبعض الأجسام من العَرَجِ، والشَّلَلِ، والعَوَرِ، وما أشبه ذلك، من غير أن تذهب الروح، وكذلك إن ضَعُفَ المعنى واختلَّ بعضُه كان لِلَّفْظِ من ذلك أوفرُ حظّ، كالذي يعرض للأجسام من المرض بمرض الأرواح."[1].

شبّه ابن رشيق اللّفظ والمعنى بالجسم والرّوح، فكان تشبيهه بليغًا، فإن اختّل أحدهما اختّل الآخر، وإن صَلُحَ أحدهما صَلُحَ الآخر، فجعلهما في طبقة واحدة، وبالتّالي أضاف رؤية نقديّة لقضيّة اللّفظ والمعنى، وأعطى حكما عادلا جعل النّقاد والبلاغيين يؤيّدونه في حكمه، وعلى رأسهم ابن الأثير فرأى أنّ رأي ابن رشيق رأيٌّ سديدٌ تأنس له النّفوس، وترّق له القلوب، ولم يكن ابن الأثير الوحيد الّذي أُعجب بقول ابن رشيق فحتّى النّقاد المعاصرين أعجبوا به، من بينهم شوقي ضيف؛ إذ يقول: " فابن رشيق لم يعترف بالفصل بين اللفظ والمعنى كما صنعت جمهرة النقاد العرب، إذ كان يرى أنهما متلازمان وأن ما يُصيب أحدهما من آفة يصيب الآخر. وهي – لاشك- نظرة دقيقة، فاللفظ والمعنى أو الصورة أو المضمون ليسا شيئين منفصلين كالكأس وما يكون فيها من شراب، بل هما مترابطان ترابط الثوب بمادة."[2]، إذن شوقي ضيف يساند ويدعّم فكرة ابن رشيق القيرواني، ووصل إلى فكرة مفادها أنّه لا يمكن

[1] ابن رشيق القيرواني، العمدة في صناعة الشّعر ونقده، مصدر سابق، ص200.

[2] شوقي ضيف، في النّقد الأدبي، مكتبة الدّراسات الأدبيّة، دار المعارف، ط9،القاهرة، 2004م، ص162 –ص163.

الفصل بين اللّفظ والمعنى، كما لا يمكن الفصل بين المضمون والصّورة، فجعلهما متلازمان ومتوافقان لا مزيّة لأحدهما على الآخر.

أضاف عبد القاهر الجرجاني في كتابيه "دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة" إلى قضيّة اللّفظ والمعنى قضيّة ثالثة وهي النّظم، وقد فهم سرّ العلاقة القائمة بين اللّفظ والمعنى، وقد يُخطئ من يقول أنّ عبد القاهر كان من أنصار المعنى على حساب اللّفظ، " أما الباحثون المحدثون فقد ذهبوا طرائق في فهم كلام الشيخ. فأكثرهم قال بأنّ عبد القاهر (شيخ مدرسة المعنى)، وبعضهم جعله إلى مذهب اللفظين أميل، وفريق ثالث تعلق بمسألة النظم، وقصر مذهب الشيخ عليها، وبعضهم اضطرب اضطراب عبد القاهر نفسه"[1]، هكذا كانت الآراء متضاربة حول رأي عبد القاهر في هذه القضيّة، فقد رأى البعض أنّه من أنصار المعنى لقوله: " ومن المعلوم أن لا معنى لهذه العبارات وسائِر ما يَجْرِي / مَجْراها، مما يُفْرَد فيه اللَّفْظُ بالنعت والصدفة، ويُنْسب فِيه الفضلُ والمزِية إليه دون المعنى"[2].

يريد عبد القاهر أن يثبت أنّه لا مزية للّفظ على المعنى، والحقيقة الّتي ندركها أنّ الشّيخ أضاف أمرًا ثالثًا ألّا وهو النّظم، فنراه يربط ائتلاف اللّفظ بالمعنى في حسن النّظم، وقد استشهد بآيات من القرآن الكريم، ويبيّن إعجازها ويستدلّ كذلك بشواهد شعريّة في تحليله لآراء سابقيه، وقد أوضح عبد القاهر أنّ "الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجرّدةٌ، ولا من حيث هي كَلِم مفردةٌ، وأن الفضيلةَ وخِلَافَها، في ملائمة معنى اللَّفظة لمعنى التي تليها، وما أشبه ذلك، مما لا تعُلّق له بصريحِ اللفظ"[3]، فيتّضح أنّ المزيّة والفضل في ذلك التّرابط بين الألفاظ المتواليّة ومعانيها، إذن فتلك العلائق بين الألفاظ ومعانيها، ولا يتأتّى هذا إلاّ من خلال النّظم.

---

[1] مُحَمَّد حسن العماري، قضيّة اللّفظ والمعنى وأثرها في تدوين البلاغة العربية، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1،ص 360 ، ص 361.

[2] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، مصدر سابق، ص43

[3] المصدر نفسه، ص46.

وصل عبد القاهر الجرجاني إلى العلاقة القائمة بين اللّفظ والمعنى، فلم يُؤثر أحدهما على الآخر، بل الفضل كله في التّرابط بين اللّفظة واللّفظة ومعانيهما، وملائمتهما لقواعد النّحو، فوجّه الأنظار نحو اتجاه ثالث لم يتمّ الحديث عنه في قضيّة اللّفظ والمعنى، فأضافه الإمام عبد القادر في حديثه عن هذه القضيّة فاللّفظة لا تستوي إلاّ من خلال مراعاتها لقواعد النّحو والصّرف صياغةً وبناءً.

2- قضيّة الفصاحة والبلاغة:

إنّ البلاغة والفصاحة هما الغاية الّتي يقف عندها طالب البيان، ولكن اضطّرب القدامى في تحديد معنى اللّفظتين، و"استعمل ابن المقفع (ت143هـ) وعمرو بن عبيد، ومن عاصرهما كلمة ((بلاغة)) في موضوعات صارت فيما بعد من موضوعات الفصاحة."[1]، ليأتي الجاحظ ويطرح قول العتابي لما سُئل عن البلاغة، فأجاب "كل من أفهمك حاجته من غير إعادة ولا حبسة ولا استعانة فهو بليغ، فإن أردت اللسان الذي يروق الألسنة، ويفوق كل خطيب فإظهار ما غمض من الحق، وتصوير الباطل في صورة الحق"[2]، وقد فسّر الجاحظ قول العتابي بقوله: "كل من أفهمك حاجته" بأنّ الإفهام يقوم على مجاراة كلام العرب الفصحاء؛ وهكذا يلاحظ أنّ الجاحظ لم يفرّق بين البلاغة والفصاحة ، ولكن يلّمح إلى العلاقة بينهما، فيربط الفصاحة باللّفظ ويربط البلاغة باللّفظ والمعنى، إذ يقول: "فمن زعم أن البلاغة أن يكون السامع يفهم معنى القائل، جعل الفصاحة واللكنة والخطأ والصواب والإغلاق والإبانة والملحون والمعرب كله سواء وكله بيانًا"[3]، فقد استخدم كلمة الفصاحة استخدامًا يكاد يكون قريبا من معناها الّذي استخدم فيما بعد.

---

[1] عبد العاطي غريب علي علام، البلاغة العربيّة بين النّاقدين الخالدين عبد القاهر الجرجاني وابن سنان الخفاجي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1993م، ص45.

[2] الجاحظ، البيان والتّبيّين، مصدر سابق، ج1، ص113.

[3] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، مصدر سابق، ص162.

ليأتي الباقلاني (ت 403 هـ) ليضيف كلمة البراعة فيقول: " ...وأما البراعة ففيما يذكر أهل اللغة: الحذق بطريقة الكلام وتجويده، وقد يوصف بذلك كلّ متقدّم في قول أو صناعة"، وهكذا أضاف الباقلاني كلمة البراعة للفصاحة والبلاغة، ويقول في الفصاحة: "وأما الفصاحة فقد اختلفوا فيها، منهم من عبر عن معناها بأنّه: ما كان جزل اللفظ حسن المعنى، وقد قيل: معناها: الاقتدار على الإبانة عن المعاني الكامنة في النفوس، وعلى عبارات جليلة ومعان نقية بهية"[1].

يوضّح الباقلاني الاختلاف في تحديد مفهوم الفصاحة، ويضع كلمة "البراعة" لتشمل كلّ من البلاغة والفصاحة، ويشير إلى أنّ الفصاحة اختلفوا في معانيها، فمنهم من يراها في حسن اختيار اللّفظ والمعنى، ومنهم من يرى أنّها القدرة على التّعبير عمّا تختلج به النّفس باستخدام عبارات جميلة دالّة على معانٍ بهيّة، وهكذا لمّح الباقلاني للفصاحة ولكنّه جعلها متعلقة بالبراعة والبلاغة، وقد استعان بخطبٍ لبيان مقصده، واستهلّها بخطب أفضل الخلق أجمعين نبيّنا الكريم ﷺ.

يعدّ ابن سنان (ت466هـ) أوّل من خصّص للفصاحة بابًا مفردًا من خلال مؤلّفه "سرُّ الفصاحة"، فأورد في كتابه هذا تعريف الفصاحة إذ يقول: "الفصاحة الظهور والبيان. ومنها أفصح اللبن إذا انجلت رغوته، وفصُح فهو فصيح، قال الشاعر:

وتحت الرّغوة اللبنُ الفصيحُ

ويقال أفصح الصبح إذا بدا ضوءه، وأفصح كل شيء إذا وضح، وفي الكتاب العزيز: **(وأخي هارون أفصح مني لسانا فأرسله معي)**، وفِصْح النصارى عيدهم، وقد تكلمت به العرب، قال حسان بن ثابت:

ودنا الفصح فالولائد ينظمن   سراعــاً أكلة المرجان

---

[1] الباقلاني، إعجاز القرآن، تحقيق السّيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، (د ط)، 1971م، ص127.

... وسمى الكلام فصيحاً كما أنهم سموه بياناً لإعرابه عما عُبر به عنه وإظهاره له إظهاراً جلياً، روى عن النبي ﷺ أنه قال: ((أنا أفصح العرب بيد أني من قريش))"[1]. وهكذا يوّضّح ابن سنان معنى الفصاحة مستدلاّ بشاهدين شعريين وبآية قرآنية وبحديث نبوي، فقد جمع كلّ هذه الشّواهد لبيان معنى الفصاحة، وحتّى يمهّد الطّريق للحديث عن الفرق بينها وبين البلاغة، إذ يقول: "أن الفصاحة مقصورة على وصف الألفاظ، والبلاغة لا تكون إلا وصفاً للألفاظ مع المعاني، لا يقال في كلمة واحدة لا تدل على معنى يفضل عن مثلها بليغة، وإن قيل فيها فصيحة وكل كلام بليغ فصيح، وليس كل فصيح بليغًا كالذي يقع في الإسهاب في غير موضعه."[2].

يبيّن ابن سنان الفرق بين الفصاحة والبلاغة، فيجعل الفصاحة مرتبطة باللّفظ، والبلاغة تتعلّق باللّفظ والمعنى، ليضيف أنّ كل كلام بليغ هو كلام فصيح؛ أي ليس كلّ فصيح بالضّرورة بليغًا، وقد جعل ابن سنان الفصاحة شرطًا من شروط البلاغة وأحد أشطارها، وبعد أن وضّح الفرق بين البلاغة والفصاحة مستدلاّ بشواهد متعدّدة من الكتاب والسّنّة والشّعر وأقوال العرب، عرّج على شروط الفصاحة إذ يقول: "... وتلك الشروط تنقسم قسمين: فالأول منها يوجد في اللفظة الواحدة على انفرادها من غير أن ينضم إليها شيء من الألفاظ وتؤلف معه، والقسم الثاني يوجد في الألفاظ المنظومة بعضها مع بعض"[3].

يقسّم ابن سنان شروط الفصاحة إلى قسمين منها المتعلّقة باللّفظة الواحدة المنفردة ومنها المرّكب، وأخذ يفصّل في أقسامها مستفيضًا في شرحها، ومستشهدًا بالكثير من الشّواهد الّتي جعلته قادرًا على توضيح موقفه وتبيان الجيّد من الرّديء، وهكذا "عالج ابن سنان في كتابه (سر الفصاحة) فنون البلاغة والبديع،

---

[1] ابن سنان الخفّاجي، سرّ الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1982م، ص58، ص59.

[2] المصدر نفسه، ص59.

[3] المصدر نفسه، ص63.

فلم يقصره على الفصاحة اللفظية، بل إن الفصاحة عنده تعني حسن اللفظ وحسن المعنى. ثم إنه عرض تلك الفنون عرضا نقديا أدبيا، وقد أكثر من إيراد الشّواهد مع بيان جيدها ورديئها، وبيان السّبب في ذلك بذوق أدبي رفيع."[1].

عرّج ابن رشيق في كتابه (العمدة في صناعة الشّعر ونقده) على فنون البلاغة والبديع، والفصاحة عنده لا تقتصر على اللّفظ بل تتعداه إلى المعنى، والواقع أنّ ابن رشيق أكثر من إيراد الشّواهد في هذا الباب حتّى يتضّح موقفه ويُظهر رأيه، فعرض أفكاره وفق منهج نقدي وبأسلوب مُميّز.

يقول الجرجاني (ت471 هـ) في كلامه عن الفصاحة" واعلم أن البلاء والداء العياء أن ليس علم الفصاحة وتمييز بعض الكلام من بعض بالذي تستطيع أن تفهمه من شئت، ومتى شئت"[2].

جعل الجرجاني الفصاحة علم يصعب تعلّمه، فقد جعلها مرتبطة بتمييز الكلام، ليعقد فصلاً في دلائل الإعجاز في تحقيق القول على البلاغة والفصاحة والبيان والبراعة، وكلّ ما شاكل ذلك، إذ يقول في تعريفه للفصاحة: " ولو كان قولُ القائل في تفسير الفصاحة: «إنها خصوصية في نَظْمِ الكلم وضمّ بعضِها إلى بعض على طَريقٍ مخصوصة، أو على وجوه تظهر بها الفائدة»، أو ما أشبه ذلك من القولِ المجمل، كافياً في معرفتها، ومُغْنِياً في العلم بها، لكفى مِثْلُه في معرفة الصّناعات كُلّها."[3]

وهكذا ساوى الجرجاني بين البلاغة والفصاحة والبيان والبراعة في وصف الكلام وتفضيل بعضه على بعض، وكلّما كان الكلام فصيحا بليغا كلّما كان وقعه حسنًا على النّفوس، وقد حاول أن يشير عبد القاهر الجرجاني في تفسيره للفصاحة إلى قضيّة ضمّ الكلام بعضه إلى بعض، ولكن المزيّة في خصوصيّة

---

[1] مُحَّد كريم الكوّاز، البلاغة والنّقد المصطلح والنّشأة والتّجديد، الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2006م، ص37، ص38.

[2] الرّماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق مُحَّد خلف الله أحمد ومُحَّد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط3، 1976م، ص157.

[3] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، مصدر سابق، ص36.

ذلك النّظم، وراح يضرب المثل بعمل الدّيباج المُنَقَّش، ولكنّه لم يمثل لها بشواهد لأنّه ركز على خصوصيّة النّظم فاستعان بشواهد كثيرة لتبيان نظريّته، ورغم أنّ الجرجاني لم يفصّل في الفصاحة إلّا أنّه اهتم كثيرا بقضيّة النّظم الّتي أحدثت ثورة في الدّراسات البلاغيّة فيما بعد.

يجب الإشارة إلى أنّ هناك مجموعة كبيرة من العلماء الّذين أسهموا كثيرا في إثراء المباحث البلاغيّة وبيان مقاصدها، كابن الأثير الّذي فصل القول هو كذلك في الفصاحة، فما قرّره ابن سنان وابن الأثير لم يخرج عنه الّذين جاؤوا فيما بعد، فُعبّدت الطّريق للمتأخرين الّذين تقدّمهم السّكاكي، وعند تتبعنا لأقوال العلماء في هذا الباب، نرى أنّهم استعانوا بالشّواهد لتبيان المقاصد، وتنوّعت الشّواهد بين الشّعر والخطب إلى غير ذلك من كلام العرب.

3- قضيّة الحقيقة والمجاز:

تشكّل النّصوص المجازية موضوعا مميزاً في كل اللّغات، وقد نشأت قضيّة المجاز في الخطاب العربي من رافدين مهمّين هما: فكرة إعجاز القرآن، وفكرة التّأويل، وللمجاز والحقيقة فائدة مهمّة في تقنين اللّغة وفهم سرّ إعجاز القرآن الكريم، والواقع أنّ "الكلام إنما هو مبني على الفائدة في حقيقته ومجازه"[1]، فالكلام سواء كان على الحقيقة أو المجاز يقوم على الفائدة، وقد عُرف المجاز في بداية الأمر بمصطلح "الاتّساع" وقد استعملها سيبويه في تعبيره عن الأساليب المجازية، "وليس من اللازم أن نجد اللفظ عند الحديث عن المجاز فقد يكون الحديث قائما والمصطلح لم ينشأ بعد، أو لم تستخدمه طائفة، أو استقرّ في بيئته ولم يستقرّ في أخرى، فإن الشيء قد يوجد قبل اسمه الخاص وجد تحت اسم آخر أو وجد ولم تكن هناك الحاجة لتسميته كما قرروا صدد لفظ التصوف"[2]، فالعرب قد عرفت المجاز قبل أن ينضج المصطلح، ولم يكونوا بحاجة لتسميته فهو موجود في ممارساتهم اللّغوية، وفي كلامهم وأشعارهم الكمّ الهائل

[1] الآمدي، الموازنة ، مصدر سابق، ج1، ص201.

[2] محمّد بدري عبد الجليل، المجاز وأثره في الدّرس اللّغوي، دار النّهضة العربيّة للطّباعة والنّشر، بيروت، 1986م، ص41

من التّعابير المجازية الّتي تدلّ على ذلك، ولكن علماء البلاغة لهم الأثر الواضح في التّأصيل للمصطلح وبيان أقسامه، وابن قتيبة (ت 276 هـ) عرض في كتابه (تأويل المشكل) باباً سمّاه (القول في المجاز) تكلّم فيه عمّن يطعن في القرآن بالمجاز، ثمّ تكلّم أيضًا على الّذين يردّون على مَن نفى المجاز وناقشهم نقاشًا حادًا، وأيضا شيخه الجاحظ (ت 255هـ) ، له كتابات في المجاز منتشرة في (كتاب الحيوان)، ويعتبر أبو عبيدة معمر بن المثنى التّميمي أوّل من استعمل مصطلح "المجاز" في كتابه (المجاز في غريب القرآن)، ولكن لم يستخدم المصطلح بمعناه المعاصر، فقد قصد بكلمة "مجاز" وجه الكلام ومأخذه أو ما يعبّر به عن معنى الآية، وهناك من أهل العلم من يسمّي المجاز استعارة وتوسعا، ويطلق القاضي الجرجاني (ت 366هـ) اسم الاستعارة على أنواع المجاز كلّها، إذ يقول: "وإنما الاستعارة ما اكتُفي فيها بالاسم المستعار عن الأصل، ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها. وملاكُها تقريب الشَّبَه، ومناسبةُ المستعار له للمستعار منه، وامتزاجُ اللفظ بالمعنى، حتى لا يوجد بينهما منافرة، ولا يتبين أحدهما إعراض عن الآخر"[1]، هكذا شملت الاستعارة عند القاضي الجرجاني كل أنواع المجاز.

ليأتي أبو هلال العسكري (ت 395 هـ) في كتابه (الصّناعتين) ويعقد فصلا في كتابه باسم الاستعارة والمجاز، إلاّ أنّه شرح الاستعارة، ومثّل لها بالشّواهد، حيث بيّن العلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي، إذ يقول: " ولابد لكل استعارة ومجاز من حقيقة وهي أصل الدلالة على المعنى في اللغة، كقول امرئ القيس:

وقد أغتدي والطير في وكناتها   بمنجرد قيد الأوابد هيكل

---

[1] القاضي الجرجاني، الوساطة بين المتنبّي وخصومه، مصدر سابق، ص45.

والحقيقة هي موانع الأوابد من الذهاب والإفلات والاستعارة أبلغ...لأنّ القيد من أعلى مراتب المنع عن التصرف لأنك تشاهد ما في القيد من المنع فلست تشك فيه"[1].

يضع أبو هلال العسكري الاستعارة والمجاز في مستوى واحد ولا يفرق بينهما، فكلاهما برأيه يحتاج إلى الحقيقة الّتي هي أصل الدّلالة على المعنى في اللّغة، فلا يمكن أن ندرك المعنى المجازي إلّا من خلال إدراكنا للمعنى الحقيقي الّذي هو أصل الدّلالة.

يعرض ابن رشيق (ت456 هـ) للمجاز ويذكر له معنى عامًا وهو: "طريق القول ومأخذه، وهو مصدر "جزتُ مجازاً" كما تقول "قمت مقاما"... والمجازُ في كثير من الكلام أبلغُ من الحقيقة، وأحسن موقعًا في القلوب والأسماع، وما عدا الحقائق من جميع الألفاظ، ثم لم يكن مُحَالاً مَحْضاً، فهو مجاز، لاحتماله وجوه التأويل، فصار التشبيه، والاستعارة، وغيرهما من مَحَاسِنِ الكلام داخلة تحت المجاز، إلا أنهم خصوا به – أعني المجاز- باباً بعينه؛ وذلك أن يُسمَّى الشُئ باسم ما قاربه، أو كان منه بسبب، كما قال جريرُ بنُ عطية:

إذا سَقَطَ السَّماءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ رَعَيْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا غِضَابَا "[2]

نرى أنّ ابن رشيق يجعل المجاز أبلغ من الحقيقة، فهو أحسن موقعاً في قلب السّامع لأنّه يحتمل التّأويل، ويضع التّشبيه والاستعارة والمحسنات الكلامية تحت لواء المجاز، ويذكر أنّهم قد خصّصّوا بابًا للمجاز حتّى يبيّن لنا الأهميّة الّتي يحظى بها المجاز في الوسط اللّغوي، ويستشهد بأبيات شعريّة ليوضّح المقصود من كلامه، فالمجاز ينمو ويزدهر في الغموض وهذه الاعتبارات تتوفر في الشّعر، والواقع أنّ أثر الشّواهد القرآنية والشّعرية جلّي في تعزيز المفاهيم.

---

[1] أبو هلال العسكري، الصّناعتين، مصدر سابق، ص 276.

[2] ابن رشيق، العمدة في صناعة الشّعر ونقده، مصدر سابق، ص 429، ص430.

ولكن الإمام عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ) هو من وضع الحدود الفاصلة بين أنواع المجاز، كما استطاع أن يسمّي كلاّ منهما باسمه الاصطلاحي ويأصّل المجاز تأصيلاً، فعرف المجاز ذروة اكتماله على يده، وقد ذكر أنّ المجاز مقابل الحقيقة فقال: "هو كل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأول، فهي مجاز وإن شئت قلت: كل كلمة جزت بها ما وقعت له في وضع الواضع إلى ما لم توضع له من غير أن تستأنف فيها وضعا لملاحظة بين ما تجوز بها إليه، وبين أصلها الذي وضعت له في وضع واضعها فهي مجاز"[1].

حدّد الجرجاني قاعدة بلاغيّة للمجاز، فجعله كلّ كلمة أريد بها غير موضعها الحقيقي، ويستدلّ في كلامه بشواهد شعريّة على المجاز، إذ يقول:" ونظير هذا قولهم في صفة راعي الإبل: " إنّ له عليها إِصْبعاً"، أي: أثراً حَسَناً، وأنشدوا: [الطويل]

ضَعِيفُ العَصَا، بادِي العروقِ، ترى له عليها إذا ما أجدبَ الناسُ إِصْبَعَا.

وأنشد شَيخنا رحمه الله مع هذا البيت قول الآخر: [من الرجز]

./ صُلْبُ العَصا بالضَّرب قد دَمَّاها"[2]

استدعى الجرجاني الشّواهد الشّعريّة ليفيض في تعريف المجاز، فحضور الشّواهد الشّعريّة ضروري لتوضيح المجاز، وقد استعان بالشّواهد الشّعرية لما يزخر به الشّعر من التّخييل والإنزياح والغرابة، وهو دليل على أنّ العرب استعملوا المجاز في كلامهم وأشعارهم، فالشّاهد الشّعري يمتاز بإبلاغية نسبيّة كبيرة خاصة عندما يتعلق الأمر بالمجاز.

---

[1] الجرجاني، أسرار البلاغة، مصدر سابق، ص315، ص352.

[2] المصدر نفسه، ص353.

قسّم الجرجاني المجاز إلى قسمين: مجاز عقلي ومجاز لغوي إذ يقول: "مجاز من طريق اللغة، ومجازٌ من طريق المعنى والمعقول. فإذا وصفنا بالمجاز الكلمة المفردة كقولنا: "اليد مجاز في النعمة" "والأسد مجازٌ في الإنسان وكلّ ما ليس بالسبع معروف"، كان حُكماً أجريناه على ما جرى عليه من طريق اللغة، وأوقعها على غير ذلك، إمَّا تشبيهاً، وإمَّا لصلةٍ وملابَسةٍ بين ما نقلها إليه وما نقلها عنه، ومتى وصفنا بالمجاز الجملة من الكلام، كان مجازًا من طريق المعقول دون اللغة، وذلك أن الأوصاف اللّاحقة للجُمَل من حيث هي جُمَل، لا يصحُّ رَدُّها إلى اللغة، ولا وجهَ لنسبتها إلى واضعها"[1].

يوضح الجرجاني الفرق بين المجاز اللّغوي والمجاز العقلي، فهو يوضح أنّ المجاز اللّغوي ما كان من طريق اللّغة، والمجاز العقلي ما كان من طريق المعنى والمعقول، ويوضح أنّ المجاز يرتكز على علاقة المشابهة وإمّا لصلّة وملابسة، ويمثّل لكلامه بأمثلة، فالمجاز يمكن أن يوصف بكلمة واحدة كاليد والأسد، ويطول شرحه في هذه القضيّة حتى يُمكّن القارئ من الوصول إلى الغاية، هكذا كان لحضور الشّواهد والأمثلة الأثر البالغ في تيسير الفهم للمتلقي.

سار السّكاكي (ت 626هـ) على النّهج الّذي رسمه الجرجاني في تقسيمه للمجاز إلى لغوي وعقلي، فيقسّم المجاز اللّغوي إلى قسمين قسم يرجع إلى معنى الكلمة، وقسم يرجع إلى حكم لها في الكلام، ويقسّم القسم الأوّل – الرّاجع إلى معنى الكلمة– إلى قسمين: خال عن الفائدة، ومتضمن لها، ويقسّم المتضمن للفائدة إلى قسمين: خال عن المبالغة في التشبيه، ومتضمن لها ويسمى استعارة[2]، وفي حديثه عن المجاز اللّغوي الرّاجع إلى المعنى المفيد الخالي عن المبالغة في التّشبيه يورد العديد من الشّواهد القرآنية "كقوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗاۚ﴾ [غافر: 13] أي مطراً هو سبب الرزق"[3].

[1] الجرجاني، أسرار البلاغة، مصدر سابق، ص408.

[2] ينظر مفتاح العلوم للسكاكي، ص362.

[3] المصدر نفسه، ص366.

يستشهد السّكاكي بالكثير من الآيات القرآنية بالشّرح والتّحليل، لييسّر على القارئ الفهم، ولكنّه إكثار من غير إطناب، ووضعه للقواعد البلاغيّة يستند إلى الكثير من الفلسفة والمنطق، وهذا دليل على سعة اطّلاعه.

يتطرّق السّكاكي إلى الحقيقة ويقول: " ولك أن تقول: الحقيقة هي الكلمة المستعملة في معناها بالتحقيق، والحقيقة تنقسم عند العلماء إلى: لغوية وشرعية وعرفية. السبب في انقسامها هذا، هو ما عرفت، أن اللفظة تمتنع أن تدل على ما مسمى من غير وضع، فمتى رأيتها دالة لم تشك في أن لها واضعاً، وأن لوضعها صاحباً. فالحقيقة لدلالتها على المعنى تستدعي صاحب وضع قطعاً، فمتى تعين عندك، نسبت الحقيقة إليه، فقلت: لغوية، إن كان صاحب وضعها واضع اللغة. وقلت: شرعية إن كان صاحب وضعها الشارع، ومتى لم يتعين، قلت: عرفية. وهذا المأخذ يعرفك أن انقسام الحقيقة إلى أكثر مما هي منقسمة إليه غير ممتنع في نفس الأمر."[1].

يتحدث السّكاكي عن الحقيقة ويبيّن أقسامها، فهي تنقسم حسبه إلى ثلاثة أقسام: لغويّة، شرعيّة، وعرفيّة على حسب وضع الواضع، يرجع السّكاكي انقسام الحقيقة بهذا الشّكل إلى أنّ اللّفظة متى تراها دّالة لا بدّ لها من واضع، وهذا الواضع هو الّذي تنسب إليه الحقيقة، فإن كان الواضع لغويًّا كانت الحقيقة لغويّة، وقس على ذلك الحقيقة الشّرعيّة والعرفيّة، ثمّ يعود ويعطي تعريفًا آخر للحقيقة بقوله: "يحدون **الحقيقة** هكذا: كل كلمة أريد بها ما وقعت له في وضع واضع وقوعاً لا تستند فيه إلى غيره، وإنما يقولون: واضع، بالتنكير دون التعريف ليعم واضع اللغة، وغيره من أصحاب الأوضاع المتأخرة عن وضع اللغة "[2].

---

[1] السكاكي، مفتاح العلوم، مصدر سابق، ص359.

[2] المصدر نفسه، ص361.

نلاحظ أنّ السّكاكي يورد أربعة تعريفات للحقيقة تصبّ في قالب واحد، فيقول هي الكلمة الموضوعة من غير تأويل، وهي الكلمة الدّالة على نفسها دلالة ظاهرة، وهي الكلمة المستعملة في معناها بالتّحقيق، وهي الكلمة الّتي أريد بها ما وقعت له في وضع واضع، وهذا يبيّن أنّ السّكاكي استفاد من التّراث البلاغي الّذي ورثه عن القدامى، فشرع يضع القواعد البلاغيّة ويحدّد مفاهيمها مستشهدا بالشّواهد البلاغيّة ويزينّها بأمثلة، فالشّواهد البلاغيّة في قضيّة الحقيقة والمجاز وفي القضايا البلاغيّة الأخرى تعتبر حجج ذائدة عن الزّيغ في وجه المشكّكّين في وجود المجاز في القرآن، فهناك من رأى أنّ الكلام الموجود في القرآن هو على سبيل الحقيقة لا على سبيل المجاز، وهكذا استمرت جدليّة الحقيقة والمجاز في التّراث البلاغي إلى وقتنا هذا.

إنّ الحقيقة والمجاز قضيّة جدليّة شغلت البلاغيّين منذ زمن طويل، والحقيقة أنّ اللّغة العربيّة لغة غنيّة بالتّعبيرات المجازية، وهذا الاعتراف جاء من عند الغربيّين أنفسهم، ونورد قول **جوستاف جرونيباوم** عن اللّغة العربية والمجاز قائلاً:" وتمتاز العربية بما ليس به ضريب من اليسر في استعمال المجاز، وإن ما بها من كنايات ومجازات واستعارات ليرفعها كثيراً فوق كل لغة بشرية أخرى، وللغة خصائص جمة في الأسلوب والنحو ليس من المستطاع أن يكتشف لها نظائر في أي لغة أخرى"[1]، فالمجاز إذن من خصائص اللّغة العربيّة الّتي لا نظير لها، والشّواهد البلاغيّة الدّالة على المجاز تثبت ذلك، والظّاهر أنّ الشّواهد القرآنية والشّعريّة والنّثريّة لا تكاد تنفكّ عن المجاز، فكلام العربيّ قبل معرفته للقرآن يكتسحه المجاز، فكان ضربًا من ضروبهم، وفنّا من فنونهم عرفوا المفهوم قبل المصطلح، وجماليّة المجاز وحجاجيّته جعلت البلاغيّين القدامى والمحدثين يهتمون به، وقولهم المجاز أبلغ من الحقيقة خير دليل على ذلك.

[1] أنور الجندي، الفصحى لغة القرآن، دار الكتاب اللّبناني ، لبنان، 1982م، ص 306.

4- قضيّة النّظم وقضيّة المقام:

إنّ فكرة النّظم ترتبط أساساً بقضيّة إعجاز القرآن الكريم، وإنّ ما وصلنا من كلام حول الإعجاز يرجع إلى الاتّصال بالثّقافات الأخرى كاليونانيّة مثلاً، وازدهار حركة التّرجمة الّذي أدّى إلى ظهور الفرق الكلاميّة، ولعلّ عند تتبعنا لقضيّة النّظم نجد هذا المصطلح قد لمّح إليه بالذّكر أو الإشارة الكثير من البلاغيّين والنّحويين قبل الجرجاني، يتقدّمهم سيبويه:

لمحّ **سيبويه (ت180هـ)** إلى النّظم دون التّصريح به، إذ يقول في مقدمة الكتاب: "هذا باب الاستقامة من الكلام والإحالة، فمنه مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب، ويفسر ذلك بقوله: فأما المستقيم الحسن، فقولك: أتيتك أمس وسآتيك غداً، وأما المحال: فأن تنقض أول كلامك بآخره، فنقول: أتيتك غداً وسآتيك أمس وأما المستقيم الكذب: فقولك: حملت الجبل، وشربت ماء البحر ونحو ذلك"[1].

فنرى أنّ سيبويه يفصّل القول في الكلام؛ ويقسّمه إلى مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب، وهكذا أشار سيبويه إلى أنّ كلّ كلام خارج عن الاستقامة ولا يؤدي المعنى المطلوب منه لا يدخل ضمن دائرة البلاغة، ورغم أنّه لم يصرّح بمصطلح النّظم إلّا أنه أشار إلى المفهوم، وفي كلامه إرهاصات حول قضيّة النّظم، فكلامه في النّحو ولكن لا ينفكّ أن يظهر التّلاقح اللّغوي بين النّحو والبلاغة في ثنايا حديثه وهو ما أشار إليه بالاستقامة، فهو يحثّ القائل على تجنّب الوقوع في خلل أثناء سياق عبارة أو معنى حتى يستقيم كلامه ويحسن معناه.

ليأتي زعيم المعتزلة **إبراهيم النّظام (ت231هـ)** في حديثه عن إعجاز القرآن متبنيًّا مبدأ الصّرفة، إذ يقول: "إنّه من حيثُ الإخبارُ عن الأمور الماضيَّة والآتية، ومن جهة صرفِ الدَّواعي عن المعارضة ومنع

[1] سيبويه، الكتاب، مصدر سابق، ج1، ص8.

العرب عن الاهتمام به جَبْرًا وتعجيزًا حتى لو خلاهم لكانوا قادرين على أن يأتُوا بسورة من مثله بلاغةً وفصاحةَ ونظمًا"[1]، وهكذا قد وردت لفظة النّظم في الحديث عن إعجاز القرآن وكذا عن صرف ومنع العرب على الإتيان بمثله، وما يهمّنا في هذا القول هو قوله أنّه لو تركوا لكانوا قادرين على الإتيان بسورة من مثله بلاغةً وفصاحةً ونظماً، ولكنّه لم يوّضح معنى النّظم المقصود وفي الغالب أنّه لا يقصد فكرة النّظم الّتي جاء بها الجرجاني وإلّا لأطال الحديث في ذلك، وربما رأى أنّ البلاغة والفصاحة والنّظم شيء واحد.

يدلي **الجاحظ (ت255هـ)** بدلوه، ويتكلّم في نظم القرآن، إذ يقول: " ألا ترى أنَّ الناسَ قد كان يتهيَّأُ في طبعائهم، ويجري على أَلسنتهم أن يقول رجلٌ منهم: الحمد لله، وإنَّا لله، وعلى الله توكَّلْنا، وربُّنَا الله، وحَسْبُنا اللهُ ونعم الوكيل، وهذا كلُّه في القرآن، غير أنَّه متفرّق غير مجتمع؛ ولو أراد أنطَقُ النَّاسِ أن يؤلّف من هذا الضَّرب سورةً واحدة، طويلةً أو قصيرة، على نَظْم القرآن وطَبْعه، وتأْليفه ومخرجه لما قَدَر عليه، ولو استعان بجميع قَحْطان ومَعدّ بنِ عدنان"[2]، إذن ورد لفظ النّظم عند الجاحظ وارتبط بالقرآن الكريم وإعجازه، والجاحظ يوّضح أنّ نظم القرآن معجز لجميع العرب ولو اجتمعوا واستعانوا بفصحاء العرب لم يقدروا على أن يأتوا بسورة مثله، ثمّ يضيف في كلامه عن الشّعر فيقول: "وأحسن الشعر إذا رأيته متلاحم الأجزاء سهل المخارج، فتعلم بذلك أنه أفرغ إفراغاً واحداً، وسبك سبكاً واحداً فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان"[3].

---

[1] الشّهر ستاني، الملل والنّحل،تحقيق مُحَّد سّيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 1975م،،ج1، ص56-ص57

[2] أبو عثمان بن بحر الجاحظ، رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السّلام هارون، دار الجبل، بيروت، ط1، 1991م، ج3، ص229.

[3] ابن رشيق، العمدة في صناعة الشعر ونقده، مصدر سابق، ج1، ص257

ويضيف في كلامه عن الشّعر، أنّ أحسن الشّعر ما كان متلاحم الأجزاء وسهل المخارج، فيسبك سبكاً واحداً يجري على الألسنة، وبهذا ينتبه الجاحظ إلى قضيّة التّلاحم والسّبك في الكلام الشّعري، وقد ألّف الجاحظ كتاباً أسماه "نظم القرآن" لم يعثر عليه.

ويقول **ابن قتيبة (ت 276هـ)** في حديثه عن إعجاز القرآن: "وقطع منه بمعجز التّأليف أطماع الكائدين، وأبانه بعجيب النّظم عن حِيَل المتكلّفين، وجعله مَتْلُواً لا يُمَلّ على طول التّلاوة، ومسموعاً لا تمجُه الآذان، وغَضاً لا يَخْلُق على كثرة الرد، وعجيباً. لا تنقضي عجائبه، ومفيداً لا تنقطع فوائده، ونَسَخَ به سالف الكتب."[1].

يرجع ابن قتيبة سرّ إعجاز القرآن إلى تأليفه ونظمه، فهو عجيب لا تنقضي عجائبه، فهو دقيق في ضّم الألفاظ والمعاني لبعضها بعض، وجعله الله متلوا ومسموعًا لا تمجه الآذان، فبه تسكن النّفوس وترتاح، وفائدته لا تنقطع حتّى يرث الله الأرض وما عليها، فهو معجزة نبينا الكريم ﷺ الّذي قطع به الطّريق أمام الكائدين والمشكّكّين، وقد صرّح ابن قتيبة بمصطلح النّظم في حديثه عن القرآن الكريم وبيان إعجازه.

يتّحدثّ **الرّماني (ت 376هـ)** عن التّلاؤم ويعقد له بابًا، فيقول: "التلاؤم نقيض التنافر، والتلاؤم تعديل الحروف في التأليف، والتأليف على ثلاثة أوجه: متنافر، ومتلائم في الطبقة الوسطى، ومتلائم في الطبقة العليا"[2]، بيّن الرّماني المقصود بالتّلاؤم بالدّلالة على نقيضه وهو التّنافر، فالأشياء بأضدادها تُعرف، فكان تعريفه موجزًا بليغا في هذا الشّأن، وربط التّلاؤم بالحروف وتعديلها، فجعل المتلائم في الطّبقة العليا وقصد به القرآن كلّه، فنرى أنّه جعل النّظم موازيًا للتّلاؤم، ويضيف قائلاً مرة أخرى "وحسن البيان في الكلام على مراتب: فأعلاها مرتبة ما جمع أسباب الحسن في العبارة من تعديل النظم حتى

[1] ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تح إبراهيم شمس الدّين، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط2، 2007م، ص11.

[2] الرّماني والخطّابي وعبد القاهر الجرجاني، ثلاث رسائل في الإعجاز، تحقيق مُحَمَّد خلف الله أحمد ومُحَمَّد زغلول سلام، مصدر سابق، ص94، ص95.

يحسن في السمع ويسهل على اللسان وتتقبله النفس تقبل البرد. وحتى يأتي على مقدار الحاجة فيما هو حقه من المرتبة"[1].

أشار الرّماني إلى النّظم، وجعل حسن البيان في الكلام على مراتب، فحسن العبارة راجع إلى تعديل النّظم، فبحسن النّظم ينزل الكلام في أذن السّامع حسنًا ويكون نطقه سهلاً وموقعه في النّفس عزيزاً، فتتقبله النّفس وتأنس إليه، ويعبّر عن المقصد حسب الحاجة، وإن لم ينطق الرّماني بالنّظم "صراحة به بحكم نزعته الاعتزالية، ولكنه أبان عن كثير من دقائقه الفنية التي استطاع بمهارته الكشف عنها، وكانت آراء الرماني مفيدة للباحثين من بعده، وإن لم يصرح كثير منهم بفضله، ومن الذين صرحوا بذكر اسمه عند الإفادة منه ابن رشيق القيرواني وابن سنان الخفاجي وإن لم يصرح باسمه في كل موضع، ويحي بن حمزة العلوي، وابن أبي الأصبع"[2]، وهكذا استفاد الباحثون كثيراً من حديث الرّماني عن التّلاؤم، فهو لم ينطق بالنّظم صراحة بحكم انتمائه للبيئة الاعتزاليّة، ومعلوم أنّ مصطلح النّظم شاع عند الأشاعرة، وهذا ما جعل بعض العلماء يشيدون به، ويصرّحون باسمه عند الاستفادة من أقواله، إلّا أنّه أبان عنه في كلامه عن التّلاؤم، وهناك من صرّح بمجهوداته الجبارة في هذا الباب عند الإفادة منه بذكر فضله وبيان قصده والسّير على رأيه، وهناك من لم يذكره ولم يشر إليه.

يعرض **الخطابي (ت 388هـ)** فكرته عن النّظم، ويبيّن أنّ النّظم ليس من الأمور السّهلة، بل لا يتأتى إلّا بالثّقافة والحذّق، فبه تنظم أجزاء الكلام ويتشكلّ البيان، فيقول: "وأما رسوم النظم فالحاجة إلى

---

[1] الرّماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، ثلاث رسائل في الإعجاز، تحقيق مُحَّد خلف الله أحمد ومُحَّد زغلول سلام، مصدر سابق، ص107.

[2] عبد العاطي غريب علي علام، البلاغة العربيّة بين النّاقدين الخالدين عبد القاهر الجرجاني وابن سنان الخفاجي، مرجع سابق، ص58.

الثقافة والحذق فيها أكثر لأنها لجام الألفاظ. وزمام المعاني وبه تنتظم أجزاء الكلام. ويلتئم بعضه ببعض فتقوم له صورة في النفس يتشكل بها البيان."[1].

لا بد للّنظم من رسوم والمتمثلّة في الثّقافة والحذق حسب الخطّابي، فالألفاظ والمعاني مرتبطين بهذين العنصرين، فبهما ينتظم الكلام، وتتلاحم أجزاؤه ويلتئم بعضه ببعض، فتتشكلّ صورته في النّفس لتتحقق في الأخير الإبانة.

ويواصل الخطّابي حديثه عن إعجاز القرآن الّذي تعذّر على البشر الإتيان بمثله، فيقول عن إعجاز القرآن: " وإنما تعذر على البشر الإتيان بمثله لأمور: منها أنَ علمهم لا يحيط بجميع أسماء اللغة العربية [وبألفاظها] التي هي ظروف المعاني والحوامل لها، ولا تدرك أَفهامهم جميع معاني الأشياء المحمولة على تلك الألفاظ، ولا تكمل معرفتهم لاستيفاء جميع وجوه النظوم التي بها يكون ائتلافها وارتباط بعضها ببعض، فيتوصلوا باختيار الأفضل عن الأحسن من وجوهها إلى أن يأتوا بكلام مثله، وإنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة: لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم."[2].

فنظم القرآن يختلف عن النّظوم الأخرى، فهو أعلى مرتبة، فالقرآن جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التّأليف مضمنًا أصح المعاني، وهذا من الأمور الّتي تعجز عنه البشريّة، ضف إلى ذلك أنّ العرب لا يمكنهم الإحاطة بجميع الألفاظ والّتي هي قوالب للمعاني، وبالتّالي لا يمكنهم كذلك أن يدركوا جميع المعاني، مّا يجعلهم لا يصلون إلى معرفة وجوه النّظم الّتي تعتبر الرّباط بين الألفاظ والمعاني، وفي حديث

1 الرّماني والخطّابي وعبد القاهر الجرجاني، ثلاث رسائل في الإعجاز، تحقيق مُحَّد خلف الله أحمد ومُحَّد زغلول سلام، مصدر سابق، ص36.

2 المصدر نفسه، ص27.

الخطابي دلالات واضحة على أنّ نظم القرآن خارج عن وجوه النّظم المعتاد، وقد وضع أسس النّظم السّليم المتعلقة أساساً بالثّقافة العاليّة والحذق، واللّفظ والمعنى والرّباط النّاظم.

أمّا **أبو هلال العسكري** (**ت 395هـ**) فقد جعل النّظم والرّصف والسّبك ألفاظًا مترادفة، إذ يقول: "فحسن الرصف أن توضع الألفاظ في مواضعها، وتمكن في أماكنها، ولا يستعمل فيها التقديم والتأخير والزيادة إلا حذفاً لا يفسد الكلام، ولا يعمي المعنى، ويضمّ كل لفظة منها إلى شكلها، وتضاف إلى لفقها، وسوء الرصف تقديم ما ينبغي تأخيره منها، وصرفها عن وجوهها، وتغيير صيغتها، ومخالفة الاستعمال في نظمها"[1].

إنّ أبا هلال العسكري يوضّح أنّ حسن الرّصف هو وضع الألفاظ في مواضعها بحيث لا يحدّث خللا في المعنى، فلا يجب أن يكون التّقديم والتّأخير والزّيادة مفسدًا للكلام ولا مؤثرا على المعنى، وفي حالة مخالفتها لموقعها كتقديم ما لا ينبغي تقديمه، أو تغيير الصّيغة، فحتما يؤّدي إلى سوء الرّصف، ومخالفة الاستعمال في النّظم، وهكذا يتّضح أنّ أبا هلال العسكري ركزّ كثيراً على قضيّة الرّصف المقابلة للنّظم وجعل استقامة الكلام في مراعاة مراتبه واستعمالاته المعتادة عند العرب، فأي إخلال بقوانين العرب وسننهم في الكلام ينتج عنه فساد في نظم الكلام ورصفه.

نرى **الباقلاني** (**ت 403 هـ**) يسير على خطى سابقيه، فيرى أن كتاب الله معجز بنظمه، فهو أعلى مرتبةً من النّظوم البشريّة في أوجه الكلام وضروبه، إذ يقول: "فأما شأْوُ نظمُ القرآنِ فليس له مِثالٌ يحتذى عليه، ولا إمامٌ يُقتدى به ولا يصحُّ وقوعُ مِثلِه اتفاقًا كما يتّفقُ للشاعر البيت النّادر والكلمة الشّاردة والمعنَى الفذّ الغريب والشيء العجيب"[2].

---

[1] أبو هلال العسكري، الصّناعتين، مصدر سابق، ص168.

[2] الباقلاني، إعجاز القرآن، تح السّيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، (د، ط)، (د، ت)، ص112.

يصرّح الباقلاني أنّ نظم القرآن الكريم ليس له مثيل، فلا يصحّ لأي خطيب أو شاعر مهما بلغ من الفصاحة والبلاغة أن يبلغ نظمه، فهو كلام الله عزّ وجلّ، ونظمه فوق مستوى كلام البشر مهما كانت مراتبهم ومنازلهم اللّغوية، فهو فوق مستوى الخطيب – الإمام-، والشّاعر الّذي يتلاعب بالكلمات ويبدع في نظمها حتّى يصل إلى المعنى الفذّ.

كان **أبو حسن عبد الجبار الأسد آبادي (ت 415هـ)** أكثر العلماء وضوحاً حول قضيّة النّظم، إذ يقول: "واعلم أن الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلام، وإنما تظهر في الكلام بالضم على طريقة مخصوصة، ولا بد مع الضم من أن يكون لكل كلمة صفة، وقد يجوز في هذه الصفة أن تكون بالمواضعة التي تتناول الضم، وقد تكون بالإعراب الذي له مدخل فيه، وقد تكون بالموقع، وليس لهذه الأقسام الثلاثة رابع؛ لأنه إما أن نعتبر فيه الكلمة أو حركاتها أو موقعها، ولا بد من هذا الاعتبار في كل كلمة، ثم لا بد من اعتبار مثله في الكلمات إذا انضم بعضها إلى بعض، لأنه قد يكون لها عند الانضمام صفة، وكذلك لكيفية إعرابها، وحركاتها، وموقعها، فعلى هذا الوجه الذي ذكرناه إنما تظهر مزية الفصاحة بهذه الوجوه دون ما عداها".

استهل **القاضي عبد الجبار** حديثه بالكلام عن الفصاحة، فهي حسبه لا تظهر في الكلام المفرد، وإنّما تظهر في التّركيب وضمّ الكلام بعضه إلى بعض، ويضيف أنّه من الواجب أن تكون لكل كلمة صفة قد تكون بالمواضعة أو الإعراب أو الموقع، وهذه هي الاعتبارات الثّلاثة للكلمة، وبها تظهر الفصاحة، والقاضي عبد الجبار يقدّم توضيحاً على النّظم، ويرى أنّه يتأتّى بالتئام الكلمات وضمّ بعضها إلى بعض، ويشير إلى احترام ثلاث قواعد أساسيّة في حالة ضمّ الكلمات - الصفة والإعراب والموقع- ويشير إلى مسألة مهمّة في النّظم وهي قضيّة الإعراب والحركات، فكلّما كانت متناسقة من هذه النّواحي كلّما كان النّظم حسنًا.

وهذه بعض أقوال العلماء الخالدين في النّظم قبل الجرجاني، ومن خلال ما سبق يتّضح أنّ مصطلح النّظم عُرف من قبل، فمنهم من ذكره صراحة، ومنهم من أشار إليه ولكن بمصطلحات مغايرة كالائتلاف والرّصف والضّم، ولكنّ الجرجاني وجد الطريق ممّهدًا فاستنار بآراء العلماء، ووضع نظريّة النّظم الّتي عرفت معه ازدهاراً وأصبحت ملتصقة باسمه، ولا ننكر فضله في إفادة اللّاحقين من وضعه لهذه النّظرية ولكن وجب كذلك التّنويه بجهود العلماء السّابقين.

إنّ **الجرجاني (ت 471 هـ)** قد وضع نظرية النّظم، وأرسى لها قواعدها، واجتهد في شرحها وتبيّنها، وعمله اختلف عن سابقيه، فلم يكن مجرد تلميحات، إنمّا قام بتخصيص كتاب بكامله – دلائل الإعجاز – لبيان هذه القضيّة، فقام بتحديد معالم النّظم، ومثّل له بشواهد مختلفة، ويقول الجرجاني في تعريفه للنّظم: "واعلم أن ليس ((النَّظْمُ)) إلا تضع كلامك الوضعَ الذي يقتضيه ((علم النحو))، وتعملَ على قوانينه وأُصوله، وتعرف مَناهجه التي نُهِجَتْ، فلا تَزيغ عنها، وتحفَظَ الرسومَ التي رُسِمت لك، فلا تُخِلّ بشيء منها وذلك أننا لا تعلم شيئاً يَبْتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظُر في وُجوه كل باب وفروقه، فينظر في الخبر إلى الوجوه التي تراها/ في قولك: ((زيد مُنْطلق)) و((زيد ينطلق))، و((ينطلق زيد))، و((منطلق زيدٌ))، و((زيد المنطلق))، و((المنطلق زيدٌ))، و((زيدٌ هو المنطلق))، و((زيدٌ هو منطلقٌ))."[1]. وهكذا فالنّظم مرتبط بعلم النّحو، فجمال النّظم يكمن في مراعاة أحكام النّحو، والعمل على قوانينه، وأخذ الجرجاني يمثل ويشرح نظريته، ويحدد علاقته بالنّحو، ويضع مراتبه.

استعان الجرجاني بمجموعة من الشّواهد في حديثه عن النّظم، ورغم أنّ النّظم تعلّق بإعجاز القرآن، فهذا لم يمنع الجرجاني من استعمال الشّاهد الشّعري في تبصير القارئ بجمال النّظم، وحسن التّركيب، فعند حديثه عن فساد النّظم، نراه استشهد بستة أبيات شعريّة، وقد ساقها متسلسلة، إذ يقول: " ويكفيك

[1] الجرجاني، دلائل الإعجاز، مصدر سابق، ص81.

أنّهم قد كشفوا عن وجه ما أردناه حيث ذكرُوا فساد ((النظم))، فليس من أحد يخالف في نحو قول الفرزدق:

وَمَا مِثْلُه فِي النَّاسِ إلّا مُمَلَّكاً   أبُو أُمّهِ حَيٌّ أَبُوهُ يُقَارِبُهْ

وقول المتنبي.

وَلِذَا اسْمُ أغْطِيَةِ العُيونِ جُفُونُها   مِن أنَّها عَمَلَ السُّيُوفِ عَوَامِلُ

وقوله:

الطّيبُ أَنْتَ إِذَا أصَابَ طِيبُهُ،   والمَاءُ أَنْتَ اغْتَسَلْتَ الغَاسِلُ

/ وقوله:

وَفَاؤكُما كالرَّبْعِ أشْجَاهُ طَاسِمُهْ   بأَنْ تُسْعِدَا، والدَّمْعُ أشْفَاهُ سَاجِمُهْ

وقول أبي تمام:

ثَانِيهِ فِي كَبِدِ السّماء، وَلَم يَكُنْ   كَاثْنَيْنِ ثَانٍ إِذْ هُمَا فِي الغَارِ

وقوله:

يَدِي لِمَنْ شَاء رَهْنٌ لَمْ يَذُقْ جُرَعاً   مِنْ رَاحَتَيْكَ دَرَى مَا الصَّابُ والعَسَلُ"[1]

والواقع أنّ الجرجاني استعان بالشّاهد الأوّل وهو بيت الفرزدق، وهذا الشّاهد من الشّواهد المعروفة في كتب البلاغة، ويستحضر غالباً كشاهد على التّعقيد اللّفظي، وسوء التّأليف، وفساد النّظم، وقد

[1] الجرجاني، دلائل الإعجاز، مصدر سابق، ص83، ص84.

فصّل الجرجاني القول في النّظم ومثّل له بشواهد، ساق بعدها الشّيخ الجرجاني شواهد شعريّة عن حسن النّظم، فاستعان بعدة شواهد شعريّة، ومن الشّواهد نذكر ما يلي:

"قول البُحتري:

بَلَوْنَا ضَرَائِبَ مَنْ قَدْ نَرَى　　　فَـمَا إنْ رَأَيْنَا لِفَتْـح ضَرِيباً

هُوَ المَرْءُ أَبْدَتْ لَهُ الحَادِثَا　　　تُ عَزْماً وَشيكاً وَرَأياً صلِيبَا

تَنَقَّـلَ فِي خُلُقَـيْ سُـؤدَدٍ　　　سَمَاحاً مُرجًّى وَبَأسـاً مَهِـيبَا

فَكَالسَّيْفِ إن جئْتَهُ صَارخاً،　　　وَكَالبَحْرِ إن جئْتَهُ مُسْتثيـبَا"[1]

ثم ذكر " قول إبراهيم بن العباس:

فَلَوْ إِذْ نَبَادَهْرٌ، وَأُنْكِرَ صَاحِبٌ،　　　وسُلّط أَعْدَاءٌ، وغَابَ نَصِيرُ

تَكُونُ عن الأَهوَازِ دَارِي بِنَجْوَةٍ،　　　ولكن مقاديرٌ جَرَتْ وأُمُورُ

وَإِنّي لأَرْجُو بَعْدَ هَذَا مُحَمَّدًا　　　لأفْضَلِ مَا يُرجَى أَخٌ وَوَزِيرُ"[2]

إنّ الجرجاني شرح نظريّة النّظم وأفاض الكلام عنها، ولكن كان لزاماً عليه الاستعانة بالشّواهد البلاغيّة الّتي أصبحت فيما بعد دليل البلاغيّين، ولا ينكر أحد أنّ الجرجاني استفاد من آراء سابقيه، واستقى منها ما يخدم بحثه، ولكنّه أخذ بزيادة وليس مجرد اكتفاء، فكان بحق شيخ زمانه وزعيم البلاغيين بلا منازع، فقد دافع عن القرآن الكريم، ووضع نظريته الّتي شغلت معاصريه ولاحقيه، واستعان بشواهد لتبيان

---

[1] الجرجاني، دلائل الإعجاز، مصدر سابق، ص85.

[2] المصدر نفسه، ص86.

مقاصده، والواقع أنّ المتتبع للشّواهد المبثوثة في كتاب دلائل الإعجاز في قضيّة النّظم يرى أنّ الشّواهد الشّعريّة تحتل الحصة الأكبر، وهذا لا يعني أنّه قد اكتفى بها وحدها ولكنّه استعان بشواهد أخرى.

المبحث الثّالث: عوامل استدعاء الشّاهد البلاغي عند القدامى

تمهيد:

إنّ استدعاء الشّاهد البلاغي عند القدامى خضع لعدّة معايير، حتمت على البلاغي الاستعانة به، فلا يمكن للبلاغي أن يستغني عن فكرة الشّواهد فبفضلها تُصغي له الآذان، وتنجذب له النّفوس، ويكسب التّأكيد ويحصل الإقناع والتّأثير، وللشّاهد أهميّة كبيرة فيستحضر تارة للتّأريخ، ويتعدّاها في بعض الأحيان إلى الاحتجاج والتّعصب لفرقة ما، ولا يستغني عنه المعلّم فهو سلاحه عند حديثه عن البلاغة، وبالشّواهد البلاغيّة تُرسّخ القواعد ويَزيد الاكتساب اللّغوي عند المُتعلِّم، مما يُعجل باستقامة لسانه وتقويمه، فيزداد فصاحة ويتزيّن كلامه ويتمكّن من فنون القول، كما تظهر الشّواهد كثيرا في مرحلة الجدال بين خصمين أو أكثر، وللشّاهد البلاغي أهميّة كبيرة في علوم اللّغة والشّريعة، فنجده في كتب التّفسير، وفي الكتب البلاغيّة فهو مهم خاصة في مرحلة التّقعيد اللّغوي.

1- عوامل استدعاء الشّاهد البلاغي:

إنّ علم البلاغة من العلومِ الرّفيعة ذات المقاصد النّبيلة، وموضِعها من العلوم العربيّة موضع الرّأس من الإنسان أو اليتيمة من قلائد العقيان، فلا فضيلة لكلام على كلام ولا متكلّم على متكلّم إلاّ بما يملكه هذا المتكلّم من لطائف لغويّة وما يُودِعه فيها من مزايا ، وبما يحوقه من وشيّها، ويلفظه من درّها، ولا يتأتى له هذا إلاّ بتعلم البلاغة والرّجوع إلى شواهدها، والبلاغيين القدامى لطالما اعتمدوا على الشّاهد في جدالهم وفي استشهادهم، فكان بذلك الحجة القاطعة الّتي تلجم أفواه المشكّكّين، وتجعلهم ينتصرون في معاركهم الكلاميّة، وهكذا تعدّدت عوامل استدعاء الشّواهد لتستقرّ في نهاية المطاف إلى العامل التّعليمي، وفيما يلي بعض عوامل استدعاء الشّاهد البلاغي:

1-1 العامل التّاريخي:

تعدّ القضيّة التّاريخيّة من القضايا المهمّة في دراسة الأدب بأشكاله، وللبلاغة حظٌّ وافرٌ من هذه النّاحية، فللشّاهد البلاغي أهميّة كبيرة في عملية التّأريخ، ولعلّ الشّواهد الشّعريّة تعدّ الأكثر حضوراً في هذا الجانب، ولا يمكن لأيّ بليغ أن يستغني عن الشّاهد الشّعري، كون الشّعر ديوان العرب وأحد المصادر الأساسيّة للّغة، ومن خلال تتبّعنا للكتب التّراثيّة نجد البلاغي يحتّجُ في بعض الأحيان بالشّاهد الشّعري مربوطًا بحدث تاريخي مصاحب له، فيؤّرخ للحدث مستعيناً بالشّاهد، وقد يضطّر البلاغي لاستدعاء الشّاهد بغية تحديد النّسب أو القرابة بين شاعرين، ويمكن أن نبرز الجانب التّاريخي للشّاهد البلاغي في العناصر التّالية:

1-1-1 الدّلالة على الأحداث التّاريخيّة:

إنّ استدعاء الشّواهد قد يرتبط في بعض الأحيان بالأحداث التّاريخيّة المصاحبة لها، فقد استحضر **العسكري** في حديثه عن البلاغة شاهدًا شعريًّا مبيّنًا أنّ البلاغة قد تكون في الصّمت أبلغ، فقال: "ولما مات الإسكندر وقفَ عليه بعضُ اليونانيين فقال: قد طالما وَعَظَنَا هذا الشخصُ بكلامه، وهوَ لنا بسكوتِهِ أَوْعَظ، فنظم هذا الكلامَ أبو العتاهية في قوله:

وكانت في حياتك لِي عِظَاتٌ وأَنْتَ اليوم أوعظُ منك حَيًّا"[1]

نرى أنّ أبا هلال العسكري قد مهّد تاريخيًّا للشّاهد الشّعري، وبيّن أنّ مناسبة الشّاهد تعود إلى موت الإسكندر، وقول اليونانيين أنّه بموته أوعظ لهم، وهكذا فالشّاهد الشّعري المستشهد به مربوط تاريخيًّا وجغرافيًّا، وقد استلهم أبو العتاهيّة هذا القول من حدث تاريخي ألّا وهو موت الإسكندر، وبالتّالي أفاد العسكري أنّ البلاغة قد تكون في الصّمت أبلغ، وهذا يحيلنا إلى الكلام عن بلاغة الصّمت الّتي أشار

[1] أبو هلال العسكري، الصّناعتين، مصدر سابق، ص21.

إليها القدماء، وهكذا استلهم أبو العتاهية من موقف اليونانيين اتجاه الإسكندر هذا البيت الشّعري، وهكذا يرتبط هذا الشّاهد بحدث تاريخي – موت الإسكندر-.

وفي حديث الجرجاني عن الشّعر، وتبيان موقف نبيّنا الكريم منه، قال: "وعن الشعبي ﵁، عن مسروق، عن عبد الله قال: لما نظر رسولُ لله ﷺ إلى القتلى يوم بدر مُصَرَّعِين فقال ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه: لو أنّ أبا طالب حيٌّ لعلم أن أسيافَنا قد أخذت بالأنامل. قال: وذلك لقول أبي طالب:

كَذَبْتُم، وبَيْتِ الله، إنْ جَدَّ مَا أَرَى   لَتَلْبِسَـنْ أَسْيَافُنَــا بالأَنَامِــلِ

ويَنْهَـضُ قَــوْمٌ في الدُّرُوعِ إلَيْهِــمُ   نُهُوضَ الرَّوَايَا في طَرِيقٍ حُلاَحِلِ"[1]

فالجرجاني أحضر الشّاهد الشّعري، وربطه بحدث تاريخي، وهو يوم بدر ليبيّن للمتلقي أنّ الرّسول صلى الله عليه وسلم كان على دراية بالشّعر، ولم ينكره بل أنكر الملامح الجاهليّة فيه، ليضيف الجرجاني عدّة شواهد شعريّة في هذا الباب رابطاً إيّاها بالفترة الإسلامية الّتي هذبت الشّعر، وخير دليل على ذلك قوله ﷺ للنّابغة الجعدي عندما أنشده قوله:

"بَلَغْنَا السَّمَاءَ، مَجْدُنَا وجُدُودُنا   وإِنَّا لَنَرْجُو فَوْقَ ذَلِك مَظْهَرَا

فقال النبي ﷺ: أين المظهر يا أبا ليلى؟ فقال: الجَنّةُ، يا رسول الله.

قال: أجل إن شاء الله."[2]

والواقع أنّ هذه الشّواهد الشّعريّة تمثلّ مرحلة تاريخيّة مهمّة، فهي تبيّن كيف تعامل الرّسول الكريم صلى الله عليه وسلم مع الشّعر، وقد أورد الجرجاني عدة شواهد تُصّور موقف النّبي الكريم من الشّعر، وعدم

[1] الجرجاني، دلائل الإعجاز، مصدر سابق، ص18

[2] المصدر نفسه، ص21.

إنكاره له، وقد أثيرت هذه المسألة كثيرا بين مؤيّد ورافض لقول الشّعر، ممّا جعل العلماء يجتهدون في إيراد مثل هذه الشّواهد الّتي تؤرّخ لمرحلة تاريخيّة مهمّة في التّاريخ الإسلامي، وتوضّح موقف الرّسول صلى الله عليه وسلم من الشّعر، وهذا لم يمنع هذه الشّواهد من أن تختزل لنا محطات تاريخيّة، والأحداث التّاريخيّة وإن كانت قليلة في كتب البلاغيّين إلّا أنّنا نجدها مبثوثة في الكتب التّراثية، فمثلا نجد صاحب العمدة أفرد باباً سمّاه "باب في ذكر الوقائع والأيّام"، إذ يقول "– يومُ ((ذي بَهْدَى)): لبني يربوع عَلَى تغلب، أسر فيه الهذيلُ، قال جريرٌ للأخطل يعيره بذلك:

/ هل تَعْرِفُونَ بِذِي بَهْدَى فَوَارِسَنَا   يَوْمَ الْهُذَيْلِ بِأَيْدِي الْقَوْمِ/ مُقْتَسَرُ؟"[1].

قد اهتّم العرب بالوقائع التّاريخية وتوثيقها، ولعلّ جرير استغلّ هذه الواقعة ليسخر من الأخطل، وقد استحضر يوم ذي بهدى في بناء بيته الشّعري، ونلاحظ القيمة الّتي تمثلّها الشّواهد الشّعريّة في توثيق أيام العرب وتاريخهم، فالشّعر ديوان العرب ومستودع أخبارهم، وهكذا يعتبر العامل التّاريخي مهم في استدعاء الشّواهد وبنائها، ولا يمكننا إغفال الجانب التّاريخي للشّواهد البلاغيّة، وفي بعض الأحيان نجد العلماء يفرّقون بين الشّعراء القدامى والمعاصرين بقولهم ومن أقوال المحدثين، فهكذا يتمّ الفصل بين الشّعراء بالاعتماد على العامل الزّمني.

1-1-2 تحديد النّسب:

إنّ البلاغي عند استشهاده يضطّر إلى استدعاء شاهد شعري لقائل غير معروف، فيحتاج إلى تحديد نسبه أو قبيلته، ونجد في بعض الحالات تشابه في الأسماء أو الكنيّة، فيصبح البلاغي مجبراً على تحديد النّسب حتى لا يحدث لُبس عند القارئ، فصاحب كتاب (الصّناعتين) في حديثه عن تمييّز الكلام يقول: "قال: أنشدنا إبراهيم بن العباس لخاله العباس بن الأحنف:

[1] ابن رشيق القيرواني، العمدة في صناعة الشّعر ونقده، مصدر سابق، ص938.

إليكَ أَشْكُو ربّ ما حلَّ بِي مِنْ صدّ هـذَا التائِه المُعْجبِ

إنْ قالَ لم يَفْعَلْ وإن سيل لَمْ يَبْـذُلْ وإن عُوتِــب لم يُعْتبِ

صبّ بِغصْيَافِي ولوْ قالَ لِي لا تَشـرُب البَــارِدَ لم أشْـرَبِ"[1]

يُورد العسكري هذا الشّاهد في حديثه عن عذوبة اللّفظ وسلاسته، ولكنّه يوضح لنا أنّ القائل هو العباس بن الأحنف وهو خال إبراهيم بن العباس، فهكذا تظهر القرابة العائليّة بين القائل للأبيات وبين صاحبها الحقيقي، فمعرفة النّسب مهمّة بالنّسبة للبلاغيّين فتروم غالبًا للحدّ من التّداخل في الأسماء بين الرواة، وقد أورد الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز تمثّل عمر بن الخطاب ﷺ " بشعر عمارة بن الوليد:

أَسَــرَّكِ لمَّا صُرّعَ القوْمُ نَشْـوَةً خُروجِـيَ منها سالماً غيــرَ غَارِمِ

/بريئاً، كأنّي قَبْلُ لم أَكُ مِنْهُمُ؟ وَليْس الخِداعُ مُرْتَضى في التَّنَادُمِ

... ((وعمارة))، هذا هو ((عُمارة بن الوليد بن المغيرة))."[2]

وهكذا نجد الجرجاني في حديثه عن منزلة الشّعر عند الخلفاء الرّاشدين رضوان الله عليهم، يسوق لنا عدّة شواهد استشهد بها الخلفاء رضوان الله عليهم وعلى رأسهم الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله الّذي تمثلّ بأبيات لعمارة بن الوليد، ثمّ يوضّح أنّه عمارة بن الوليد بن المغيرة حتى يتضّح للدّارس نسب الشّاعر.

أولى العرب اهتماما كبيرًا بالأنساب وألّفوا في ذلك كتباً ككتاب "جمهرة أنساب العرب" لمحمد بن السائب الكلبي، وقد كان الخلفاء رضوان الله عليهم يولون أهميّة كبيرة لتعلم الشّعر لحفظه الأنساب، "وقد كان الخليفة يوصي أصحابه بتعليم الشّعر، وكتب عمر ﷺ إلى أبي موسى الأشعري: مُرْ مَنْ قِبَلَك

---

[1] أبو هلال العسكري، الصّناعتين، مصدر سابق، ص67.

[2] الجرجاني، دلائل الإعجاز، مصدر سابق، ص13، ص14.

بتعلم الشعرِ؛ فإنه يدل على معالي الأخلاق، وصوابِ الرأي، ومعرفةِ الأنساب "[1]، فالخليفة عمر يأمر بتعليم الشّعر لما فيه من دلالات على معالي الأخلاق، والحكمة وحفظ الأنساب.

1-2 العامل الدّيني (الاحتجاج):

إنّ البلاغة العربيّة قرآنية المولد دينيّة النّشأة، فقد جاءت لإثبات إعجاز القرآن، فأصبح القرآن المادة الأولى للدّراسة وحملت الفرق الكلاميّة راية الدّفاع عن القرآن ضدّ من تحاملوا عليه، وهكذا أصبحت كلّ فرقة بحاجة إلى الشّواهد الّتي لم تختلف مصادرها بين الفرق الكلاميّة، وقد كانت الشّواهد البلاغيّة تستدعى لاستعمالها كسلاح ضد الخصوم وإفحامهم، وكسب تّأييد وإقناع الأنصار، والرّد عن الطّاعنين في الدّين.

1-2-1 إثبات إعجاز القرآن:

إنّ من الأمور المسلّم بها أنّ علم البلاغة جاء خدمة للقرآن الكريم وإثبات إعجازه، والبلاغة بعلومها الثّلاث وسيلة لإظهار وجه الإعجاز، وهكذا سمّى عبد القاهر الجرجاني علوم المعاني والبيان بدلائل الإعجاز ذلك أنّ الله عزّ وجّل منّ على هذه الأمّة بنزول القرآن الكريم، فكان لزامًا على طالب العلم تعلم البلاغة، وقد تعدّدت المصنّفات الخاصّة بإعجاز القرآن، ولعلّ من أهم المصنّفات نذكر: إعجاز القرآن للرّماني، وبيان إعجاز القرآن للخطابي ودلائل الإعجاز للجرجاني، وقد قال الرماني في إعجاز القرآن وبلاغته، وذلك في معرض حديثه عن المخالفة وبيان أنّها من إعجاز القرآن: "ونقض العادة هو أن العادة كانت جارية بضروب من أنواع الكلام معروفة، منها الشعر ومنها السجع ومنها الخطب ومنها الرسائل ومنها المنثور الذي يدور بين الناس في الحديث فأتى القرآن بطريقة مفردة خارجة عن العادة لها

[1] ابن رشيق القيرواني، العمدة في صناعة الشّعر ونقده، مصدر سابق، ص24.

منزلة في الحسن تفوق به كل طريقة، وتفوق الموزون الذي هو أحسن الكلام."[1]، هذا من بين ما يختصّ به القرآن الكريم، فالرّماني في حديثه عن إعجاز القرآن أشار إلى عدة مسائل منها ترك المعارضة مع توفر الدّواعي وشدّة الحاجة، التّحدي للكافة، والصرفة، والبلاغة، والأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلية، ونقض العادة، وقياسه بكل معجزة، وقد قال الزّركشي في تفسير"**قوله تعالى**:﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ۝١٧﴾ [سورة الانشقاق:17]، قال: "وما جمع" وأنشد:

إنّ لنـا قلائصا حقائقا مستوثقات لو يجدن سائقا " [2]

وهكذا كان الشّاهد الشّعري أيضا حاضرا في تفسير آي الذّكر الحكيم، وقد أثيرت مسألة استخدام الشّاهد الشّعري في تفسير القرآن الكريم، وهكذا توهّم البعض عند نقذهم لكتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة في استخدامه الشّواهد الّشعريّة لتوضيح معنى لفظ مثلاً، ولكن يجب الإشارة إلى أنّ القرآن نزل بلغة العرب ومن جنس كلامهم وجاء متحديًّا لهم، فلا يمكن فهمه ولا معرفة إعجازه إلاّ من خلال دراسة اللّغة العربيّة والرّجوع إلى تراثها، والإمام مُحَّد عبده يقول: " وأولى العلو بالتقدم فيما نعتقد علوم لساننا العربي، فإن إصلاح لساننا هو الوسيلة المفردة لإصلاح عقائدنا، وجهل المسلمين بلسانهم هو الّذي صدّهم عن فهم ما جاء في كتب دينهم، وأقوال أسلافهم، ففي اللّغة العربية الفصحى من ذخائر العلم وكنوز الأدب ما لا يمكن الوصول إليه إلا بتحصيل علومه ... حتى يملك الطالب من اللسان ما كان يملكه العربي بسليقته، وبدون ذلك لا نصل إلى فهم أسرار شريعتنا، بل تسد في وجوهنا طرق الوصول إلى الحقيقة منها"[3]، وهكذا وجب الرّجوع إلى التّراث اللّغوي للوصول إلى حقيقة معرفة أسرار ديننا، ولعلّ

---

[1] ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، مصدر سابق، ص111.

[2] الزّركشي، البرهان في علوم القرآن، مصدر سابق، ص293.

[3] عبد العزيز عبد المعطي عرفة، قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربيّة، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1985م، ص101.

الشّواهد القرآنيّة والشّعريّة هي الأكثر حضورا في بيان إعجاز القرآن الكريم، فمثلاً الجرجاني يقول: "ومن دقيق ذلك وخفيّهِ، أنك ترى الناس إذا ذكروا **قوله تعالى**:﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ٤﴾ [مريم: 4]، **(واشتعل الرأس شيبا)**، لم يزيدوا فيه على ذِكر الاستعارة، ولم يَنْسِبوا الشرفَ إلا إليها، ولم يروا المزيّة مُوجِباً سواها. هكذا ترى الأمر في ظاهر كلامهم. وليس الأمر على ذلك، ولا هذا الشرف العظيم، ولا هذه المزية الجليلة، وهذه الرَّوعة التي تدخل على النفوس على هذا الكلام = لمجرد الاستعارة، ولكن لأن سُلِك بالكلام طريقُ ما يُسْنَد الفِعْل فيه إلى الشيء، وهو لما هو من سببه، فيُرْفَع به ما يُسْنَد إليه، ويؤتى بالذي الفعل له منصوباً بعده، مبيّنا ذلك الإسنادَ وتلك / النسبة إلى ذلك الأوّل، إنَّما كانا من أجْل هذا الثاني، ولما بينه وبينه من الاتصال والملابسة، كقولهم: " طاب زيدٌ نَفْساَ ""[1].

قام الجرجاني باستحضار الشّاهد القرآني عند حديثه عن الاستعارة، وأخذ يبيّن لنا أنّ حسن الكلام ليس في الاستعارة فقط ولكن في حسن الكلام ونظمه، ثمّ يفصّل القول في هذا المثال، ويضيف أنّه يفيد الاشتمال، وأنّه قد شاع فيه، ويستحضر مثالاً لتبيان ذلك فيقول: " "اشتعَل البَيْتُ ناراً"، فيكون المعنى: أن النار قد وقعت فيه وُقُوع الشُّمول، وأنها قد استولت عليه وأخذت في طَرَفَيْه ووَسَطه. وتقول "اشتعلت النارُ في البيت "، فلا يفيد ذلك، بل لا يقتضي أكثر من وقوعِها فيه، وإصابتِها جانباً منه. فأما الشمولُ، وأن تكون قد استولت على البيت وابتزَّته، فلا يُعْقَلُ من اللفظ البتة"[2]، وهكذا كان القرآن مُعجز من النّاحية اللّغوية والعلميّة والغيبيّة، وهذا فيض من غيض مما ورد في كتاب دلائل الإعجاز للجرجاني، وفي الحديث عن البلاغة المعجزة للقرآن الكريم.

---

[1] الجرجاني، دلائل الإعجاز، مصدر سابق، ص100.

[2] المصدر نفسه، ص101.

1-2-2 حجة الفرق الكلامية:

إنّ الفرق الكلاميّة اعتمدت على الشّواهد البلاغيّة في الإحتجاج، وقد عُرِفت وذاع صيتها في العصر الأموي، والفرق الكلاميّة كانت نعمة على الدّراسات اللّغوية بما فيها علم البلاغة، وكان لاختلاط العرب بالعجم الأثر الواضح في ظهور هذه الفرق، فقد انفتحت العقليّة العربيّة على العقليّات الأجنبيّة من خلال الفتوحات الإسلاميّة، وفي خضم المطاعن الّتي لحقت بالقرآن الكريم "كان المتكلمون خاصة المعتزلة، وأصحاب الفرق الإسلامية هم المهيّؤون تاريخيا للقيام بهذا الدور والدّفاع عن الإسلام دفاعا لم تعد تكفي فيه حرارة الإيمان "[1]، لذا وجبت مجابهة الخصم، وقد كانت خصومة قول وبيان فكان لزامًا على الفرق الكلاميّة استعمال نفس السّلاح، ولكن سرعان ما نشأت حروب كلاميّة بين الفرق الكلاميّة في حدّ ذاتها، فكان لزاما عليهم استحضار الشّاهد البلاغي لإثبات رأيهم وتزينه بالمنطق والفلسفة الّتي نهلوها من احتكاكهم بالحضارات المختلفة، وكان عليهم إجادة طرائق الفنون التّعبيريّة، وحسن استعمال تقنيات الإقناع والتّأثير لكسب التّأييد، وهكذا كانت البلاغة الأداة المناسبة للقيام بهذا الدّور، فعكف المتكلّمون على الاهتمام بالبلاغة ودراستها، لدحض حجج الخصوم وحماية الدّين، فبناءً على هذه الحاجة استحدثت آليات الإقناع والتّأثير، وقد خصّ الزّمخشري علمي المعاني والبديع بمكانة خاصة، فافتتح بالحديث عنهما تفسيره وجعلهما علمين مختصين بالقرآن، وقد اهتم المعتزلة بالمباحث البلاغيّة وساهموا في ظهورها وازدهارها، وشكّل المجاز إحدى المباحث البلاغيّة الّتي شغلت فكر الفرق الكلاميّة وعلى رأسها المعتزلة، فأقرّوا بشرعيّة المجاز واستمدّوا من الدّراسات العربيّة السّابقة، وفي هذا يقول الجاحظ: " وأمّا **قوله عزّ وجلّ**:﴿ يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ ﴾ [النحل : 69] فالعسل ليس بشراب وإنّما هو شيء يُحوّل بالماء شرابا أو بالماء نبيذا. فسماه كما ترى شرابا إذ يجيء منه الشراب.

وقد جاء في كلام العرب أن يقولوا: جاءت السماء اليوم بأمر عظيم، وقد قال الشاعر: (وافر)

---

[1] حمادي صمود، التّفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوّره إلى القرن السّادس، منشورات الجامعة التونسية، 1981م، ص36.

إذا سقط السّماء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضابا

فزعموا أنهم يرعون السماء وأنّ السماء تسقط

ومتى خرج العسل من جهة بطونها وأجوافها فقد خرج في اللغة من بطونها وأجوافها ومن حمل اللغة هذا المركب، لم يفهم عن العرب قليلا ولا كثيرا وهذا الباب هو مفخر العرب في لغتهم وبه وأشباهه اتسعت، وقد خاطب بهذا الكلام أهل تهامة وهذيلا وضواحي كنانة، وهؤلاء أصحاب العسل، والأعراب أعرف بكل صفحة سائلة، وعسلة ساقطة، فهل سمعتم بأحد أنكر هذا الباب أو طعن عليه من هذه الحجة؟"[1].

إنّ نصّ الجاحظ على طوله، يوّضّح لنا شرعيّة المجاز، ويحوي على شاهد قرآني ويليه شاهد نثري من كلام العرب ويلحقه بشاهد شعري، وكلّ هذا لتبيان أنّ المجاز من سمة اللّغة العربيّة الأساسيّة وموطن افتخار العرب بها، وبهذا أقام الجاحظ الحجّة، ليختم كلامه متسائلا هل أنكرت العرب هذا الباب؟ وهكذا كانت الفرق الكلاميّة تستحضر الشّواهد القرآنيّة بالدّرجة الأولى لما تملكه من تأثير وإبلاغية في نفس المتلقي، وتوشحه بكلام العرب وأشعارهم، فكان لخصوماتهم الأثر الواضح على البلاغة العربية وازدهارها، فتفنّنوا في التّحليل واستخدام العقل والفلسفة والمنطق، وبرعوا في استعمال الأساليب الإقناعيّة ليفوزوا في جدالهم وخصوماتهم الكلاميّة، ممّا عاد بالإيجاب على البلاغة العربيّة ومباحثها.

1-3 العامل الفنّي:

إنّ استدعاء الشّواهد البلاغيّة يخضع لعامل آخر لا يقلّ أهميّة عن العوامل الأخرى ألّا وهو العامل الفنّي، فالبلاغة في نشأتها كانت متشابكة مع علوم أخرى يبقى النّقد أبرز هذه العلوم، فالملاحظات

---

[1] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السّلام محمّد هارون، مكتبة مصطفى يابي الحلبي، مصر، ط1، 1943م، ج5، ص425.

البلاغيّة في تلك الفترة كانت ذوقيّة، "وكانت البلاغة من أوائل العلوم التي اهتم العرب والمسلمون بها، لحاجتهم إليها في معرفة روعة القرآن وسحره، وتمييز الكلام الحسن من الرديء، والجميل من القبيح"[1].

1-3-1 تمييز الكلام الجيّد من الرّديء:

إنّ نشأة البلاغة كانت مرتبطة بعلوم اللّغة على اختلافها، والمتتبّع لهذه النّشأة يرى التّلاحم بين البلاغة والنّقد فقد كان النّقد ملتصقا بالبلاغة في بدايته، وكانت القضايا النّقديّة مبثوتة في الكتب البلاغيّة، ولعلّ أبرز هذه القضايا قضيّة تمييز الكلام، فهذه القضيّة شغلت البلاغيين منذّ البذور الأولى لنشأة البلاغة، فالعرب عُرفوا بتذوق الأسلوب ونقده منذّ العصر الجاهلي، وما يُروى عن النّابغة واحتكام الشّعراء إليه إلّا دليل على تذوقهم للكلام، ولم تقتصر الأسواق الأدبيّة على العصر الجاهلي فقط، فامتدت إلى العصر الأمويّ الّذي اشتهر بالمجالس الأدبيّة الّتي كانت تعقد خصيصًا للنّظر في الشّعر، والحكم عليه في بعض الأحيان، "ومن ذلك الأحكام الّتي أصدرها ابن أبي عتيق لنقد الحجاز على أشعار عمر بن أبي ربيعة وغيره، ومنها اجتماع جرير والفرزدق وكثّير وجميل ونصيب في ضيافة السيدة سكينة بنت الحسين بن علي في المدينة، وحكمها على نماذج من أشعارهم ..."[2].

وهكذا كان التّذوق الفنّي ضروريا للمفاضلة بين الشّعراء، ولعلّ الأحكام في تلك الفترة كانت ذاتية وفطرية، إلّا أنّها كانت التربة الخصبة الّتي بنيت عليها القوانين الموضوعيّة فيما بعد، وهكذا ازدهرت الدّراسات في هذا الباب، وكان الأدباء يحاولون أن يميّزوا بين الكلام جيّده من رديئه، فجعلوه مدار البلاغة، وكان لزاماً عليهم في حديثهم عن التّمييز بين الكلام استدعاء الشّواهد، والتّمثيل بها، والحديث عن تميّيز الكلام يقودنا إلى مواقف النّبي ﷺ من الشّعر والشّعراء، فالإسلام هذّب الشّعر وجعل الشّعراء

[1] أحمد مطلوب، البلاغة عند السّكاكي، مرجع سابق، ص76.

[2] يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربيّة: علم المعاني، علم البيان، علم البديع، دار المسيرة للنّشر والتّوزيع، عمان، ط1، 2007م، ص13.

ينتقون ألفاظهم بما يخدم الدّين ويذودون عنه، فحملوا على عاتقهم راية الدّفاع عن الدّين ضدّ المشركين، وقد أسهب كتاب النّقد والبلاغة في الحديث عن هذا الأمر مستدلين بشواهد من الحديث النّبوي وأقوال الصحابة رضوان الله عليهم في رواياتهم لموقفهم من الشّعر والشّعراء، وتمييز الكلام الجيّد من الرّديء، وتعتبر قصّة الخليفة عمر بن عبد العزيز مع جرير من أبرز القصص في تمييز الشّعر الجيّد من الرّديء.

يحتلّ الشّعر الحيز الأكبر من هذه القضيّة، فكان العلماء يفاضلون بين الشّعراء، وقد أشار العسكري إلى هذا العامل، وجعل رأس الخطابة والشّعر حسن تخيّر اللّفظ،؛ إذ يقول: "وقال أبو داود: رأسُ الخطابة الطَّبْعُ، وعَمُودُها الدُّرْبَة، وجَنَاحُها رِوَايَةُ الكلام، وحَلْيُها الإِعْرَاب، وبَهاؤُها تخيُّرُ الألفاظ؛ والمحبَّةُ مقرونَةٌ بِقلَّةِ الاستكراء. وأَنْشَد:

يَرْمُونَ بالخُطَبِ الطوَالِ وتارةً وَحْى اللاحظِ خَشْيَة الرُّقباء

ومن الدّليل على أنَّ مدارَ البلاغة على تحسين اللّفظ أنَّ الخُطَبَ الرّائِعة، والأشعارَ الرّائِقة ما عُمِلَتْ لإفهام المعاني فقط؛ لأنَّ الرّديء من الألفاظِ يقومُ مَقَامَ الجيّدةِ منها في الإفهام، وإنما يَدُلُّ حُسْنُ الكلامِ، وإحكامُ صَنْعَتِه، وَرَوْنَقُ ألفاظِه، وجودةُ مَطَالِعِه، وحُسْنُ مَقَاطِعه، وبَدِيعُ مَباديه، وغريبُ مَبَانِيه على فَضْلِ قائِله، وفَهْمِ مُنْشئه"[1]

تقوم البلاغة حسب العسكري على تحسين اللّفظ وحسن اختياره وذلك قصد الإفهام، فقد يؤدّي الرّديء من الألفاظ المطلوب، ويُفهم المتلّقي ولكن حسن الكلام وإحكام صنعته دليل على فضل صاحبه وقدرته على تزيين الكلام وإيصاله إلى المستمع في أحسن صورة وأبهى حلّة، وقد أورد العسكري الكثير من الشّواهد الشّعريّة في هذا الباب.

[1] أبو هلال العسكري، الصّناعتين، مصدر سابق، ص64.

1-3-2 الابتداع والابتكار:

يعدّ الابتكار من عوامل الاستدعاء، فالبلاغيّ يستدعي الشّاهد ويعالج أصالته من حيث الفكرة والجدّة، فقضيّة السّابق والمسبوق حظيت باهتمام البلاغيّين، فنجد الزّمخشري مثلاً، يقدّم لمحات عن تذوّق العرب للألفاظ وإتباعها في حالة انبهارهم بها، وإدراكهم لمكنوناتها وتميّزهم لجيدها من رديئها، فيقول: "ومن البديع في الشعر طرق كثيرة، قد نقلنا منها جملة، لنستدل بها على ما بعدها: فمن ذلك قول امرئ القيس:

وقد أَغتدِي والطيرُ في وُكُناتها بمنْجَردٍ قَيْدَ الأَوَابدِ هَيْكل

/ قوله: ((قيد الأوَابدِ)) عندهم من البديع ومن الاستعارة، ويرونه من الألفاظ الشريفة، وعَنَى بذلك أنه إذا أرسل هذا الفرس على الصيْد صار قيدًا لها، وكانت بحالة المقيَّد من جهة سرعة إحْضَارِه.

واقتدى به النّاس، واتبعه الشعراء، فقيل: ((قيدُ النواظر)) و((قيد الألحاظ)) و((قيد الكلام)) و((قيد الحديث)) و((قيد الرهان))

وقال الأسود بن يَعْفُر:

بمُقلَّص عَتَدٍ جهيزٍ شَدُّهُ قَيْدَ الأَوَابِدِ والرّهَانِ جَوَادٍ".[1]

يتّضح لنا أنّ العرب إذا تذوّقت لفظًا وأعجبها معناها سارت على دربه، فقول امرئ القيس قيد الأوابد اعتبروه أهل اللّغة من الاستعارة البليغة، وهكذا يستحضر هذا الشّاهد كثيرًا في باب الاستعارة، وذلك نظرا لأنّ امرئ القيس أبدع في اختيار اللّفظ والمعنى ممّا جعل الشّعراء يتبعونه ويصنعون الألفاظ

[1] الزّمخشري، إعجاز القرآن الكريم،تح صقر، مصدر سابق، ص 79، ص80.

على هذا النّهج، كقولهم قيد النّواظر، وقيد الحديث...، فكان له السّبق في ابتداع هذا اللّفظ والمعنى الملازم له، فأصبح سنة للشّعراء من بعده متأثرين به.

تفطن العلماء القدامى إلى مسألة الابتداع في المعاني، ونجد ابن الأثير قد أفاض الحديث في هذا الجانب، وقد أورد الكثير من الأشعار الّتي تحملها في طيّاتها المعاني المبتدعة، إذ يقول: " وكذلِكَ ورَد قولُ أخْتِ جسَّاس، زوجة كُلَيْب، فإنّهُ لما قتلَ جَسَاسٌ كلَيْبًا اجتَمع النساء إليها، ونَدَبْنهُ، فتحدَّث بعضُهنَّ إلى بعضٍ، وقُلْنَ: هذه ليستُ ثاكِلة، وإنما هِيَ شامتة، فإنّ أخاها هُو القاتلُ، فنَمَّ ذلك إليها، فقالتْ:

يا ابنَة الأقْوَام إنْ شئتِ فلاَ تَعْجَلي باللّوْم حتى تَسألي

فإذَا أنْـتِ تَبيَّنْت الّذي يُوجِبُ اللَّوْمَ فَلُومِي واعْذُلي

...

وهذِه الأبياتُ لو نَطَق بها الفحولُ المعدودُونَ من الشعراء لاسْتُعْظِمَتْ، فكيفَ امرأة وهي حزينة في شرح تلك الحالِ المشارِ إليها.

واعلم أنّه قد يُسْتَخْرَجُ من المعنى الذي ليسَ بِمُبْتَدِعٍ معنّى مبتدَع"[1]

إنّ زوجة كليب وهي مفجوعة بموت زوجها، كيف لا والقاتل أخوها، تصوّر الحال الّتي هي عليها، واللّوم الّذي أُلقي عليها، ويشير ابن ضياء أنّ المرأة جاءت بأبيات يعجز عنها جهابدة الشّعراء وفحولهم، ويقول أنّ المعنى غير المبتدع يُمكن أن يُستخرج منه معنى مبتدعًا، وذلك يتوقف على منشئ القول.

[1] ضياء الدّين بن الأثير، المثل السّائر في أدب الكاتب والشّاعر، تح أحمد الحوفي وبدوي طبانه، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، مصر،ط2، (د، ت) ج2، ص16، ص17.

لم يقتصر الابتداع والاتّباع في الشّواهد على الشّعر فقط، بل تعدّى إلى الشّواهد من كلام العرب، فالمعاني المخترعة لم تقتصر على الشّعراء، فحتّى الخطباء كان لهم وجودهم وأَثْروا اللّغة بالمعاني الّتي ابتدعوها، وقد قال ابن الأثير في هذا الباب: "وبلغني من المعانِي المخترعةِ أنَّ الملكِ بنَ مَرْوَان بنى بابًا من أبوابِ المسجدِ الأقْصَى بالبيت المقدَّس، وبنَى الحجَّاجُ بابًا إلى جانبِه، فجاءتْ صاعِقَة فأحْرقت البابَ الذي بناهُ عبدُ الملك، فتطيَّر لذلك: وشقَّ عليه، فبلغَ ذلك الحجَّاجَ، فكتب إليه كتابًا: ((بلغني كذا وكذا، فليهْن أميرَ المؤمنين أنَّ الله تقبَّل منه، وما مثَلى ومَثَله إلي كابْنَي آدَمَ إذْ قرَّبا قُرْبانًا فَتُقبَّلَ مِنْ أحَدِهما، ولمْ يُتَقَبَّلْ مِن الآخر)) فلمَّا وقَف عبدُ لملك على كتابِه سُرّى عنه."[1].

إنّ الحجّاج المعروف بخطبه المشهورة وببلاغته، يستعين بالقرآن الكريم ويبتدع معاني يثلج بها قلب أمير المؤمنين، وكان قوي الحجّة واسع الخبرة مطلّعًا على كلام العرب، يستلهم هذا المعنى من القرآن الكريم الّذي يعدّ أعلى سلطة وأقوى حجّة، وبذلك يخفّف عن أمير المؤمنين ويبعث السّرور في نفسه، وكلّ هذا راجع إلى قدرته على ابتداع معانٍ جديدة تخدم الموقف.

تكثر الشّواهد البلاغيّة في قضية الابتداع والاتباع، والعرب قد سارت على الألفاظ والمعاني المبتدعة ولكنّها لم تغلق باب الابتداع، فالابتداع ليس مقصورًا على عصر دون عصر، والتّجديد ميزة كل عصر، والشّواهد الشّعريّة والنّثريّة الّتي وصلتنا محصورة بين التّقليد والابتكار سواء من حيث اللّفظ أو المعنى، هذان العاملان يحدّدان قيمة هذه الشّواهد، ففحول الشّعراء كانوا يبتدعون اللّفظ والمعنى، فأصبحت أشعارهم شواهد يقتدى بها، وهذا ينطبق على الخطباء الّذين يبدعون في صناعة الكلام وتخيّر أحسنه، فألّفوا وأبدعوا حتّى أصبحت خطبهم تُحفظ وتدرس إلى يومنا هذا، وخطب الإمام علي ﷺ خير مثال عن ذلك، فأصبحت شواهد على قدرة منشئ الكلام في استحضار الألفاظ المناسبة ووضعها المكان

[1] ضياء الدين بن الأثير، المثل السّائر في أدب الكاتب والشّاعر، مصدر سابق، ص21.

الّذي تستحق، فأصبحت هذه الشّواهد من كنوز اللّغة العربيّة ومن نفيسها، تستحضر عند الحديث عن قضيّة الإبداع والابتداع.

1-4 العامل التّقعيدي أو التّعليمي:

يعتبر العامل التّعليمي من العوامل المهمّة في عمليّة استدعاء الشّواهد البلاغيّة، وقد عكف العلماء على استدعاء الشّواهد والتّمثيل بها لهدف ديني وتعليمي، ومع وصول البلاغة إلى مرحلة النّضج، أصبح لزاما التّأسيس لقواعد لها، وكان هذا مع السّكاكي الّذي كان رائد المرحلة التّقعيدية للبلاغة، وهكذا أصبح استدعاء الشّواهد لغاية تعليمية، ورغم تعدد الغايات إلّا أنّ استدعاء الشّواهد بقي مستمرًا، وكان حجة البلاغي في إثراء هذا الحقل الّذي أنشأ خصيصًا لخدمة الدّين الإسلامي، ويمكن أن نشير إلى أنّ استدعاء الشّاهد البلاغي فيما يخص هذا الجانب خضع للعوامل التّالية:

1-4-1 التعلّم والتّعليم:

إنّ التّمكن من الشّواهد البلاغيّة دليل على سعة اطّلاع البلاغي، فقيمة الأديب تكمن في مدى تمكنه من الشّواهد، وفي هذا يقول الجاحظ : " وقد كان الرَّجُلُ من العرب فيرسلُ عدَّة أمثالٍ سائرة، ولم يكن النَّاسُ جميعاً ليتمثلوا بها إلا لما فيها من المرفق والانتفاع. ومدار العِلم على الشّاهِدِ والمَثَل."[1].

يعتبر الجاحظ الشّاهد والمثل محوري العلم، ولا بدّ لكلّ عالم لغويّ من التّسلّح بهما، والواقع أنّ قضيّة التّعلُّم والتّعليم فكرة فطرية في التّاريخ البشري، وللشّاهد البلاغي أهميّة كبيرة في هذا المجال، إذ أنّ ظهور طوائف من فئة المعلّمين والمتعلّمين جاء وفقا لمتطلبات العصر، فالدّولة الإسلاميّة وبعد اتساعها وجبَ تأديب كتاب ملحقين بديوان الرّسائل والكتابة، فمنذ عهد الرّسول ﷺ الّذي يعدُّ بحق أبلغ العرب وأفصحهم، وجب الاهتمام بهذه الطّائفة، وكانوا في البداية من العرب الّذين يبدعون في الكلام ويتفنّنون

[1] أبو عثمان بن بحر الجاحظ، البيان والتّبيّين، مصدر سابق، ج1، ص 271.

في أساليبه، وكانوا يقيمون مراسلاتهم على مستقيم اللّسان وعلى سليقتهم، فقد كانت لغتهم سليمة غير شائبة، وعلى عهده سار الخلفاء الرّاشدين، وهكذا لعب فن التّراسل دورًا مهمًّا في التّعلُّم والتّعليم، ولكنّ هذه المهمّة تُوكل لأديب متمكّن من علوم اللّغة وعلى رأسها البلاغة، واستمر الحال على هذا المنوال في العهد الأموي لتظهر طائفة تهتمّ بتربية وتعليم أولاد الخاصة، وخاصة أولاد أولي الأمر، فكانوا يحرصون على تعليمهم الشّعر الجاهلي والخطب والأمثال من كلام العرب المشهود لهم "ولا شكّ أنّ قيمة تلك الملاحظات مرتبطة بأهمية المؤدب ومكانته في العلم، إذ كانوا طبقات عدّ الجاحظ فيهم الأعلام، كالكسائي وقطرب والكميت بن زيد وعبد الحميد الكاتب وخاصة ابن المقفع، وقد عرف عنه اشتغاله بهذه الصناعة."[1]، هكذا كان للمؤدّب –المعلم– الدّور البارز والمكانة المرموقة لقربه من السّلطة واهتمامه بأولاد الخلفاء، وهذا يستلزم من الباحث التّمكن من فنون اللّغة ورصيد كبير من الشّواهد، فكانت مهنة التّعليم منوطة بطائفة ظهرت منذ القدم، وهناك طائفة أخرى ونعني بها طائفة المتكلّمين كالمعتزلة والأشاعرة، فكان لهم شيوخ وأتباع، فكان لزاما عليهم التَّعلُّم والتَّعليم، وتعلم البلاغة بالنّسبة لهذه الطائفة غاية في حدّ ذاتها، فكانوا دوما في نزاع وجدال وخصومات، فهي تعتبر سلاحا بالنسبة لهم، يدافعون بها عن قناعاتهم وتفسيراتهم، وذلك لما تملكه من جانب إقناعي، وهذا ما مكنّهم من كسب التّأييد والمزيد من الأتباع والـمُريدين.

إنّ تتبع المراحل الّتي مرّت بها البلاغة يُظهر أنّ دور الفرق الكلاميّة كان كبيراً، فهي تروم إلى خدمة القرآن الكريم، وكلّ طائفة تدّعي أنّها الفئة المستقية والصّائبة، فوجب عليها إتقان علوم اللّغة، وقد كانت الحلقات المنعقدة في المساجد بمثابة مدارس لمناصريها، ووجب على شيوخ الفرق الكلامية التّسلّح بالبلاغة واستخدامها في دروس الفقه والتّفسير، وهكذا أصبح التّعلُم ضرورة فطرية للمريدين، ولا يمكن لأيّ شيخ من الشّيوخ الاستغناء عن الشّواهد البلاغيّة باختلاف مصادرها، ومن خلال كلّ هذا يتضّح

[1] حمادي صمود، التّفكير البلاغي عند العرب، مرجع سابق، ص55.

لنا الدّور البارز الّذي تمثلّه الشّواهد البلاغيّة في تعلُّم وتعليم البلاغة الّتي تعدّ من أرقى الفنون الأدبيّة ببعديها الخيالي والإقناعي.

1-4-2 تأصيل المصطلح البلاغي:

إنّ الشّواهد البلاغيّة كانت حاضرة في تأصيل المصطلح البلاغي، والمتتبّع للمصطلحات البلاغيّة يرى مدى اعتماد العلماء على الشّواهد البلاغيّة في هذا الأمر، وقد واجه المصطلح البلاغي أثناء وضعه مجموعة من الصّعوبات من أهمّها البيئة الّتي نشأ فيها ولا تخرج عن دائرة الفرقة الكلاميّة والأصوليين، وتأثر البلاغة فيما بعد بالفلسفة والمنطق، ضّف إلى ذلك اختلاف العلماء فيما بينهم نتيجة الانتماء المذهبي وهذا ما جعل البلاغة تزخر بالكثير من المصطلحات لمفهوم واحد، فاتسعت رقعة البلاغة وتوسّعت حدودها، كما لا نغفل قضيّة التّأثر والتّأثير بين اللّغات المختلفة، كلّ هذا جعل نشأة المصطلح البلاغي مضطربة، فكان المصطلح البلاغي يتأرجح بين عدّة مسمّيات إلاّ أن يستقر على واحد يحظى بالإجماع، وفي خضم هذا التّأرجح يكون للشّواهد الأثر البالغ في تحديد المصطلح ومفهومه، والواقع أنّ البلاغة لم تكن صافية النّشأة بل كانت متصلة بعلوم أخرى كالمنطق والفلسفة وعلم الكلام وهكذا كانت المصطلحات تتأرجح بين الاتّباع والابتداع، وقد شجّع نشوء هذا العلم الباحثين على ابتداع مصطلحات مستقلّة كمصطلح التّشبيه الّذي نشأ في أحضان علم البلاغة، وهناك مصطلحات أخرى ذات نشأة مختلطة متأثرة بعلوم أخرى كعلم النّحو، والدّارس لعلم البلاغة يرى ذلك التّأثر الواضح في وضع المصطلحات البلاغيّة كمصلح التّقديم والتّأخير والذّكر والحذف؛ فهذه مصطلحات مشتركة بين علم النّحو والبلاغة، والواقع أنّ علماء البلاغة كانوا على اطلاع واسع بعلم النّحو لمّا يكتسيه هذا العلم من أهمية ولعلّ نظرية النّظم الّذي وضعها الجرجاني توضح العلاقة المتيّنة بين العلمين، والواقع أنّ المصطلحات البلاغيّة اشتركت مع العديد من العلوم كعلم الكلام والمنطق.

فتتبع مصطلح البيان مثلاً نجده متداولاً بكثرة في كتب البلاغة، ونجده واردًا عند الجاحظ الّذي سمّى كتابه "البيان والتّبيين"، وقد عرّفه الجاحظ بقوله: "قال ثمامة: قلت لجعفر بن يحي: ما البيان؟ قال: أن يكون الاسم يحيط بمعناك ويجلي عن مغزاك وتخرجه عن الشركة ولا تستعين عليه بالفكرة. والذي لا بدّ منه أن يكون سليما من التكلف بعيداً من الصنعة، بريئا من التعقيد، غنيا من التأويل. وهذا هو تأويل قول الأصمعي: ((البليغ من طبق المفصل وأغناك عن المفسر)) ...

وأنشدني أبو قَطَن الغَنَوى، وهو الذي يقال له شهيد الكَرَم، وكان أَبْيَنَ مَن رأيتُه من أهل البَدْو والحَضر:

فلو كنتُ مولى قيسِ عَيلانَ لم تَجِدْ　　　عَلَيَّ لمخلوقٍ مِن النَّاس دِرهَما

ولكنَّـني مـــولى قُضاعــــةَ كلَّـها　　　فلستُ أُبالِي أن أَدين وتَغْرَما

أولئــــك قـــوم بـــارَكَ الله فيهُـــم　　　على كلّ حالٍ ماأعفّ وأكرما

جُفاةُ المَحَزّ لا يُصيبون مَفْصِلاً　　　ولا يأكلون اللّحمَ إلا تخذُّمــا"[1].

يستدلّ الجاحظ بهذه الأبيات، ويبيّن لنا أنّ الشّاعر من أبين أهل البدو، ويُلاحظ أنّ الجاحظ لا يفرق بين البلاغة والبيان، والبيان عنده أعمّ من البلاغة، "و((البيان)) في عنوان الكتاب وفي الفصل الّذي عقده الجاحظ من الكتاب تحت عنوان ((البيان)) ليس مقصودا به المدلول البلاغي الدّقيق للمصطلح – أي معرفة كيفية إبراز المعنى الواحد في صور متفاوتة في وضوح الدّلالة على هذا المعنى – وإنما مقصود به معناه اللغوي الشامل، أي ما يرادف الوضوح والظهور والكشف، وهو بهذا المعنى أعم من البلاغة"[2].

---

[1] الجاحظ، البيان والتّبيين، مصدر سابق، ص106، ص108.

[2] علي عشري زايد، البلاغة العربيّة: تاريخها. مصادرها. مناهجها، مكتبة الشباب، المنيرة، (د، ط)، 1972م، ص40

ومعلوم أنّ المصطلح البلاغي عند نشأته تعرض لمثل هذا التّداخل بين مصطلحين فأكثر، وقد أورد صاحب العمدة في حديثه عن مصطلح البيان قول الرّماني إذ يقول: "- قال أبو الحسن الرماني في البيان: هو إحضارُ المعنى للنفس بسرعة إدراك. وقبل ذلك لئلا يلتبسَ بالدلالة؛ لأنها إحضارُ المعنى للنفس، وإن كان بإبطاء، وقال: البيانُ الكشفُ عن المعنى حتى تدركَه النفسُ من غير عُقْلَة، وإنما/ قيل ذلك؛ لأنه قد يأتي التعقيدُ في الكلام الذي يَدُل، ولا يستحق اسمَ البيان...وكذلك قول عمرو بن الأهتم في الزبرقان بين يدي الرسول ﷺ، حين قال النبي ﷺ: ((إنّ من البيان لسحرا.))"[1].

سار **ابن رشيق** على درب الرّماني في تعريفه لمصطلح البيان، ولكنّه أضاف أنّ البيان هو كشف وإظهار المعنى حتى تدركه النّفس من غير عقلة لأنّ التّعقيد في الكلام لا يستحقّ أن يطلق عليه اسم البيان، وقد عدّه فنًّا من فنون البلاغة وقد استدل على شواهد مختلفة منها قول النّبي صلى الله عليه وسلّم في البيان وكذا أبيات شعريّة، فنوّع في استخدام الشّواهد حتّى يؤصّل لهذا المصطلح البلاغي ويؤكّد على مفهومه.

وهكذا تأرجح مصطلح البيان عند العلماء فهناك من جعله مساويا للفصاحة والبلاغة كعبد القاهر الجرجاني، "وعدّ عبد القاهر الفصاحة والبلاغة والبراعة والبيان شيئاً واحداً"[2]، ولكن هذه النّظرة تلاشت مع مجيء السّكاكي الّذي خصّص القسم الثّالث من كتابه "مفتاح العلوم" للبلاغة وجعل البيان أصلا من أصولها، وعرّف علم البيان بقوله: "هو معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة، بالزيادة في وضوح الدلالة عليه، وبالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه"[3]، ليأتي بعده القزويني ويجد الأمور استوت فيعرف البيان قائلا: "وَهُوَ عِلْمٌ يُعْرَفُ بِهِ إِيرَادُ المَعْنَى الوَاحِدِ بِطُرُقٍ مُخْتَلِفَةٍ

---

[1] ابن رشيق القيرواني، العمدة في صناعة الشعر ونقده، مصدر سابق، ص407.

[2] أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغيّة وتطوّرها، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1983، ج1، ص408.

[3] السّكاكي، مفتاح العلوم، مصدر سابق، ص162.

فِي وُضُوحِ الدَّلَالَةِ عَلَيْهِ "[1]، وهكذا انفرد السّكاكي والقزويني بوضع مفهوم علمي لمصطلح البيان وتقسيمه إلى مباحث – التّشبيه والكناية والمجاز–، وهذه المباحث هي الّتي كان لها النّصيب الوافر من الشّواهد البلاغيّة، وبعد هذه الرّحلة انفصل مصطلح البيان عن البلاغة والفصاحة وأصبح مستقلا بذاته وعلم من علومها، والملاحظ في بداية النّشأة اعتماد البلاغيين القدامى على الشّواهد باختلاف مصادرها من قرآن كريم وأحاديث نبويّة وأشعار، وقد اقتصرنا على مفهوم البيان، ولم نورد تعريفات كلّ العلماء حول مصطلح البيان، وقد اقتصرنا على أهمّها والغاية من ذلك الوقوف على أثر الشّواهد في التّأصيل للمصطلح ومفهومه.

1-4-3 التّأسيس للقواعد البلاغيّة:

إنّ الضّرورة تفرض على اللّغة مواكبة التّطور الحاصل، فالمجتمع الإسلامي باختلاطه مع الأجناس الأخرى، وتوسع رقعته الجغرافيّة، وانتقاله من البداوة إلى الحضارة، وانتشار الدّين الإسلامي في العالم، فرض على علماء اللّغة الاهتمام بالقرآن وحمايته من اللّحن، ولعلّ الرّجوع إلى نشأة النّحو يوضّح ذلك، فأصبح النّحويّون يركّزون على القواعد بغرض إتباعها من طرف العجم حفاظًا على القرآن الكريم، وكما هو معلوم فالنّحويون كانوا سباقين لوضع هذه القواعد، ولكن البلاغة لم تعرف هذا التّقعيد إلا مع السّكاكي، فالدّرس البلاغي مرّ بمراحل متعدّدة كما أوردنا ذلك سابقا، ولكن حتّى نكون منصفين في حقّ الرّجل الّذي أتُهِم بجمود البلاغة وجب النّظر إلى الظّروف المحيطة والسّبب وراء ذلك التّقعيد، فالسّكاكي وجد البلاغة قد استوت على سوقها تعجب الزراع، فقام بتحديد أقسامها، وقد استفاد من عمل سابقيه، وترك الباب مفتوحا للاحقيه، ولكنّهم وقفوا عند كتابه يشرحونه ويلخصونه وهو غير مُلام في ذلك، لكنّهم أدركوا أنّ عمله هو ذروة ما وصلت إليه البلاغة، وعند تتبعنا لكتب البلاغة وخاصة كتاب مفتاح العلوم للسّكاكي نجده في تقسيماته وتحديده للمباحث البلاغيّة يعتمد على الكثير من

---

[1] القزويني، التّلخيص، مصدر سابق، ص235، ص236

الشّواهد والأمثلة، والواقع أنّ السّكاكي لم يهدف إلى تأليف كتاب في البلاغة بالمفهوم المتداول، بل حاول لتأسيس مشروع علم الأدب، إذ يقول: " وقد ضمنت كتابي هذا من أنواع الأدب دون نوع اللغة، ما رأيته لا بد منه، وهي عدة أنواع متآخذة. فأودعته علم الصرف بتمامه ... وأوردت علم النحو بتمامه، وتمامه بعلمي المعاني والبيان"[1].

وكلام السّكاكي واضح بحيث ركّز على مشروع علم الأدب، فأورد علم الصّرف بتمامه، وعلم النّحو بتمامه وتمام علم النحو بعلمي المعاني والبيان، ولكن ما تضمنّه كتابه من البلاغة السّكاكية، يعتبر نتاج ما وصل إليه التّفكير البلاغي عند العرب، وتكاد جميع المؤلفات الّتي جاءت بعد كتاب مفتاح العلوم، لا تخرج عن الإطار الّذي حدّده السّكاكي للبلاغة من خلال تقسيماتها أو ما تحتويه من تعريفات، وكان لابدّ من إيراد التّعريفات مصحوبة بشواهد وأمثلة، وعند تتبعنا للبلاغة السّكاكيّة نجده دائما في تعريفه لمصطلح بلاغي يُتبِعُه بشواهد وأمثلة، وقد سار سابقوه على نفس النّهج، فعند رجوعنا إلى القسم الثّالث من كتاب مفتاح العلوم الفصل الثّاني: علم البيان نجد السّكاكي قد استهلّه بتمهيد يقول فيه: " والخوض فيه يستدعي تمهيد قاعدة وهي: أن محاولة إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة، بالزيادة في وضوح الدلالة عليه، والنقصان بالدلالات الوضعية، غير ممكن. فإنك إن أردت تشبيه الخد بالورد في الحمرة مثلاً، وقلت: خد يشبه الورد، امتنع أن يكون كلام مؤدٍ لهذا المعنى بالدلالات الوضعية أكمل منه في الوضوح أو أنقص"[2].

يتّضح أنّ السّكاكي حدّد حد علم البيان مصرحا بوضع قاعدة، فهو بذلك أسس قواعد بلاغيّة، فكان في بادئ الأمر يحدّد مفهوم علم البيان مثلا ثم ينتقل إلى الأصل الأوّل من علم البيان في الكلام التّشبيه،

[1] أبو يعقوب يوسف السّكاكي، مفتاح العلوم، مصدر سابق، ص6.
[2] المصدر نفسه، ص332.

فيورد تعريف التّشبيه ثم يعرج على أهم أقسامه بالتّعريف والتّوضيح، مستخدما أمثلة عقليّة، ويستدعي الشّواهد عندما تستدعي الضّرورة ذلك كقوله في حديثه عن" وجه التشبيه غير واحد:

وأما القسم الثاني وهو أن يكون: وجه التشبيه غير واحد لكنّه في حكم الواحد فهو على نوعين: إما أن يكون مستنداً إلى الحس: كسقط النار إذا شبه بعين الديك في الهيئة الحاصلة من الحمرة، والشكل الكردي، والمقدار المخصوص، وكالثريا إذا شبهت بعنقود الكرم المنور في الهيئة الحاصلة من تقارن الصور البيض المستديرة الصغار المقادير في المرأى على كيفية مخصوصة إلى مقدار مخصوص، وكالشاة الجبلي إذا شبه بحمار أبتر مشقوق الشفة والحوافر، نابت على رأسه شجرتا غضا، وكالشمس مع الإشراق والحركة السريعة المتصلة، وشبه تموج الإشراق، أو إذا شبهتها بالبوتقة فيها ذهب ذائب، كما قال:

والشمس من مشرقها قد بدت   مشرقة ليس لها حاجبُ

كأنها بوتقة أحميت   يجول فيها ذهب ذائب"[1]

نلاحظ أنّ السّكاكي في تعريفه يكثر من الأمثلة حتّى لا يترك أي لبس في ذهن القارئ، وبعض عرضه لأمثلة يستدعي الشّواهد على حسب الحاجة، ففي كلامه عن وجه التّشبيه غير الواحد، استدعى أمثلة ثم أضاف شاهدًا شعريًا ليقوم بشرح الشّاهد الشّعري وهذا لتيسير فهم القارئ، ثمّ يضيف شاهدًا شعريًا ثانيًا ويقوم بشرحه كذلك، ففي هذا التّكرار للشّواهد هدف تعليمي، وهكذا كان منهج السّكاكي في تناوله العناصر البلاغيّة، فقد أسّس لقواعد بلاغيّة مستشهدًا بشواهد بلاغيّة على حسب ما تقتضيه الضّرورة ويفيض في طرح الشّواهد والأمثلة، فكان بحقّ مدرسة بلاغيّة أنجبت الكثير من البلاغيّين الّذين ساروا على نهجه في شرحهم لكتابه.

---

[1] أبو يعقوب يوسف السّكاكي، مفتاح العلوم، مصدر سابق، ص336.

يروم الشّاهد البلاغي في المقام الأوّل إلى إثبات إعجاز القرآن الكريم، فاستحضار الشّواهد ضروري لجذب المتلّقين، فهو حجّة ودليل على صحّة الأقوال، وهذا ما تفطنت إليه الفرق الكلاميّة الّتي اعتمدت عليه بالدّرجة الأولى، فكان خطيب كل فرقة متمكنا من اللّغة ملمّا بشواهدها، معتمدا على الشّاهد القرآني الّذي يعتبر أكبر سلطة وإبلاغية ليليه الشّاهد الشّعري وما يمثله للمجتمع العربي، وهكذا تفنن البلاغيّون في استخدام الشّواهد وكان هدفهم أسمى وهو خدمة القرآن الكريم، ولم تكن الفرق الكلاميّة هي الوحيدة الّتي اهتمت بالشّواهد البلاغيّة، ففئة المعلمين هي الأخرى وجّهت أنظارها نحو الشّواهد، وقد كانت تهدف إلى التّلقين والتّعليم، والتّعليم مسألة فطرية في حياة الإنسان، فكان للبلاغة الحظّ الوافر من الاهتمام سواء من العامّة أو الخاصّة الّذين رغبوا في ركوب سفينتها، وهكذا بدأت المباحث البلاغيّة تستقيم، ليجد السّكاكي الطّريق المعبّد، فيقوم بتأسيس قواعد بلاغيّة، فقام بتقنين البلاغة، وجعل لها أقسامًا ومباحثًا، فأرسى قواعدها وحصن بنيانها، وهكذا كان حضور الشّاهد ضروريًّا للتّأسيس لهذه القواعد البلاغيّة، والبلاغيون استحضروا الشّاهد كذلك في القضايا البلاغيّة.

خلاصة الفصل الأول:

استفاد علماؤنا الأجلاء من الشّاهد البلاغي في بعث القضايا البلاغيّة الّتي حتمت على مناصريها استخدام مختلف الشّواهد البلاغيّة في مواجهة خصومها، وإقناع مؤيديها، ورغم أنّ نشأة الشّاهد البلاغي ارتبطت بطبع الحال بنشأة علم البلاغة الّذي كان متشابك الأوصال مع النّقد في بداياته الأولى، وسرعان ما استقلت البلاغة ورسمت حدودها واتضحت معالمها مع جهابدة اللّغة الّذي أحسنوا استغلال الشّواهد بما يخدم قضاياهم، وراحوا يستدعونه لعدة عوامل.

الفصل الثّاني: الشّاهد البلاغي عند البلاغيين المعاصرين

المبحث الأوّل: قضايا الشّاهد البلاغي عند المعاصرين

المبحث الثّاني: دوافع الاحتجاج بالشّاهد البلاغي عند المعاصرين

المبحث الثّالث: وظائف الشّاهد البلاغي عند المعاصرين.

المبحث الأوّل: قضايا الشّاهد البلاغي عند المعاصرين

تمهيد:

قد تناولنا في الفصل الأوّل قضايا الشّاهد البلاغي عند القدامى الّتي انحصرت في عدة مباحث فكان السّبق للقدامى في العديد من القضايا البلاغيّة، ولكن هذا لم يمنع المعاصرين من البحث في تلك القضايا وفق رؤية معاصرة بشكل اتّباعي أحياناً وابتداعي أحياناً أخرى، والواقع أنّ البلاغة العربيّة عند المعاصرين في مراحلها الأولى كانت بلاغة تدريسيّة، ولكن مع مرور الوقت تعالت الأصوات منادية بمحاولة إعادة قراءة التّراث البلاغي وفق نظريات معاصرة، وهو ما اصطلح عليه بالتّجديد البلاغي وأصوات أخرى نادت ببلاغة جديدة، وكل هذه الأمور استدعت استخدام الشّواهد البلاغيّة، ووجب علينا أن نشير إلى أنّ الباحثين المعاصرين انقسموا إلى ثلاثة فرق، فريق عكف على الاتّباع، فتوجّه نحو البلاغة السّكاكية التّقعيديّة، وفريق مجدد حاول أن يجتهد ويبدع، وفريق حاول أن يتخذ موقفًا وسطيًّا فقام بالمحافظة على النّموذج التّراثي وأضفى عليه لمسة تجديديّة من خلال استخدام الشّواهد المعاصرة ليكون هذا من صميم بحثنا محاولين الإشارة إليه:

1- القضايا البلاغيّة عند المعاصرين:

ارتبطت القضايا البلاغيّة عند المعاصرين المقلّدين بما تناوله القدامى من قضايا الفصاحة والبلاغة وقضية اللّفظ والمعنى ...، والتّقسيم الثّلاثي المقدس للبلاغة العربيّة – علم المعاني، البيان، البديع-، ولكن لم يمنعهم حديثهم عن القضايا البلاغيّة التّراثية من إضفاء اللّمسة الإبداعيّة في تناولها لهذه القضايا، ويمكن حصر دراستهم لها فيما اصطلح عليه فيما بعد بالبلاغة التّدريسية، وبعد أن وقف الخطيب القزويني على كتاب المفتاح وشرحه، توالت الشّروح بعده لتتّجه المادة البلاغيّة إلى المجال الدّراسي، ووجد في كتب التّلخيص والإيضاح المادة المناسبة للتعلّم والتّعليم، ويمكن أن نعدّ هذه الفئة من الإتّباعيين الّتي اعتمدت

على شواهد معيّنة حتّى أصبحت قوالب جاهزة تتكرّر في العديد من المصنّفات المعدّة للتّدريس، فاقتصروا على كتاب المفتاح وكتب الشّراح من بعده ممّا أثّر على استخدام الشّواهد، وفي المقابل يوجد نخبة من العلماء عكفوا على إضفاء لمسة إبداعيّة للبلاغة، فنجدهم حاولوا التّجديد على عدّة مستويات؛ فهناك من أراد أن يجدّد على مستوى المصطلح البلاغي، وهناك من رأى أنّ التّجديد يكمن في المنهج المتبع، وآخرون ذهبوا إلى أبعد من ذلك وحاولوا التّجديد على مستوى المفاهيم، كما هناك من أضاف مباحث بلاغيّة وفق رؤية معاصرة مسايرة للنّظريات الغربية، وسنحاول الوقوف على القضايا البلاغيّة عند المعاصرين.

1-1 القضايا البلاغية عند الاتّباعيين:

لا ينفك دارس البلاغة من التّعلق بالكتب البلاغيّة التّراثية الّتي تزخر بقضايا بلاغيّة متعددة، لا زالت تشغُل بال الدّارسين إلى يومنا هذا، ويتجلّى ذلك في البحوث والدّراسات المعاصرة الّتي لازالت تتناول هذه القضايا وفق رؤية معاصرة وحتى تراثيّة، ويمكن أن نشير إلى بعض القضايا التّراثيّة الّتي تناولتها الكتب البلاغيّة والموجهة أساسًا إلى التّدريس:

1-1-1 قضية الفصاحة والبلاغة:

تعتبر قضية الفصاحة والبلاغة من القضايا المهمّة لدارس البلاغة، فنجد أنّ الباحثين قد توقفوا عند كتاب (مفتاح العلوم) للسّكاكي وكتابي القزويني –التّلخيص والإيضاح-، فعكف الشّراح على حصر البلاغة فيما توصل إليه السّكاكي، وقاموا بشرح كتب القزويني متوجهين إلى بلاغة تدريسيّة، فكانت الفصاحة والبلاغة من أولى القضايا المدروسة، فنجد أنّ أغلب كتب البلاغة التّدريسيّة تُستهل صفحاتها بمفهوم البلاغة والفصاحة مع تكرار بعض الشّواهد البلاغيّة، ودورانها في العديد من المصنّفات، وقضية الاتّباع ليست سمّة المعاصرين، فحتّى بعض القدامى قد تداولوا الشّواهد وتوارثوها، وانتقل هذا الميراث من

الشّواهد إلى المفاهيم البلاغيّة، رغم محاولة بعض المعاصرين في إيراد مفاهيم بلاغيّة تناسب متطلّبات العصر ومصطلحاته.

يعتبر كتابا (التّلخيص) و(الإيضاح) للقزويني قمة الإتقان والإبداع، فاعترف به العلماء من بعده، واكتفوا به ولم يزيدوا عليه أو يغيّروا فيه، وقفت همتهم على ما جاء به القزويني، فحصروا جهودهم على البحث في كتابيه، واستقرّت المباحث البلاغيّة عنده، وأصبحت متداولة في مدارسنا، وسار رواد البلاغة التّدريسيّة على دربه، واستعانوا بشواهد كتابيه التي أصبحت فيما بعد نماذج جاهزة تكاد لا تخلو من أي كتاب بلاغي تدريسي، ولنا العديد من الشّواهد المتكررة في باب الفصاحة والبلاغة، ونذكر الشّواهد التّاليّة:

"كقول امرئ القيس:

غدائره مستشزراتٌ إلى العلا تضل المداري في مثنى ومرسل"[1].

فقد جاء هذا في باب الفصاحة وعند الحديث عن تنافر الحروف، فكلمة "مستشزرات" تثقل كاهل القائل والسّامع معًا لتنافر حروفها، والشّاهد كثير الدّوران في كتب البلاغة، ولا يقل عنه دورانا شاهد شعري آخر للمتنبي، إذ يقول فيه:

"مبــارك الاسـم أغرّ اللقب كريم الجرشي شريف النسب"[2].

---

[1] أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع، دار الكتب العلميّة، لبنان، ط3، 1993، ص16.
- ينظر: السّيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المكتبة العصرية، بيروت، (د ط)، (د ت)، ص20
- ينظر مُحَمَّد أحمد قاسم، محي الدين ديب، علوم البلاغة (البديع، البيان، المعاني)، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، ط1، 2003م، ص27.
- ينظر مُحَمَّد بركات حمدي أبو علي، فصول في البلاغة، دار الفكر للنّشر والتّوزيع، عمان، ط1، 1983م، ص57.

[2] أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع، مرجع سابق، ص20.
- ينظر: السّيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص24.

وكان أيضا في باب الفصاحة، وقد ورد عند الحديث عن الكراهة في السّمع، فالكلمة قد تمج الأسماع ولا تنفذ إلى الأعماق، وفي بيت المتنبي كلمة (الجرشي) الّتي تعني النّفس، يأنف منها السّامع، وبالتّالي أفسدت البيت حسب اصطلاح البلاغيين.

اقتصرنا على شاهدين والواقع أنّ الشّواهد كثيرة خاصة في أبواب أخرى، وهذا ناجم عن التّأثر بالقديم، رغم ما تحمله هذه الشّواهد من طاقة إبلاغيّة إلّا أنّ التّأثر بالقديم ليس عيبًا، ولكن المبالغة والغلو في تقديسه هي العيب نفسه، فيجب أن نستفيد من القديم في بعث وانتقاء المعاصر. فلا يُغلق باب إلا ويُفتح باب آخر أكثر اتّساعًا، حتّى لا نحرم التّجارب المعاصرة حقها من الدّرس والبحث، فيمكن أن ينهج الباحث في البلاغة نهجا اتّباعيًا ولكن لا جرم أن يُجدد الشّواهد، فلا يُقتل البحث البلاغي بل يجعله متجدّدًا منفتحًا على الآداب الأخرى.

2-1-1 قضية التّقسيم الثّلاثي للبلاغة:

وصلت البلاغة العربيّة إلى مرحلة النّضج والكمال بهذا التّقسيم الّذي لم يولد صدفة أو بالسّهولة الّتي قد يتصوّرها البعض، بل جاء نتيجة جهود وأبحاث توارثها العلماء ونقبوا فيها على مراحل زمنيّة مختلفة، جعلت البلاغة تستوي وتبلغ مرحلة الكمال، فاستقرار علومها الثلاث –المعاني، البيان، البديع– على هذا الشّكل، جعل المتأخرين ينبهرون بهذا التّقسيم ولا يتنازعون في أمره، بل بلغ الأمر إلى حدّ الحث على معرفته، وتلقينه لطلاب العلم على مرّ الأزمان، وقد لا تخلو كتب البلاغة المتأخرة وخاصة التّطبيقية من إيراد هذا التّقسيم، وتقديم التّعاريف المتعلقة به، والاستعانة بالشّواهد التّراثيّة والمعاصرة، والواقع أنّ هذه الأخيرة قليلة مقارنة بالتّراثيّة وذلك لعدّة عوامل، وهو ما جعلنا نقف أمام فرقتين: اتّباعيّة وأخرى

إبداعيّة، وحتّى لا نبخس لأهل الفضل حقّهم، هناك محاولة بلاغيّة تحديديّة مسّت هذا التّقسيم (**الشايب، أنيس المقدسي**، ....)، ومحاولة أخرى مست الشّواهد دون المساس بهذا التّقسيم المقدس.

ولمّا كان بحثنا عن الشّواهد ارتأينا أن نورد بعض الشّواهد التّراثية المكررة في كتب البلاغة، وبعض الشّواهد الإبداعيّة في هذا الباب، وقد اقتصرنا عل البعض فلا يمكن تتّبع كلّ الشّواهد، ومن الشّواهد الّتي تدور كثيرا **في باب الاستعارة نورد مثلاً** قول الهذّلي الّذي ورد في باب الاستعارة بالكناية:

"وَإِذَا المنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظَافِرَهَا أَلْفَيْتَ كلَّ تَمِيمَةٍ لاَ تَنْفَعُ"[1].

ومن الشّواهد النّثرية الّتي وردت في المجار المركب بالاستعارة التّمثيلية، نجد قولهم:

"أحشفًا وسوء كيلة"[2].

وقد جاء هذا الشّاهد في بيان المجاز المركّب على نحو "أحشفاء وسوء كيلة" عند المراغي، بينما عند الهاشمي ورد على هذا النّحو "أحشفا وسوء كيلة؟!، وقد اختلف المراغي والهاشمي في لفظ حشفاء، وما يهمّنا أنّ هذا الشّاهد كثير الدّوران وهو من الأمثال الّتي يضربها العرب.

إنّ ما تناولناه يعتبر غيض من فيض، فالشّواهد كثيرة وكتب البلاغة وخاصة التّطبيقية تعجُّ بمثل هذه الشّواهد، وحتّى لا نبخس لأهل الحقّ حقّهم، فعلينا أن نوضح أنّ معظم البلاغيين ينتهجون منهجًا وسطيًّا في الاستعانة بالشّواهد، فنراهم يكثرون من الشّواهد التّراثيّة على حساب المعاصرة، وذلك يعود لعدّة أسباب: فمنها البعد التّاريخي للشّواهد، فالقديم يحظى بالقدسيّة، ومنها الطاقة الإبلاغيّة للشّواهد

---

[1] الخطيب القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، مصدر سابق، ص327.
- ينظر: السّيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، مرجع سابق، ص221.

[2] مصطفى المراغي، علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع، مرجع سابق، ص287.
- ينظر: السّيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، مرجع سابق، ص276.

التّراثية، الاستئناس للشّواهد التّراثية فهي في حدّ ذاتها حجّة إقناعيّة وإبلاغيّة وإمتاعيّة..، فتعدد وظائف الشّواهد التّراثيّة يجعل من المستحيل الاستغناء عنها في الكتب البلاغيّة بصفة عامّة، ولكن لا يجب غلق الباب أمام الجديد، بل يجب البحث فيه ودراسته، حتّى لا تقتل البلاغة على أيدينا ونكون سببًا في جمودها.

يحضر الابتداع في الشواهد أيضًا، وقد يمزج البلاغي بين التّراث والمعاصرة في مؤلف واحد، وهذا ما نلحظه من خلال تصفحنا لكتاب المراغي، إذ نجده عند حديثه عن الاستعارة التّصريحية يستشهد بقول شوقي:

"دقات قلب المرء قائلة له إن الحياة دقائق وثوان"[1].

لم يكن المراغي الوحيد الّذي يستعين بشواهد معاصرة فحتّى أحمد قاسم الشّايب في حديثه عن فصاحة المركّب (فصاحة الكلام)، وبعد ذكره العيوب الأربعة الّتي وضعها البلاغيون وهي:

1- سلامته من ضعف التّأليف.

2- سلامته من تنافر الحروف في الكلمات المتتابعة.

3- سلامته من التّعقيد اللّفظي.

4- سلامته من التّعقيد المعنوي.

أشار إلى العيب الخامس الّذي أضافه البلاغيّون وهو:

---

[1] مصطفى المراغي، علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع، مرجع سابق، ص270.

- كثرة التّكرار وتتابع الإضافات: وقد أورد قول "الشاعر عبد الرزاق عبد الواحد في قصيدة بعنوان (براءة 1954):

من طيبتي،

من كبريائي

من أصدقائي

من كل ما قدّست،

ما آمنت أنّ به بقائي

من ذكرياتي

من حاضري،

من كل آت

من والدي وسحابة السّتين في عينيه تهمي

من إخوتي حتى الصغير،

ومن أخيّاتي وأمّي

من كل إنسانيّتي

من كل إيثاري لغيري

من كل شعري."[1].

يعتبر هذا الشّاهد من الشّواهد المعاصرة إلّا أنّه يحقق إبلاغيّة في هذا الباب، فهو يحوي كثرة التّكرار فحرف الجر (من) تكرر ثلاث عشرة مرة، وتكرّرت (كلّ) خمس مرات، ورغم أنّ الشّاعر ينقلنا إلى ما يختلجه من مشاعر وأحاسيس مرهفة إلّا أنّ التّكرار جلّي في عمليته الإبداعيّة، ولم يشفع له جمال الأسلوب ورونق العبارة من الوقوع في عيوب الفصاحة، هذا ما جعل أحمد قاسم الشايب يستشهد بأبياته في ذكره للعيب الخامس الّذي وضعه المحدثون وهو كثرة التّكرار وتتابع الإضافات.

إنّ التّقسيم الثّلاثي للبلاغة جاء بعد بحث واجتهاد العلماء الأجلاء، فلا ينكر فضلهم إلّا جاحد، وقد استعانوا بالكثير من الشّواهد باختلاف أجناسها ليبصموا على هذا التّقسيم الّذي ينّم عن عبقريتهم، وقد استفاد المعاصرون كثيرًا من الشّواهد التّراثيّة، ومن الشّواهد ما أصبح متداولا بكثرة في كتب البلاغة خاصة الشّواهد الشّعرية، ولكنّهم بين الفينة والأخرى حاولوا الاستعانة بالشّواهد المعاصرة ولكنها قليلة مقارنة بالتّراثيّة، وهذا ما لحظناه من خلال تصفح بعض الكتب البلاغيّة.

لا يمكننا تتبع كل القضايا الإتباعيّة عند البلاغيين المعاصرين، فقد اقتصرنا على قضيتين ولكن لا يمكننا تجاوز قضيّة أخرى أذهلت البلاغيين وهي **قضيّة النّظم**، فلا ينكر أحد ما توصل إليه الجرجاني في هذا الباب، وعزيز على الفضل أن ينكر ما تقدم به الزّمان أو تأخر، وما أتى به الشّيخ الجرجاني مازال يذهل الباحثين وكل من ركب موج البلاغة، فالرّجل أضاف لمسته وأعاد للنّحو مكانه في الدّرس البلاغي، وقد أفاد الباحثون كثيرًا من نظريته الّتي تنم عن عبقرية لا مثيل لها، وما جعل الباحثين يهتمون بهذه النّظرية بالتّحديد هو مناسبتها للأبحاث اللّغويّة الغربيّة المعاصرة، فالرّجل كان له نظرة مستقبليّة فقد تجاوز الزّمن، وسبق من عاصروه بعبقريته، وقصر المسافات على من جاء بعده.

---

[1] مُحَمَّد أحمد قاسم، محي الدين ديب، علوم البلاغة (البديع، البيان، المعاني)، مرجع سابق، ص36.

يوجد الكثير من القضايا البلاغيّة المعاصرة الّتي يمكن أن يتقاطع فيها الإتباعيون والابتداعيون وخاصة إذا كانت النّقطة المشتركة في هذا التّقاطع هي الشّاهد الّذي يتميّز بالاتّساع والتّجدد والتّطور، فله ميزة الهلاميّة الّتي تمكنه من الاستمرار والتّعايش، والواقع أنّ هناك العديد من القضايا البلاغيّة الاتّباعية، ولكن اقتصرنا على بعضها، فالشّواهد الاتّباعيّة كثيرة في أي علم من علوم البلاغة.

2-2 القضايا البلاغيّة الإبداعية عند المعاصرين:

إنّ المتتبع للبحث البلاغي المعاصر يرى الاجتهادات الّتي بذلها الباحثون للنهوض بالبلاغة وإخراجها من الجمود الّذي غرقت فيه، فالاجتهادات اختلفت من نخبة إلى أخرى نتيجة الاحتكاك بالدّراسات البلاغيّة الغربيّة الّتي عرفت هي كذلك مرحلة الجمود، وصل إلى حد الموت لينهض البلاغيون الغربيون المعاصرون ببلاغتهم، وقامت الدّراسات الحجاجيّة لتعيد البلاغة إلى واجهة السّاحة الأدبيّة لديهم، متزامنة مع ظهور الشّعريّة والتّداوليّة والأسلوبيّة وغيرها من المباحث الّتي رأى أصحابها أنّها الوريث الشّرعي للبلاغة، وهناك من حاول الاستحواذ على رقعة البلاغة وجعلها تابعة لهاته المباحث، والواقع أنّ البلاغة هي العلم العام الّذي يحوي هذه العلوم، ومن بين هذه العلوم يمكن أن نذكر منها:

2-2-1 الشّعرية:

يحتل الشّعر عند العرب مكانة مرموقة، فهو مستودع أسرارهم وناقل أخبارهم وموثق تاريخهم الحافل بتجاربهم الحياتية ومعاركهم البطولية، ممّا جعل النّقد يجد فيه الحقل المناسب للاشتغال، وقد "اتّخذ النّقد في مُعْظمه، من الشعر الجاهليّ نموذجاً ومثالًا، وقوّم الشعر اللّاحق، إيجاباً وسلباً، بحسب اقترابه منه في الطّريقة الشعرية، أو ابتعاده عنه، ويُفترض في هذا النّقد إدراكه أنّ الشعر الجاهلي لم يكن مستودع «الألحان» و«المعارف». ويعني ذلك أنّ الشاعر الجاهلي لم يكن «يُنْشِد» وحسب، وإنما كان «يفكر»

أيضاً، وأنّ القصيدة الجاهلية لم تكن مصدر طرب وحسب، وإنما كانت أيضاً مصدر معرفةٍ. يعني ذلك بعبارةٍ ثانية، أنّ الشعر الجاهلي لم يكن واحداً، وإنّما كان متعدداً. "[1].

يؤكد أدونيس على أنّ الشّاعر الجاهليّ لم يكن ينظم قصيدته طلبًا للطرب والإمتاع بعيدا عن الفكر، بل كان يبني قصديته في بعض الأحيان على أسس فكريّة، والشّعر الجاهليّ كان متعددا، فيروم إلى نقل وسرد أحداث تاريخيّة، تُجبِر الشّاعر على استخدام الفكر في تصوير تلك الأحداث والمشاهد بدون إقصاء للتّخييل الّذي يعد قوام الشّعر، ومن هنا اتّخذ النّقد من الشّعر الجاهليّ نموذجاً يحتذى به، ويمكن التّنظير له، وبدأ النّضج البلاغي في الدّراسات الشّعرية ينمو، والبحث في القوانين الّتي تحكم الصّناعة الشّعرية تطفو إلى السّطح، وهذا مع مرور الزّمن والتّأثر بالآخر، والواقع أنّ البلاغيين القدامى تأثروا بالدّراسات الأرسطية واليونانيّة، والمتتبع للتّاريخ البلاغي يرى ذلك، فترجمة العلماء لكتاب أرسطو بفن الشّعر لم تكن عبثًا، بل جاءت وفق نظرة نقديّة، فذكرهم لكلمة فن يقصد بها القوانين الّتي تحكم صناعة الشّعر، فانتقلت البلاغة الشّعرية من الذّوقية إلى العلميّة، وانتقل التّحليل البلاغي للنّصوص الأدبيّة من الإنتاج إلى التّحليل، فلم تعد البلاغة تبحث في كيفية إنشاء النّص بل تعدت ذلك إلى تحليل النّصوص الأدبيّة.

إذا ما حاولنا التّعريج على ظهور الشّعرية وجب الإشارة إلى المدرسة الشّكلانيّة الرّوسيّة، فأغلب النّقاد في العصر الحديث يعتقدون أنّ فكرة تأسيس النّظرية الشّعريّة ترجع إلى الشّكلانيين الروس، حيث رأوا في "الأسلوبية" و"الشعرية" و"الأدبيّة" مصطلحات ذات مناحي جمالية، وهذا لاهتمامها بالاستعمالات الفنيّة للغة وأيضا التّوظيف المقصود لتقنياتها. كما أنّ الأسلوبية تهدف لدراسة العمل الأدبي لإبراز الظّاهرة الجماليّة، فتقاطع مجال البحث بين الأسلوبيّة والشّعريّة فكلاهما يبحث في الصّفات الجماليّة للنّص الأدبي على مستويات مختلفة.

---

[1] أدونيس، الشّعريّة العربيّة، دار الآداب، بيروت، ط2، 1989م، ص56.

تتقاطع الشّعرية والأسلوبيّة في مجال البحث، فكلاهما يحاول استقصاء الصّفات الجماليّة للنّص الأدبي وهذا راجع لاهتمامها بالجانب الفنّي للّغة، فهناك اختلاف بين لغة الشّعر واللّغة العادية، ورغم أنّ الإرهاصات الأولى لمصطلح الشّعريّة تمتدّ عبر التّاريخ سواء عند العرب أو الغرب، إلّا أنّها كمصطلح ظهر حديثًا، وإذا حاولنا الوقوف على تعريف للشّعرية، يمكن أن نورد قول **رومان جاكبسون** (**Roman Jakobson**) الّذي جعلها فرعًا من اللّسانيات لأنّها "تهتم بقضايا البنية اللّسانيّة، تماما مثل ما يهتم الرّسم بالبنيات الرّسمية. وبما أنّ اللّسانيات هي العلم الشّامل للبنيات اللّسانية، فإنّه يمكن اعتبار الشّعرية جزءا لا يتجزأ من اللّسانيات"[1].

يربط جاكبسون الشّعرية باللّسانيات ويجعلها فرعًا من فروعها، فجعل اللّسانيات العلم الكلّي أو العام الّذي يضمّ الشّعريّة وغيرها من الحقول اللّغويّة، فحاول ربط الشّعرية بنظريته التّواصلية، ويواصل حديثه عن الشّعرية فيقول: "ويمكن تحديد الشّعرية باعتبارها ذلك الفرع من اللسانيات الذي يعالج الوظيفة الشعرية في علاقتها مع الوظائف الأخرى للغة. وتهتم الشعرية، بالمعنى الواسع للكلمة، بالوظيفة الشعرية لا في الشعر فحسب حيث تهيمن هذه الوظيفة على الوظائف الأخرى للغة، وإنما تهتم بها أيضا خارج الشعر حيث تعطي الأولوية لهذه الوظيفة أو تلك على حساب الوظيفة الشعرية"[2].

يؤكد جاكبسون على أنّ الشّعرية فرع من اللّسانيات، ولكن إن كانت اللّسانيات تعالج اللّغة وفق منهج علمي، فالشّعرية تختصُّ بمعالجة الوظيفة الشّعريّة لا الشّعر مما يجعل مجالها أرحب، فحسبه الشّعرية تكون خارج الشّعر فتحكم وتعطي الأولويّة لوظيفة على حساب الوظيفة الشّعريّة.

---

[1] رومان ياكبسون، قضايا شعريّة، ترجمة محمّد الولي ومبارك حنون، دار توبقال للنّشر، المغرب، ط1، 1988م، ص24.

[2] المرجع نفسه، ص35.

لم تكن البلاغة في منأى عن هذا الأمر، فظهور القوانين الّتي تنظر للشّعر مسّت البلاغة بوجه أو بآخر، وفي هذا يقول عبد القادر زروقي: "إن البلاغة التي استغنت عن مباحث الإيتوس (ETHOS) والباتوس (Bathos) والحجج بجميع أصنافها والترتيب، هي التي تتطابق مع الشعرية أو الأسلوبية"[1].

إذن البلاغة إن استغنت عن الآليات المنتهجة من قبل المخاطِب والمُخاطَب والحجج المتعارف عليها ستلتحق حتماً بركب الشّعرية والأسلوبيّة، وهنا يتّضح أنّ البلاغة هي العلم الكلّي، والمباحث الأخرى هي الفروع التّابعة لها والرّاسمة لحدودها.

استفاد البلاغيون المعاصرون من ظهور الشّعريّة، وتوغّلوا في مباحثها وتأثّروا بالدّراسات الغربيّة، ما نجم عنه الكثير من المصنّفات في هذا المجال، وكان لزامًا عليهم الاعتماد على شواهد يُنَظِّرُون بها لهذا المبحث القديم الجديد في الأدب العربي، فنراهم يشيرون دائمًا إلى تفطن الباحثين القدامى لهاته المباحث، ورغم أنّهم لم يضعوا في بعض الأحيان المصطلح إلّا أنّهم يدركون المفهوم ويستعملونه في دراساتهم ومباحثهم، وقد تصادم الباحثون المعاصرون مع عصر السّرعة الّذي عجلّ ظهور مباحث أدبيّة غربيّة مصحوبة بمجموعة هائلة من المصطلحات الجديدة الّتي هطلت بغزارة، فجعلت الباحثين في مأزق مع المصطلح الغربي وكيفية إيجاد مصطلح عربي مناسب له، ولنا خير مثال في مصطلح "الأسلوبيّة"، ونعلم أنّه لكي نتمكن من أيّ علم يتحتم علينا التّحكم في مصطلحاته، وبعدها نحتاج إلى شواهد سواء تراثيّة أو معاصرة بغيّة وضع وتوضيح القواعد الخاصّة به، فميزة الشّاهد التّجدد ما يكسبه دائما حضورًا قويًّا في الدّراسات الأدبيّة، وهذا ما فعله الباحثون المعاصرون في مجال الشّعريّة، فعند تتبعنا للكتب المتعلقة بالشّعرية، نلحظ أنّ الكتّاب المعاصرين استعانوا بالشّواهد البلاغيّة، والّتي يمكن أن نحصرها في ثلاث اتجاهات:

[1] عبد القادر زروقي، الشّعرية العربيّة (تفاعل أم تأثر)، دار الروافد الثّقافيّة، بيروت، ط1، 2015م، ص139.

أ- الشّواهد الشّعرية التّراثيّة:

تقود الحاجة دائما إلى الاستعانة بالتّراث والاستنجاد به، وهذا حال الباحثين مع الشّواهد الشّعريّة التّراثيّة، فرغم ظهور مباحث أدبيّة معاصرة إلّا أنّها لا تنفك تستمدّ قوتها من خلال الاستمداد من التّراث، فرغم أنّ أدونيس لم يعتمد على الكثير من الشّواهد في كتابه "الشّعرية العربيّة" إلّا أنّه استدعى شواهد شعريّة تراثيّة لإثراء بحثه، وقد جاءت على النّحو التّالي:

- قول حسان بن ثابت ﷺ:

"((تَغَنّ في كلّ شــعـــرٍ أنــت قائِلـــــهُ

إن الــغنــــاء لهذا الــشعــرِ مـضــمـــارُ))"[1]

- قول أبي نواس:

" غير أني قائلٌ ما أتاني

من ظنوني، مكذبٌ للعيانِ

آخذُ نفسي بتأليف شيءٍ

واحدٍ في اللّفظ شتّى المعاني

قائم في الوهم، حتى إذا ما

رمته، رمْت مُعمّى المكانِ،

فكأني تابعٌ حسْنَ شيءٍ

[1] أدونيس، الشّعرية العربيّة، مرجع سابق، ص8.

من أمامي ليس بالـمُسْتبانِ"[1].

إنّ حديث أدونيس عن الشّعرية العربيّة اقتصر على استخدام شواهد شعريّة تراثية قليلة، ولكنّه تحدث عن – النّواسي، والنّفري، والمعري –، فلا يمكن بأي حال من الأحوال الاستغناء عن الشّواهد الشّعرية على اختلاف مراحلها الزّمنيّة لأنّها الحقل الّذي تشتغل عليه الشّعرية، وما يزيد في إثراء البحث هو استدعاء شواهد تراثيّة بالقدر الّذي يخدم البحث دون إهمال الشّواهد الشّعريّة المعاصرة الّتي ما فتئت تستولي على صفحات المصنّفات المعاصرة.

ب– الشّواهد الشّعريّة المعاصرة:

إن حديث الباحثين العرب عن الشّعرية، والتّمثيل لها والتّطبيق ألزم استحضار نماذج معاصرة، وهذا ما نلحظه في كتاب "أساليب شعرية معاصرة" **لصلاح فضل**، ففي تطبيقه للنّظريات المتعلقة بالشّعرية استدعى شواهد شعرية معاصرة كثيرة مقارنة بالشّواهد التّراثية، فالكتاب يزخر بالكثير من أشعار نزار قباني وبدر شاكر السياب، ويمكن أن نكتفي بذكر الشّواهد التّالية لنزار قباني:

" شذاي الفرنسي .. هل أتملك

حبيب،

فإني تطيبت لك..

لأصغر ..أصغر نقطة عطر ..

ذراع تُمَدُّ ..

---

[1] صلاح فضل، أساليب شعريّة، دار الآداب، بيروت، ط1، 1995م، ص55.

لتستقبلك ..

تناديك في الرّكن ..قارورة

ويسألني الطّبيب ..

أن أسألك ..

لدي مفاجأة ..

فالتفت لي ..

ومرّر على عنقي أنملك

وقل لي بأنّك ..

لا .. لا تقل لي

وأَبحِرْ بشَعري الذي ظلّلك.. إلخ"[1].

فتحت الشّعريّة الباب الواسع أمام الباحثين العرب لاستدعاء الشّواهد الشّعريّة المعاصرة الّتي أصبحت الحقل المناسب للبحث وللتّطبيق، فلا يمكننا أن نقلّل من شأنها أو نحطّ من قدرها، فهناك من الشّواهد الشّعريّة المعاصرة ما يشفي الغليل ويروي السّقيم ويُبهج الأديب، فقد نجدها تحوي من التّخييل والتّصوير ما يضعها في أعلى المراتب وتَحصل على أرقى الرُتب، وهكذا وجد البلاغيون المعاصرون في الشّعريّة المنفذ الجديد لاستخدام شواهد جديدة تُثري البحث البلاغي المعاصر.

---

[1] صلاح فضل، أساليب شعريّة، مرجع سابق، ص50.

ج- الشّواهد الغربية:

إنّ تأثر الباحثين العرب بالغرب، لم يقتصر على تبنّي النّظريات فقط، بلّ تعداه إلى استخدام شواهد غربية، وهذا نظرا للتّأثر بالدّراسات الغربية الّتي قطعت أشواطاً مهمّة في الدّراسات الشّعرية، ويكفي أن نرى مقدمة كتاب (الشّعريّة العربيّة) لنرى تمكن أدباء هذه الفترة من اللّغات الغربيّة باعتراف أهلها، ضف إلى ذلك اشتغالهم بالجامعات الغربيّة، وهذا الاحتكاك مكّنهم من لغة الآخر والتّأثر بإنتاجه الفكري ونقله إلى اللّغة العربيّة، فازدهرت التّرجمة وأصبحت ناقلة لمختلف النّظريات والعلوم الأخرى، ولم يستفد العلماء من ترجمة النّظريات فقط بل تعداه إلى الشّواهد الغربيّة المترجمة الّتي تساعد على توضيح النّظريات الشّعرية والتّقعيد لها.

لم يقتصر استشهاد صلاح فضل على الشّواهد الشّعريّة بل تعداه إلى النّصوص النّثرية الغربيّة، فقد تحدث صلاح فضل عن دائرتين رئيسيتين في الشّعريّة العربيّة الحديثة وهما ((شعريّة الحضور)) و((شعريّة الغياب))، فأورد كلام كولير إذ يقول:

"وما يورده ((كولير)) من أبيات الشّاعر ((أشبري)) التي يصف فيها شعره بأنه:

لا يترك سوى انطباع مرّ بالغياب

وهو يتضمّن حضوراً، كما نعرف، مهما كان هادئاً

بالرّغم من ذلك، هي غيابات جوهريّة"[1].

ارتوى البلاغيون المعاصرون من بحوث القدامى ونهلوا من النّظريات الغربيّة في التّأصيل لمباحث معاصرة كالشّعرية الّتي تعدّ من بين المباحث المعاصرة الّتي حظيت بنصيب وافر من هذه الجهود، ومعلوم

---

[1] صلاح فضل، أساليب شعريّة، مرجع سابق، ص30.

أنّ جذورها تمتد عبر حقب زمنيّة غابرة، ولأنّ لكلّ علم شواهده فكان لزامًا استدعاء شواهد جديدة مناسبة لهذا المبحث، فعكف الباحثون العرب على الاستعانة بالشّواهد باختلاف أجناسها والمزاوجة بين التّراث والأصالة وفق ما يقتضيه الحال، ما نتج عنه ثراء الشّاهد الّذي ما ينفك يتجدّد ويتغيّر ويستقطب نصوصًا أخرى نتيجة التّأثر والتّأثير في مختلف العلوم، وشواهد الشّعرية العربيّة خير دليل على ذلك، وليست الشّعريّة الوحيدة الّتي استفادت من تجدّد الشّاهد واتّساعه فهناك مباحث أخرى سارت على نفس الدّرب كالأسلوبيّة والتّداوليّة ...، وحجزت لنفسها مكانًا في السّاحة الأدبيّة المعاصرة.

2-2-2 التّداوليّة:

تعدّ التّداوليّة من المباحث الّتي شغلت فكر العلماء المعاصرين، والواقع أنّ التّداخل الحاصل بين العلوم والصّراع من أجل احتلال أماكن كبرى طغى على الدّراسات الأدبيّة الحديثة، فنرى أن كلّ من الشّعرية والأسلوبية وغيرها من المباحث المعاصرة تحاول أن تستولي على حدود البلاغة، وتحتل رقعتها الأدبيّة الّتي لطالما اتّسعت للجميع، والبلاغة العربيّة هي العلم العام الّذي ينبغي أن يدخل تحت لوائه هذه المباحث، والتّداوليّة شأنها شأن المباحث الأخرى عُرفت مع العلماء المعاصرين نتيجة التّأثر بالدّراسات الغربيّة، والواقع أنّ العرب عرفوا التّداولية قبل الغرب، ونجد هذا في المصنّفات القديمة، وكانوا سباقين في هذا المجال بحديثهم عن مقتضى الحال والمقام، وعرّفوا البلاغة على أنّها مراعاة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته، فالكلام يختلف من شخص لآخر على حسب المقام ومقتضى الحال، ولكن الدّراسات العربيّة المتعلقة بالتّداوليّة لم تحظى بالاهتمام مقارنة بالدّراسات الغربيّة رغم النّعوت السّلبية الّتي وجهت لها في البداية، حيث اعتبرت بسلّة مهملات اللّسانيات، ولكن هذا لم يمنع الباحثين الغربيين من جعلها حقلاً معرفيًّا خصباً ومجالاً للبحث والدّراسة، لتحتل مكانة مرموقة فيما بعد، وظهور التّداوليّة بشكل علمي كان على يد **تشالرز بيرس(Charles Peirce)** **(1839م – 1914م)**، ثمّ تبعه **وليام جيمس (William James)** **(1842م– 1910م)**، لتتوالى جهود الباحثين في البحث التّداولي ولكن

"المرحلة المهمّة في تاريخ التداولية تزامنت مع انفتاحها على العلوم المعرفية،والأبحاث المتعلقة بالذكاء الاصطناعي، وهي أبحاث غيّرت الوجه العام للتداولية، وأعلنت ميلاد ما يُعرف بالتداولية المعرفية Pragmatique cognitive مع نظرية الملائمة Théorie de pertinence لسبيرز وولسن"[1].

بعدما تحدّثنا عن نشأة التّداوليّة الغربيّة بإيجاز، نلاحظ أنّ المدرسة الأمريكيّة والإنجليزيّة كان لهما السّبق نتيجة التّأثر بالفلسفة والعلوم الأخرى، فأسّسوا لنّظريات مهمّة انتقلت فيما بعد إلى الدّرس التّداولي العربي المعاصر، الّذي وجد في هذه النّظرية مجالاً خصباً للبحث والابتداع، فاستعانوا بهذه النّظريات لتحليل النّصوص التّراثيّة والمعاصرة.

بعدما عرجنا على نشأة التّداوليّة، يمكننا الآن أن نبيّن مفهومها، ولتبيان المقصود من التّداوليّة يمكن أن نذكر قول كل من **آن ربول وجاك موشلار (Moeschler jacques et Reboul Anne)** إذ يعرّفانها بقولهما: " يمكن أن تعرف بصفة عامة على أنها دراسة استعمال اللغة، في مقابل دراسة النسق اللغوي الذي يدخل بصيغة صريحة في اختصاصات اللسانيات وعندما نتحدث عن استعمال اللغة، فإن هذا الاستعمال ليس محايدا"[2].

يتّضح من خلال هذا التّعريف للتّداولية أنّها مرتبطة بعلوم اللّغة وفي مقدمتها اللّسانيات، وبصفة عامّة التّداوليّة هي دراسة استعمال اللّغة، وبصفة أدق دراسة اللّغة أثناء الاستعمال، أي أثناء القيام بالعمليّة التّواصلية الّتي لا تتأتى إلا من خلال قطبي التّواصل (المرسل – المتلقي)، إذن السمّة التّواصليّة مهمّة في التّأسيس لمفهوم التّداوليّة، والواقع أنّ استعمال اللّغة ليس بوجه اعتباطي على حسب الباحثين، فلطالما كان الاستعمال لغرض معيّن، فحتما لا يوجد خطاب بريء أيّا كان نوعه.

---

[1] جواد ختام، التّداولية أصولها واتجاهاتها، دار كنوز المعرفة للنّشر والتّوزيع، عمان، ط1، 2016م، ص21.

[2] المرجع نفسه، ص15، ص16.

نورد بعض التّعريفات الّتي أوردها **جورج يول (Georges Yule)** الّذي حاول من خلالها رسم حدود التّداوليّة، "إذ ذكر أن التداولية تُعنى بدراسة المعنى كما يعبر عنه المتكلم (أو الكاتب) ويؤوله المستمع (أو القارئ)، وبالتبعية فإنها تهتم أكثر بتحليل ما يرمي إليه المتخاطبون من ملفوظاتهم، أكثر مما تُعنى بما يُحتمل أن تعبر عنه الكلمات أو الجمل نفسها. وعليه فإن التداولية دراسة لمقاصد المتكلم."[1].

تحاول التّداوليّة حسب **جورج يول** الوصول إلى المعنى أو المقصود الّذي يريد المتكلّم إيصاله إلى المستمع، فهي تحاول التّركيز على قصد المتكلم أكثر من ملفوظاته أي قصد المتكلّم، فهي دراسة لمقاصد المتكلم، وهنا يتّضح التّقاطع بين علمي التّداوليّة والبلاغة، والبلاغة أيضا تختص باللّغة والكلام اللّذان يعتبران أساس التّواصل والتّفاعل بين الأشخاص، وفي هذا يقول عبد الهادي بن ظافر الشّهري: "وللّغة وظائف كثيرة وقد تعدّدت ...بتعدّد زوايا النّظر ورغم أهميّة كلّ وظيفة، إلّا أنّ اللّغة من المنظور التّداولي وظيفتين رئيسيتين ترتبطان بمقاصد الإنسان الذي يستعملها وبوضعه الاجتماعي وأهدافه، فالنّاس عندما يتحدّثون لا يفعلون ذلك لمجرّد تحريك أعضاء النّطق، ولكن ليؤدّوا من خلال كلامهم هاتين الوظيفتين وهما الوظيفة التّعاملية، والوظيفة التّفاعلية"[2].

إذن على أساس هاتين الوظيفتين –التّعامليّة والتّفاعليّة–، تبنى أغلب قواعد البحث اللّغوي، فالبلاغة ترمي إلى إقناع وإمتاع المتلقي، فبالتّالي تحقّق الوظيفة التّعامليّة والتّفاعليّة بشكل نسبي يختلف من متلقي إلى آخر، والبحث التّداولي هو الآخر يحاول الوصول إلى الخاصيتين كذلك، فهما اللّتان تحققان التّواصل بين النّاس لإدراك مقاصدهم وتحقيق غاياتهم المرجوة والمتعلقة بحياتهم الاجتماعية، فيحتاجون إلى استخدام اللّغة داخل السّياق المناسب وفق آليات تمكّنهم من تحصيل عملية التّواصل.

---

[1] جواد ختام، التّداولية أصولها واتجاهاتها، مرجع سابق، ص17.

[2] عبد الهادي بن ظافر الشّهري، إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغويّة تداوليّة، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، ط1، 2003م، ص4.

كما يعرفها **جميل حمداوي** بقوله أنّ "المقاربة التداولية تدرس النص أو الخطاب الأدبي في علاقته بالسياق التواصلي، والتركيز على أفعال الكلام، واستكشاف العلامات المنطقية الحجاجية، والاهتمام بالسياق التواصلي واللفظي. وبتعبير آخر، تركز المقاربة التداولية على عنصر المقصدية والوظيفة في النصوص والخطابات."[1].

إذن التّداولية تتعلق بالوسط الاتصالي فهي تدرس النّص أو الخطاب داخل الحيز الاتصالي، فهي تركز على المقصديّة أي الغرض من النّص أو الخطاب، من خلال استنطاق النّص باستخدام آليات مختلفة وبالتّالي يحتلّ المتلقي قطباً هاماً في الدّرس التّداولي، فالخطاب أُنتج أصلا للتّأثير فيه، فلا يوجد خطاب بريء على كل حال، فالقصد وإن كان مضمراً فهو غاية مُنشئ الخطاب، ولا يتجسّد هذا الغرض إلا من خلال المتلقي بغض النّظر عن رد الفعل إن كان فعلياً أو سلوكياً أو تعاطفياً.

بينما يعرفها **حفناوي رشد بعلي** بقوله: "إن التّداوليّة تهتم باللغة عند استعمالها، تعنى إذن التداولية بدراسة الاستعمال اللغوي، وأنه غير حيادي نلتمس آثاره ليس على مسار التبليغ فحسب، بل على النظام اللغوي نفسه."[2].

يتشارك **حفناوي رشيد بعلي** مع **آن ربول وجاك موشلار** في مفهوم التّداوليّة، ويرى حفناوي أنّها تعنى بدراسة اللّغة أثناء الاستعمال، وقد تتعدد وظائفها من التّبليغ والتّواصل إلى النّظام اللّغوي نفسه، فآثار التّداوليّة مرتبطة بالتّبليغ الّذي يعدّ من بين أساسيّات العمليّة الكلاميّة ككلّ.

تناولنا مفهوم التّداوليّة ولاحظنا أنّها تتقاطع مع العلوم الأخرى فاشتغالها على الخطاب أي اللّغة والكلام، ولكن تناول الباحثون العرب للتّداوليّة أجبرهم على استخدام الشّواهد والأمثلة لتذليل العقبات

[1] جميل حمداوي، التّداوليات وتحليل الخطاب، مكتبة المثقف، ط1، 2015م، ص4.

[2] حفناوي رشيد بعلي، مسارات النّقد ومدارات ما بعد الحداثة في ترويض النّص و تفويض الخطاب، دروب للنّشر والتّوزيع، عمان، ط1، 2011م، ص72.

والتّقعيد للنّظريات، أو استخدامها كنماذج تطبيقيّة، ويعتبر التّراث من بين الحقول المناسبة للبحث في المجال التّداولي، فنجد دراسات تداوليّة اتجهت للبحث في القرآن الكريم والحديث النّبوي الشّريف الّذي يعتبر المصدر الثّاني للّغة العربيّة، وخطب الصّحابة رضوان الله عليهم، ولكن هذا لم يمنع الباحثين من التّوجه للنّص الشّعري في الدّرس التّداولي الّذي يمتاز بخاصية هلاميّة تتناسب مع مختلف النّظريات الحديثة، وسنتطرق لبعض الشّواهد الّتي جاءت في كتب التّداوليّة، وقد قسمنا الشّواهد إلى:

أ- الشواهد النّثريّة للتّداوليّة:

لا يمكن أبدًا الاستغناء عن الشّواهد التّراثية وحتّى نحن بصدد الحديث عن مباحث جديدة أو التّأسيس لنظريات مختلفة، وهذا ما نلحظه من خلال تتبع بعض الكتب المعاصرة الّتي تناولت التّداوليّة، فنجد هناك من انفرد بالبحث التّداولي في التّراث العربي، فقام بإحياء قراءة التّراث وفق المقاربات التّداوليّة المعاصرة، وبالطّبع لا تخلو هذه الدّراسة من الشّواهد التّراثية فنجد في كتاب "التّداوليّة عند العرب" الشّاهد التّالي:

- "وقد أورد مُحَمَّد بن علي الجرجاني رواية عن أحد الأعراب مضمونها أنه لما بُشّر بمولودة وقيل له: نِعْمت المولودة، قال: والله ما هي بنعم المولودة"[1].

نجد أنّ الكاتب استعان بهذا الشّاهد مع ذكر قائله في حديثه عن معايير تمييز العلماء بين الخبر الإنشاء، وجاء هذا الشّاهد عند إيراده المعيار الأوّل ((قبول الصّدق والكذب))، وقد اقتصرنا في حديثنا على هذا الشّاهد، والكتاب يزخر بالأمثلة والشّواهد التّراثية الّتي لا غنى عنها، فهي الحجة الذائدة والبرهان القاطع لما تحمله من حمولة إبلاغيّة وطاقة تداوليّة.

---

[1] مسعود صحراوي، التّداوليّة عند العلماء العرب، دراسة تداوليّة لظاهرة الأفعال الكلاميّة في التّراث اللّساني العربي، دار الطّليعة للطّباعة والنّشر، بيروت، ط1، 2005م، ص59.

ب- الشواهد الشّعريّة التّراثية للتّداوليّة:

إنّ الاستشهاد بالشّواهد الشّعرية في الدّراسات التّداوليّة قليل، ولكن لا يمكن الاستغناء عنها بأي حال من الأحوال، وعند تتبعنا لكتاب جواد ختام لاحظنا وجود شاهدين شعريين استعان بهما الباحث، والشّاهد الشّعري الأوّل هو قول الحطيئة:

"دع المــكارم لا ترحـل لبغيتها واقعد فإنك الطاعم الكاسي"[1].

فقد جاء هذا الشّاهد عند الحديث عن الرّوابط الحجاجيّة عند ديكرو، وحاول تبيان قضيّة التّعالق المكونين اللّساني والتّداولي من خلال هذا الشّاهد الشّعري التّراثي، وهذا ما يبيّن أهميّة الشّواهد التّراثيّة في حقل الدّراسات المعاصرة.

أمّا الشّاهد الثّاني فقد جاء عند الحديث عن خصائص المواضع الحجاجيّة الّتي وضعها **أنسكومبر** وفي تبيان الحالة الأولى الّتي تعود إلى معتقدات شائعة في العشيرة الاجتماعيّة، استعان بقول المتنبي:

"ما كل ما يتمنى المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن"[2].

نلاحظ أنّ الكاتب لم يستعن كثيرًا بالشّواهد الشّعريّة، ولكنّه عند استدعائه للشاهد انتقى أفضل وأبلغ الشّواهد الشّعريّة المعروفة والمتداولة في التّراث الأدبي العربي لما لهما من طاقة إبلاغيّة وإمتاعيّة، ولطالما تمتع البلاغيّون بهذين الشّاهدين، وأفادوا بهما الدّرس البلاغي قديمًا وحديثًا، وها هي التّداوليّة هي الأخرى تستعين بهما وتنزاح بصورة شبه مطلقة للبلاغة، وتحاول الاستحواذ على أحد ممتلكاتها ولا نقصد الشّاهدين بقدر ما نقصد حقل الاشتغال.

---

[1] جواد ختام، التّداولية أصولها واتّجاهاتها، مرجع سابق، ص133.

[2] المرجع نفسه، ص160.

ج- الشّواهد التّداوليّة المترجمة:

يظهر أنّ الشّواهد المترجمة ميزة البحوث المعاصرة، فقد تطرقنا إلى الشّواهد المترجمة للشّعرية، وها نحن نتطرّق إلى هذا الشّاهد المترجم الّذي جاء في كتاب التّداولية عند العرب:

- " مثال آخر (مترجم عن الألمانية): في مقام تواصلي معين، يقول الشريك (أ) في الحوار للشريك (ب):

(٣) – كيف حال زوجتك وأولادك؟

ف "الافتراض المسبق" للمفلوظ (٣) هو أن الشريك (ب) "متزوج وله أولاد"، وأن الشريكين (أ) و(ب) تربطهما علاقة ما تسمح بطرح هذا السؤال.

يجيب الشريك (ب) بالملفوظ (٤):

(٤) – إنها بخير، والأولاد في عطلة، شكراً.

ولكن إذا كانت الخلفية التواصلية

غير مشتركة بين الشريكين، فإن الشريك (ب) يرفض السؤال أو يتجاهله، فيجيب بأحد الملفوظات الآتية:

(٤أ)- لا أعرفك.

(٤ب)- لست متزوجاً.

(٤ ج)- لقد طلّقت زوجتي."[1].

نلاحظ أنّ التّأثير الواقع بين الشّعوب مسألة فطريّة لطالما كانت لصيقة بالإنسان، ويتعدّى ذلك إلى العلوم باختلاف تخصصاتها، وهذا ما يظهر في الأدب وهذا المثال المترجم عن اللّغة الألمانية خير دليل على ذلك، فالعلماء المعاصرين تأثّروا بالدّراسات الغربيّة وامتدّ هذا التّأثير إلى ترجمة الشّواهد والأمثلة حتّى يصل الشّرح للقارئ العربي مع الحفاظ على حقيقة الشّاهد وإيصال الفكرة إليه من مصدرها الأصلي، وهكذا تفتح الدّراسات التّداوليّة المعاصرة الباب أمام الاستعانة بالشّواهد الغربيّة، وهذه ميزة الدّراسات الأدبيّة الحديثة وهذا أمر لا مفرّ منه نظرا لمبدأ التّأثر والتّأثير الحاصل بين الشّعوب باختلاف أجناسها وثقافتها.

2-2-3 الحجاج:

رغم أنّ البلاغة نمت وازدهرت نتيجة لخدمة القرآن الكريم، لكن ذلك لم يمنع من وصفها من قبل البعض ببلاغة الشّعر، فرغم أنّ القدامى أشاروا إلى قطبي التّخييل والإقناع اللّذين يعتبران قوام الشّعر والخطابة، إلّا أنّ الدّراسات كانت موجهة إلى الشّعر بدرجة أكبر، ولكن هذا لم يمنع من تفطن الباحثين القدامى إلى قضية الإقناع في حديثهم عن الحجاج الّذي يزدهر حسبهم في الجدال والخصومة، والرجوع إلى المعاجم العربيّة يحيلنا على هذا الأمر، فنجدهم قد تناولوا الحجاج وأشاروا إليه.

بينما يعود ظهور مصطلح الحجاج (l'argumentation) في الدّراسات المعاصرة إلى العالمين **بيرلمان (Perélman) وتيتيكاه (Tyteca)** من خلال مصنّفهما مُصَنَف في الحجاج والخطابة الجديدة (Traité de l'argumentation et la nouvelle rhétorique)، ونظرا

[1] مسعود صحراوي، التّداوليّة عند العلماء العرب، دراسة تداوليّة لظاهرة الأفعال الكلاميّة في التّراث اللّساني العربي، مرجع سابق، ص31.

لذيوع قضية الحجاج في البلاغة الغربيّة لم يكن ليمرّ هذا الأمر على العلماء العرب الّذين نهضوا وبحثوا في قضيّة الحجاج، وتعتبر المدرسة المغاربيّة من أشهر المدارس الّتي عالجت الدّرس الحجاجي المعاصر، ولنا في مؤلفات الباحثين المغاربيين ما يُشفي الغليل، فقد عاجت السّاحة الأدبية بالمصنفات الحجاجيّة من مؤلفات مُحمّد العمري، عبد الله صولة، مُحمّد مشبال وغيرهم من الباحثين العرب، الّذين وجدوا في الدّرس الحجاجي الحقل المناسب للبحث والإبداع.

كما نجد الباحثين –برلمان وتيتيكا– قد عَرَضَا إلى مفهوم الحجاج قائلين بشأنه: " موضوع نظرية الحجاج هو درس تقنيّات الخطاب الّتي من شأنها أن تؤدّي بالأذهان إلى التّسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في درجة ذلك التّسليم"[1].

يتّضح من خلال هذا التّعريف أنّ الهدف من الحجاج بنظرياته المختلفة هو إقناع المتلقي، وجعله يسلم بما يعرض عليه فيَنْجَر وراء كلام المُلقي، وهذا لا يتأتى إلّا من خلال الاستخدام الأمثل لتقنيات الخطاب، ومعرفة الآليات الحجاجيّة الّتي تؤثر في المتلقي، فالخطيب الحذق هو الّذي يتمكّن من بناء خطابه مُتكئاً على النّظرية الحجاجيّة.

ينطلق **أزوَالد ديكرو** (**Oswald Ducrot**) من الفكرة الشّائعة التي مفادها " أننا نتكلم عامة بقصد التّأثير"[2].

يؤكد ديكرو على أنّ أيّ كلام يحمل في طياته شحنة حجاجيّة تهدف غالباً إلى التّأثير في المتلقي فالعمليّة الكلاميّة لا تتّم إلاّ بقصد التّاثير في المستمع، فاللّغة مشحونة بشحنات حجاجيّة تختلف قوتها وقدرتها من كلام إلى كلام، فالكلام يختلف حسب منشئه ومستقبله.

---

[1] عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، مسكلياني للنّشر، تونس، ط1، 2011م، ص13.
[2] أبوبكر العزّاوي، اللّغة والحجاج، منتديات سور الأزبكية، ط1، 2006م، ص14.

نجد الكثير من الباحثين العرب أسهبوا في الحديث عن الحجاج محاولين إثبات علاقته بالبلاغة العربيّة، وبلورة مفهومه وفق الرّؤية المعاصرة، ويُعرّف **طه عبد الرّحمن** الحجاج باعتباره: "كلّ منطوقٍ به موجّه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحقُّ له الاعْتِرَاض عليها .."[1].

يشير **طه عبد الرحمن** إلى نقطة مهمّة وهي أن ليس كلّ خطاب موجّه يحظى بالقبول، ولكن للمُتلقي الحق في الاعتراض، فالحجاج حسبه هو كلّ منطوق أي خطاب صادر من مرسل إلى متلقي بغرض إفهامه حول دعوى مخصوصة أي قضيّة جدليّة، واستمالته وفق آليات محددة، ولكن للمتلقي الحق في الاعتراض والرفض.

إذن الملاحظ أنّ الجانب الإقناعي الّذي يعدّ من ركائز البلاغة، ومن أعمدتها الّتي تقوم عليها، ولا يشتدّ بنيانها إلّا بحضور هذا الجانب، فعرف اهتماماً كبيراً من قبل المعاصرين، ورغم أنّه موجود منذّ القدم إلّا أنّ الدّراسات الغربيّة كشفت الغطاء عنه، وأخرجته للعيان فأصبح حقلاً للبحث والدّراسة، وقد تعددّت الشّواهد المستخدمة، فنجد الدّراسات توالت في قضيّة الحجاج، والجدير بالذكر أنّ الدّراسات القرآنيّة كان لها النّصيب الوّافر في الدّرس الحجاجي المعاصر، يليه للحديث النّبوي الشّريف، وخطب الرسول صلى الله عليه سلم وعلى رأسها خطبة حجة الوداع، وخطب الصّحابة رضوان الله عليهم، وهذا أمر طبيعي لأنّ الحجاج ينمو ويزدهر في النّثر، فيجد فيه الأرضية الخصبة، ليأتي الشّعر العربي ويتناوله الدّارسون رغم ما أُثير من اختلاف عليه بين الدّارسين من مُنكر لوجود الحجاج في الشّعر ومؤيّد لوجوده وموقف وسطي بين هذا وذاك، إلاّ أنّ الدّراسات موجودة وعلى رأسها كتاب **سامية الدّريدي** (الحجاج في الشّعر العربي) الّتي حاولت أن تُطَبِق النّظريات الحجاجيّة على مختلف القصائد الشّعرية، وكتابها زاخر بالشّواهد الشّعرية، ويمكن أن نذكر الشّواهد الّتي أثرت الحقل الحجاجي باختلاف أجناسها:

[1] طه عبد الرّحمن، اللّسان والميزان أو التّكوثر العقلي، المركز الثّقافي العربي، الدّار البيضاء، المغرب، ط1، 1998م، ص226.

أ- الشّواهد القرآنيّة للحجاج:

يعتبر القرآن أوّل مصدر للغة العربيّة، وتمثل شواهده أرقى وأشرف الشّواهد، وقد بحث البلاغيون العرب في قضيّة الحجاج في القرآن الكريم، فهناك من الباحثين من خصّص مؤلف في قضيّة الحجاج في القرآن الكريم، ومن هؤلاء الباحثين نجد عبد الله صولة صاحب مؤلف (الحجاج في القرآن الكريم) فالكتاب يزخر بآيات قرآنية استشهادًا وتمثيلاً وتنظيرًا، ويمكن أن نورد الشّاهد التّالي:

"غير أنّ العدول عن لفظ النبي يكون كما قال الزركشي وقد أحلنا على ذلك. في المقامات الخاصة مثل مقام الحديث عن زوجاته نحو: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأحزاب: 30]. ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٣٢﴾ ﴾ [الأحزاب: 32].

ويبقى لكلمة النّبي –رغم ذلك- بعدها الحجاجي."[1].

استعان عبد الله صولة في حديثه عن قضيّة العدول عن الاسم إلى الصّفة بشواهد قرآنيّة ممثلة في آيتين، وبيّن كيفيّة العدول عن اسم العلم مُحَمَّد ﷺ إلى كلمة النّبي، فأورد شواهد قرآنيّة تدّل على ذلك، فالكتاب يعتبر من المراجع الأساسيّة للحجاج، والكاتب استعان بالقرآن الكريم في تبيان الحجاج وخصائصه، وهناك الكثير من البحوث الّتي عالجت قضيّة الحجاج في القرآن الكريم، وارتأينا أن نقتصر الحديث عن كتاب عبد الله صولة لأهميته في السّاحة الأدبيّة المعاصرة.

[1] عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبيّة، دار الفارابي، لبنان، ط2، 2007م، ص182.

تعتبر الشّواهد القرآنيّة من أهم الشّواهد في الدّراسات البلاغيّة التّراثيّة والمعاصرة، فلا يمكن الاستغناء عنها، فهي ترتقي عن الشّواهد الأخرى لما تحمله من طاقات حجاجيّة وإعجازيّة لا يتسنّى إلّا للقليل إدراكها.

ب- الشّواهد النّثريّة للحجاج:

سلط الحجاج الضوء على الخطابات بأنواعها، فلم تعدّ الدّراسات البلاغيّة ذات بعد واحد والمتمثّل أساسًا في الشّعر بل أصبح النّثر سيد هذه الدّراسات، ما جعل البحث الحجاجي يبحث في مختلف الخطب والرّسائل والسّرديات أي أصبح موجوداً في مختلف الأجناس الأدبيّة، وقد تفطن الباحثون العرب إلى الخطب التّراثيّة واستعانوا بها في دراساتهم الحجاجيّة تمثيلاً واستشهادًا وتطبيقًا، وهذا ما فعلته **هناء حلاسة** عندما حاولت تتبع الحجاج في خطب الصّحابة رضوان الله عليهم، فقد استندت في حديثها عن الاستدلال المباشر على حديث أبي بكر الصديق ﵁ إذ تقول: "قول أبي بكر الصديق ﵁ من النوذج الخطابي الأول: إياكم والفخر، وما فخر من خلق من تراب وإلى التراب يعود، هو اليوم حي وغدا ميت"[1].

تزخر الخطب التّراثيّة بالكثير من العلاقات المنطقيّة والشّبه منطقية وكذا الكثير من الاستدلالات، ما يجعلها تُثري الدّرس الحجاجي المعاصر، فاحتلت الشّواهد النّثريّة الحيز الأكبر في استدلالات الباحثين العرب في هذا الدّرس لما تمتلكه من طاقات حجاجيّة، وتورد **هناء حلاسة** شاهدًا نثريًا آخر ممثلا في "قول "عمر بن الخطاب" – ﵁ – من النموذج الخطابي الأول: "يا أيها الناس، إنه أتى على حين وأنا

[1] هناء حلاسة، بلاغة الحجة في خطاب الخلفاء الرّاشدين دراسة وصفيّة لنماذج خطابيّة، مركز الكتاب الأكاديمي، الأردن، ط1، 2016م، ص64.

أحسب أنه من قرأ القرآن إنه إنما يريد به الله وما عنده، ألا وقد خيل إليّ أن أقواما يقرؤون القرآن يريدون به ما عند النّاس"[1].

جاء هذا الشّاهد في حديثها عن قضيّة التّناقض، فالباحثة ذهبت في البداية لتوضيح التّناقض وما يتطلّبه من وجود قضيتين مختلفتين إيجابًا وسلبا، ثم استدلت بقول عمر بن الخطاب ﵁، عندما قابل بين فئتين فئة تريد بالقرآن وجه الله وأخرى تريد به ما عند النّاس، وهكذا استعانت بشاهد نثري ممثل في نموذج خطابي لما يحويه من طاقة حجاجيّة وإبلاغيّة.

ج- الشّواهد الشّعرية للحجاج:

أُثيرت قضيّة وجود الحجاج من عدمه في الشّعر، وهي قضيّة جدليّة، فظهر نفر من العلماء يقرّون بوجوده وطائفة أخرى تُنكر ذلك، وظهرت المؤلفات في هذا الشّأن سواء عند الغرب أو العرب، ومن بين الكتب كتاب (في حجاج النّص الشّعي) لصاحبه **مُحَمَّد عبد الباسط عيد** الّذي استعان بشواهد شعريّة، وهذا في حديثه عن خصائص النّص الشّعري يورد قول "عمرو بن كلثوم في معلقته:

أبا هندٍ فَلَا تَعَجَل عَلَينـــا   وَأنظِرنــا نُخَبّـِرْكَ اليَقينـــا

نَزَلتُم مَنزِلَ الأضيافِ مِنّـا   فَأعجَلنا القِرى أن تَشتُمونا

وَرِثنا المجدَ قَد عَلِمَت مَعَدّ   نُطـاعِنُ دونَه حَتّى يَبينـــا"[2].

[1] هناء حلاسة، بلاغة الحجة في خطاب الخلفاء الرّاشدين دراسة وصفيّة لنمادج خطابيّة ، مرجع سابق، ص71.

[2] مُحَمَّد عبد الباسط عيد، في حجاج النّص الشّعري، دار أفريقيا الشّرق، المغرب، (د ط)، 2013م، ص44.

إنّ مُحَمَّد عبد الباسط استعان بشواهد شعريّة في حديثه عن الحجاج، وجعلها مجال تطبيقه، فلم يكتف بقول عمرو بن كلثوم، بل استعان بقصيدة **حميد بن هلال الثوري** في تطبيقه، وقد حاول تطبيق التّحليل الحجاجي على القصيدة، وتبيان ما تزخر به من طاقة حجاجيّة، مبينّا أهم العوالق والرّوابط الحجاجيّة الّتي حوتها القصيدة.

كما نجد **سامية الدّريدي** قد خصّصت كتابًا لقضيّة الحجاج في الشّعر العربي، فقد اعتمدت على الشّواهد الشّعرية التّراثيّة في تبيانها للعلاقات الحجاجيّة وقواعدها، ويمكن أن نذكر الشّاهد التّالي، إذ تقول: "ويحتجّ عنترة بن شداد في قوله من الوافر:

يُنَادونِي وَخَيْلُ المَـوْتِ تجْرِي مَحَلُّـــكَ لاَ يُعَادِلُـهُ مَحَـــلُّ

وَقَـدْ أَمْسَــوا يَعِيبُونِي بأُمِّــي وَلَوْنِي كُلَّمَا عَقَـدُوا وَحَلُّـوا"[1].

استدعت الكاتبة هذا الشّاهد في حديثها عن قضيّة التّناقض وعدم الاتّفاق الّتي تدخل ضمن الحجج شبه المنطقيّة الّتي تعتمد البنى المنطقيّة، فقول عنترة يحوي مبدأ التّناقض وعدم الاتّفاق في تصويره لأنانيّة قومه، فتارة يحتفون به وذلك عند اشتداد الأمر عليهم في الحرب، وتارة أخرى يعايرونه بأمّه وسواده إذا ما كانوا في أمان وسلام، والحقيقة أنّ هذا الكتاب زاخر بالشّواهد الشّعرية التّراثيّة لأنّه يعالج قضية الحجاج في الشّعر العربي.

تتّسع البحوث المعاصرة لمختلف الشّواهد باختلاف أجناسها، وإن كانت من حين لآخر تتفاوت وتنحاز لشواهد على حساب أخرى، وهذا ما نجده في الشّعرية والحجاج ...، وما يُحسب للباحثين المعاصرين أنّهم لم يُهملوا الشّاهد التّراثي في التّأصيل والتّطبيق لهاته المباحث المعاصرة، ولم يغلقوا الباب في وجه الجديد بل سعوا للجمع بينهما، فانفتحت البحوث على الأبحاث المعاصرة، وخرجت البلاغة من

[1] سامية الدّريدي، الحجاج في الشّعر العربي بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط2، 2011م، ص193.

حالة السُبات الّتي عرفتها والجمود الّذي اتُهمت به، وتم الرّجوع إليها والاستعانة بشواهدها، والنّهل من حقولها، واتسعت حدود إمبراطوريتها لتشمل حقول أدبيّة معاصرة.

2-2-4 الأسلوبيّة:

إنّ الأسلوبيّة معروفة عند العرب منذ القدم، "ولقد ظهرت كلمة الأسلوب في تراثنا القديم على نحوٍ ربطت فيه بين مدلول اللفظة وطرق العرب في أداء المعنى، أو بينه وبين النوع الأدبيّ وطرق صياغته"[1]؛ أي ربط العرب بين الأسلوب والطريقة المعتمدة لإيصال المعنى، كما ربطوا بينه وبين النّوع الأدبي وكيفية صياغته، ولكن كنظرية ظهرت مع الغرب خلال القرن التّاسع عشر مرتبطة بأبحاث علم اللّغة، وما أتى به **دي سوسير** غيّر مجرى البحث اللّغوي، وتم اعتماد المنهج العلمي في دراسة اللّغة، وقد "تزامنت نشأة علم الأسلوب مع تجديد دراسة اللغة، وظهور علم اللغة الحديث (اللسانيات) على يد دي سوسير، الذي يُشار دائمًا إلى أفكاره الرائدة في هذا المجال"[2].

إنّ ما جاء به **دي سوسير** في علم اللّغة الحديث ممثلا في اللّسانيات، عجّل بظهور علوم أخرى منها الأسلوبيّة، والّتي وإن عُرفت من قبل إلاّ أنّها لم تكن بهذه الحُلّة الجديدة المبنيّة وفق نظريات محددة، ممّا فتح المجال للبحث الأسلوبي، وقد تلقى العرب المحدثون هذا البحث الأسلوبي، فحاولوا تطبيق تلك النّظريات الرّافدة من الغرب على النّصوص الأدبيّة وبخاصّة النّصوص الشّعرية، لما يحمله الشّعر من طاقة إبلاغيّة ضف إلى ذلك الطاقة الشّعورية والوجدانيّة الّتي تميّز الشّعر عن غيره من النّصوص.

يجب أن نشير إلى أنّ **شارل بالي** يعتبر من مؤسسي علم الأسلوب، وفي هذا يقول **مُحَّد الكواز**: "يعدّ تشارل بالي من المؤسسين لنظرية علم الأسلوب، فرأى أن اللغة مجموعة من وسائل التعبير التي تتناوب مع

[1] مُحَّد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط1، 1994م، ص172.

[2] مُحَّد الكواز، علم الأسلوب مفاهيم وتطبيقات، منشورات جامعة السّابع من أبريل، (د ت)، (د ط)، ص12.

الفكرة، أي الدلالات المضافة مع الفكرة، وإن علم الأسلوب يُعنى بدراسة الوسائل التي يستخدمها المتكلم للتعبير عن أفكار معينة."[1].

رأى **شار بالي** أنّ علم الأسلوب هو تلك الوسائل الّتي يستخدمها منشئ الخطاب للتّعبير فيها عن أفكاره أو مشاعره، ومجموع هذه الوسائل التّعبيريّة تتناوب مع فكرة لتشكل اللّغة، وبذلك أعطى مفهوما محددًا للأسلوبيّة ، وحصرها في الوسائل المستخدمة من قبل المتكلّم لإيصال فكرته للغير.

يجب أن نشير في هذا الصّدد إلى **أحمد الشايب** الّذي قدّم عدّة تعريفات للأسلوب، نذكر منها:

"فهو طريقة الكتابة، أو طريقة الإنشاء، أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير، أو الضرب من النظم والطريقة فيه."[2].

فالأسلوب هو طريقة إنشاء الكلام، أو طريقة انتقاء الألفاظ للوصول إلى القصد، وإنشاء الكلام يكون بغية التّأثير على المتلقي أو حمله على الإذعان، وقد استعان أحمد الشايب بشواهد بلاغيّة متعددة، ولم يقتصر استشهاده على الشّواهد الشّعرية فقط بل كان للنّثر حظّه من الاستشهاد، ويمكن أن نصنّف الشّواهد الّتي وردت في رحاب الأسلوبيّة إلى:

أ- الشّواهد القرآنية:

يعتبر القرآن الكريم أعلى المصادر مرتبة وأعلاهم منزلة، ولهذا فحضوره ضروري في الدّراسات التّراثية أو المعاصرة، ولا نكاد نقف عند مسألة بلاغية إلّا ونجد الشّواهد القرآنيّة حاضرة، ورغم قلّتها في الدّراسات الأسلوبيّة إلاّ أنّ هذا لا يفيضُ من قيمتها في شيء، ويمكن التّمثيل لذلك بما جاء على لسان مُحمَّد الكواز عند حديثه عن طبيعة الأسلوب، إذ يقول: "ومن أمثلة الاختيار الأسلوبي الّذي تتحكم فيه

[1] مُحمَّد الكواز، علم الأسلوب مفاهيم وتطبيقات، مرجع سابق، ص66.

[2] أحمد الشّايب، الأسلوب دراسة بلاغيّة تحليليّة لأصول الأساليب الأدبيّة، مكتبة النّهضة المصريّة، ط8، 1991م، ص44.

مقتضيات التعبير الخالصة، التقديم والتأخير في قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ [البقرة:124]، وقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة:5]. والعدول عن ضمير إلى ضمير آخر، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾ [الحجرات:9] "[1].

يقصد بالاختيار الأسلوبي اختيار أفضل السّبل الكلاميّة للتعبير عن موضوع ما، وقد مثّل بالآيات القرآنية حتّى يوضّح المقصود بالاختيار الأسلوبي، والواقع أنّ الشّواهد القرآنية الواردة في هذا الكتاب قليلة مقارنة بالشّواهد الأخرى، فالكاتب عقد فصلاً لدراسة الأسلوب في الشّعر ووقع اختياره على قصيدة خواطر الغروب لإبراهيم ناجي، والرّواية ممثلة في رواية الحيوانات للصادق النيهوم، ومسرحية شهرزاد لتوفيق الحكيم، فالكاتب اختار أجناس أدبيّة مختلفة، وقام بدراسة أسلوبيّة لها.

ب- الشّواهد الشّعرية:

إنّ الشّواهد الشّعرية حاضرة في القضايا الأسلوبيّة سواء للتّيسير أو كنماذج للتّطبيق، وتتّضح قيمة الشّواهد الشّعرية سواء تراثيّة أو معاصرة من خلال الدّراسات الحديثة التي لا تتحرج في جعل الشّعر موضوعاً لها رغم ظهور أجناس أدبيّة حديثة، إلاّ أنّها لم تزحزح الشّعر من مكانه، فلا زال يمثل وعي المتكلم العربي، فالشّعر متنفس الأديب العربي، والمعبّر عن أحاسيسه وأفكاره، والدّرس الأسلوبي العربي عُنّي كثيرا بالشّعر، ويتجلّى ذلك في العديد من المصنّفات الأسلوبيّة، ومن بينها كتاب علم الأسلوب

[1] مُحَّد الكواز، علم الأسلوب مفاهيم وتطبيقات، مرجع سابق، ص58.

لأحمد الشايب، فعند حديثه عن عناصر الأسلوب نراه يستدعي شواهد شعريّة، فقد أورد قول شاعر النيل **حافظ إبراهيم**:

"لاح منها حاجبٌ للناظرين فَنَسُوا بالليل وضّاح الجبين

ومحت آيتهـــا آيتَـــــه وتبـــــدَّت فتنة للعالمين

هي أم النار والنـــــور معا هي أُمُّ الريح والماء المعين

هي طَلَعُ الروض نوراً وجنى هي نشر الورد طيب الياسمين

هي مـــوت وحياة للورى وضلالٌ وهدى للغابرين"[1].

يمكن القول أنّ أحمد الشايب في حديثه عن عناصر الأسلوب استدعى شواهد شعرية معاصرة قصد التّوضيح، والشّواهد الشّعرية مهمّة في التّقعيد اللّغوي سواء كانت تراثية أو معاصرة، والحقيقة أنّ الشّواهد الشّعرية التّراثيّة بقيت محافظة على قداستها لما تحمله من طاقة إبلاغيّة، وعند حديثه عن أسلوب الشّعر استعان بشواهد شعريّة تراثيّة، وفي هذا يقول:

"وقد لاحظ ابن الآثير أن من الألفاظ ما يحسن استعماله في الشعر دون النثر ومما مثل به لذلك كلمة مشمخر الواردة في قصيدة للبحتري يصف إيوان كسرى:

مَشْمَخِرٌّ تَعـــــــــلو لَهُ شُرُفاتٌ رُفعت في رُءوس رَضوَى وقُدْسِ"[2].

تعدّ قضيّة تأثر اللّاحق بالسّابق قضيّة فطرية، فرغم أنّ الدّراسة الأسلوبية الحديثة تجديدية لكنّها لم تكن لتتخطى اجتهادات العلماء الأجلاء السّابقين وعلى رأسهم ابن الآثير الّذي أشار إلى قضيّة مهمّة تتعلق

[1] أحمد الشّايب، الأسلوب دراسة بلاغيّة تحليليّة لأصول الأساليب الأدبيّة، مرجع سابق، ص52.

[2] المرجع نفسه، ص68.

بالشّعر والنّثر ألّا وهي مناسبة بعض الألفاظ للشّعر دون النّثر، وأورد البيت الشّعري للبحتري، ونرى استعانة الشايب برأي ابن الآثير والتّمثيل بشاهد شعري تراثي سابق، لكن هذا لا ينقص من قيمة العمل الّذي قام به أحمد الشايب الّذي استخدم شواهد شعرية ونثرية تراثيّة ومعاصرة في حديثه عن علم الأسلوب.

ج- الشّواهد النّثرية:

لا جرم أن يبحث المعاصرون في أبحاثهم الأسلوبيّة عن النّصوص الّتي يمكن أن يطبّقوا عليها النّظريات الأسلوبيّة، ولا بد لهم من تذليل نظري للمفاهيم الأسلوبيّة، وهذا لا يتأتّى إلّا من خلال استدعاء الشّواهد باختلاف أجناسها، والأديب ابن بيئته ولا مناص له من التّأثر بالتّطور الأدبي الحاصل المتجسد في ظهور أجناس أدبيّة مختلفة على غرار الرّواية والمسرحيّة وشعر التّفعيلة، وهذا ما تطرقنا إليه في حديثنا عن مُحمَّد الكواز الّذي عقد فصلين لدراسة الأسلوب في الرّواية والمسرحيّة، ويعدّ هذا مواكبة للتّطورات الحاصلة في الحقل الأدبي المعاصر، وقد عرف النّثر هو الآخر تطوّرًا ملحوظًا، وعاد إلى السّاحة البلاغيّة العربيّة بعدما كان الشّعر باسطًا ذراعيه عليها، وقد استعان الباحثون العرب بالشّواهد النّثريّة في سياق جهودهم الأسلوبيّة، ويمكن أن نستشهد بشاهد نثري استعان به أحمد الشّايب وهو لأحمد شوقي في حديثه عن الأهرام وقد جاء في سياق الحديث عن الأسلوب العملي والأسلوب الأدبي، إذ يقول: ((ما أنت يا أهرام؟ أشواهق أجرام أم شواهد إجرام، وأوضاع معالم أم أشباح مظالم؟ وجلائل أبنية وآثار، أم دلائل أنانية واستئثار؟ وتمثال منصب من الجبرية أم مثال صاح من العبقرية؟ يا كليل البصر عن مواضع العبر، قليل من البصر بمواقع الآيات الكبرى: قف ناج الأحجار الدوارس، تعلم فإن الآثار مدارس، هذه الحجارة حجور لعب عليها الأول، وهذه الصفائح صفائح ممالك ودول، وذلك الركام من الرمال، غبار أحداج وأحمال، من كل ركب ألم ثم مال. وفي هذا الحرم درج عيسى صبياً، ووقعت بين يديه الكواكب

جثيا، وههنا جلال الخلق وثبوته، ونفاذ العقل وجبروته، ومطالع الفن وبيوته، ومن هنا نتعلم أن حسن الثناء، مرهون بإحسان البناء))[1].

يتّضح قوة البناء النّصي عند أحمد شوقي، فلا أحد ينكر مقدرة أمير الشّعراء في التّلاعب بالألفاظ والقدرة على استعمالها بما يجذب السّامع، ورغم أنّنا أمام نص نثري يصف الأهرام إلّا أنّه منسوج بطريقة جميلة، وهذا ما جذب أحمد الشّايب للتمثيل به في حديثه عن الأسلوب العلمي والأدبي، والواقع أنّ الأسلوبيّة استعانت بالشّواهد المعاصرة والتّراثيّة، "وبنظرة موضوعيّة يمكن القول بأن حركة النقد والبلاغة القديميّن وقفت على جوانب البحث الأسلوبيّ في غالب الأحيان، وتوغّلت فيه القليل منها؛ لأنها تبدأ غالبا من النّص وتنتهي به، كما فعلت الأسلوبية الحديثة"[2].

لا يُنكر أحد مساهمة النّقد والبلاغة القديمين في الأسلوبيّة الحديثة، وحتى من نادى بأنّ الأسلوبيّة هي وريثة البلاغة قد قدّم خدمة جليلة للبلاغة وأعاد جمع أطرافها المتناثرة، وساهم بشكل أو آخر في إحياء البحث البلاغي المعاصر.

---

[1] أحمد الشّايب، الأسلوب دراسة بلاغيّة تحليليّة لأصول الأساليب الأدبيّة، مرجع سابق، ص60.

[2] مُحَمَّد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، مرجع سابق، ص171.

المبحث الثّاني: دوافع الاحتجاج بالشّاهد البلاغي عند المعاصرين

تمهيد:

تتداخل عوامل كثيرة في استنجاد الباحث بالشّاهد البلاغي، وقد يستدعيه لعدّة دوافع منها التّأصيل البلاغي، أو للتّحديد المصطلحي الدّقيق، أو لتوضيح المفاهيم البلاغيّة المختلفة، فلا مناص إذن من إيراد الشّواهد المختلفة، وهذه سنّة اتّبعها القدامى وجرى عليها المعاصرون، فاختلفت الشّواهد باختلاف الأجناس الأدبيّة المعاصرة، فالشّاهد البلاغي مثله مثل الشّواهد الأدبيّة الأخرى فهو السّبيل لوضع القواعد والسّبيل لحفظ المفاهيم وتوضيحها، وقد يتقاطع الاتّباعيون والإبداعيون في العديد من العوامل نظرا لتشاركهم في مساحة عملٍ واحدة وحملهم لهمّ بلاغي مشترك، كما تتعدد دوافع الاحتجاج بالشّاهد البلاغي عند المعاصرين، والّتي يمكن أن نحصرها في الدوافع التّالية:

1- الدّافع الدّيني:

إنّ البعد الدّيني يشكّل محور الدّراسات البلاغيّة التّراثية والمعاصرة، فلولاه ما كان للدّراسات البلاغيّة وجودًا، والقرآن الكريم معجز ليس فقط ببلاغته بل لصلاحه لكلّ الأزمان ولكافة البشر، والبحث في القرآن الكريم لم يكن حكراً على قوم دون قوم وعلى زمنٍ دون زمن، بل جعله الله مقسومًا بين عباده، والواقع يبيّن أنّ العلماء باختلاف عصورهم يجتهدون في بيان إعجاز القرآن الكريم وحتّى المؤلفات المعاصرة تصبّ في هذا الباب، إلى أنّ التّطور الحاصل في هذا العصر نتيجة ظهور الأنترنت ومواقع التّواصل الاجتماعي وغيرها من وسائل الاتّصال الحديثة جعلت البلاغيين المعاصرين يستفيدون منها للرد على المشككين، والذود عن ديننا الحنيف بالحجّة القاطعة والبرهان الصّادق، فالباحثين من أمثال فاضل السمرائي اجتهدوا في بيان إعجاز القرآن الكريم، فقد جاء في مقدمة كتابه "لمسات بيانية في نصوص من التنزيل" بيان ذلك، إذ يقول: "وعلى هذا فالإعجاز القرآني متعدّدُ النواحي، متشعب الاتجاهات، ولا

يزال الناس يكتشفون من مظاهر إعجازه الشيء الكثير، فلا غرو أن أقول إذن: الإعجاز أكبر مما ينهضُ له واحد، أو جماعة في زمن ما." [1].

يؤكد السّمرائي على أنّ الإعجاز القرآني لا يحدّه زمان ولا يقدر على النّهوض به شخص واحد أيًّا كان، فهو متعدد النّواحي وبهذا يبدو جليًّا أنّ قضية إعجاز القرآن لازالت تشغل المعاصرين، وتجعلهم يأخذون غمار البحث، وهذا الأمر يعد واجبًا وشرفًا لصاحبه، فالمشركون لا زالوا يحاولون نشر الادّعاءات الكاذبة ومحاربة الدّين الإسلامي، وذلك عن طريق عدة طرق من بينها الجانب اللّغوي، ولكنّهم كل مرة يأتيهم الرّد من حيث لا يدرون، بل حتى من أبناء جلدتهم، فالله سبحانه وتعالى حافظ لكتابه على مرّ العصور المتعاقبة إلى أن يرث الله الأرض وما عليها، وقد أشار إلى قضيّة الالتفات في تفسيره، إذ يقول: "فإن قلت: كان القياس الكلام أن يقول: (إياه نعبد وإياه نستعين) فلم قال: (إياك نعبد ...) بالخطاب؟

والجواب: أنَّ هذا يسمى التفاتاً في علم البلاغة، والالتفاتُ قد يكون عدولاً من الخطاب إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى الخطاب، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمۡ فِى ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِى ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ ﴾ [يونس : 22]. فعدل من الخطاب إلى الغيبة.

وللالتفات فائدةٌ عامةٌ وفوائد يقتضيها المقام..."[2].

يستعين السّمرائي بالبلاغة في تفسير الآية، ويُذَكِّرُ المتسائل أنّ هذا معلوم لدى أهل البلاغة، ويصطلحون عليه باسم الالتفات، ويُشير إلى أنّ للالتفات فائدتين، يقدّم توضيحًا حولهما فما يقتضيه المقام غير ما تقتضيه الفائدة العامّة، وعند تتبعنا لما ورد في هذا الكتاب، نرى استعانته بعديد المصطلحات البلاغيّة كالاستعارة، فالبحث في إعجاز القرآن يحيله إلى هذا وهو أمر معلوم عند أهل الإعجاز.

---

[1] فاضل صالح السّمرائي، لمسات بيانيّة في نصوص من التّنزيل، دار عمار للنّشر والتّوزيع، الأردن، ط3، 2003م، ص8.

[2] المرجع نفسه، ص46، ص47.

أمّا من الشّواهد النّثرية، نرى استعانته بأحاديث نبويّة في حديثه عن لفظ الأمانة في قوله تعالى:

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ ﴿٧٢﴾﴾[الأحزاب: 72]، فعند وقوفه عند لفظة (الأمانة)، استدعى أحاديث نبويّة، وفي هذا الصّدد يقول:

" وفي الحديث (المؤذّن مؤتمن) ...وفي الحديث أيضًا: (المجالس بالأمانة) ... وفي الحديث: ((الإيمان أمانة ولا دِينَ لمن لا أمانةَ له)). وفي حديث آخر: ((لا إيمان لمن لا أمانة له)). وفي الحديث: ((أستودع الله دينَكَ وأمانتكَ))"[1].

يولي السّمرائي أهمية كبيرة للشّواهد الدّينيّة، فنراه في حديثه عن لفظة (الأمانة) استدعى خمس أحاديث نبويّة، فالحديث النّبوي يعتبر المصدر الثّاني من حيث التّرتيب بعد القرآن الكريم، فسلطته الإقناعيّة تَعتلي أعلى المراتب.

أمّا فيما يتعلّق بالشّواهد الشّعرية، فنلاحظ في كتابه هذا عدم اعتماده على الشّاهد الشّعري بكثرة، فقد استدعى اثنا عشر بيتًا فقط، ويمكن أن نتتبعها، فقد جاءت على النّحو الآتي:

"وقد تقول: ولِمَ قدّم الغضبَ على الضلال، فقال:﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة: 7] ولِمَ لَمْ يقدم الضالين على المغضوب عليهم؟

والجواب إن المقام يقتضي تقديم المغضوب عليهم من أوجه: منها: أن المغضوب عليه أشد ضلالاً وجرمًا وعقوبة لأنه علم وجحد، وليس من علم كمن لا يعلم، ولذا قيل في العقائد:

وعالـم بعلمـه لـم يَعْمَلَـنْ   معذّب من قَبْلِ عُبّاد الوثَنْ"[2].

---

[1] فاضل صالح السّمرائي، لمسات بيانيّة في نصوص من التّنزيل، مرجع سابق، ص147.

[2] المرجع نفسه، ص68، ص69.

يجيب السّمرائي عن المتسائل عن عدم تقديم الغضب على الضلال في سورة الفاتحة، ويبيّن أنّ المقام يتطلب ذلك، ومعلوم أنّ المقام قد حظي بعناية كبيرة من علماء البلاغة، فمراعاة المقام تتحكم في فن القول وهي من الدّعائم الأساسيّة لعلم البلاغة، فينبغي مراعاته وهو أمر ضروري في البلاغة، ويضيف أنّه لا يستوي الّذي يعلم والّذي لا يعلم، ويعزّز قوله بشاهد شعري قيل في العقائد.

يعود السّمرائي مرة أخرى ويستدعي شواهد شعريّة في حديثه عن التّكرار في سورة البلد، إذ يقول:

"وقد تقول: ولِمَ كرر (بهذا البلد) في الآيتين فقال: (وأنت حل بهذا البلد) ولم يقل: (وأنت حِلٌّ به)؟

والجواب: أن هذا أجمل تكرير وأحسنه ولا يقع الضمير موقعه في الحسن ...وذلك نحو قول الشاعر:

يا مُوقد النـار بالهنـديّ والغـارِ   هيّجت لي حَزَنًا يا مُوقد النارِ

فأنتَ ترى أن تكرار (يا موقد النار) من أجمل التكرار وأحسنه.

ومثل ذلك التكرارُ للتحسر نحو قوله:

فيـا قبـرَ معنٍ أنـت أول حفـرة   من الأرض خطّت للسماحة موضعًا

ويـا قبـرَ معنٍ كيف واريت جُودَهُ   وقد كان منه البـر والبحر متـــرعًا

ونحوه قول أبي العتاهية:

مــات والله سعيــد بــن وهــب   رحـــم الله سعيـــد بـــن وهـــب

يــا أبـا عثمـان أبكيـت عيني   يــا أبـا عثمـان أوجعـت قلبي

... جاء في (ملاك التأويل: ((للسائل أن يسأل عن تكرير لفظ (البلد) وجعله معطوفًا وفاصلة في الآيتين وكيف موقع ذلك في البلاغة، وعند الفصحاء.

والجواب: أنه قد تقدم أن العرب مهما اعتنت بشيء وتَهَمَّمت به كررته، وإن ذلك من فصيح كلامهم وأن منه قوله:

وإن صخــرًا لـوالينـا وسيدنـا　　وإن صخــرًا إذا نشتــو لنحـار

وإن صخـرًا لتأتـمّ الهُداةُ به　　كـأنه علَـم فـي رأسـه نــار "[1].

نلاحظ أنّ ما يعادل نصف الشّواهد الشّعرية استدعي في حديثه عن التّكرار، وهذا حتّى يوضّح للمتسائل عن تكرر لفظة (البلاد)، فيعود إلى كلام العرب وهذا بالرّجوع إلى تراثنا الشّعري الزّاخر بالتّكرار، فالعرب كلّما كررت شيئًا أبانت على أهميّته وعلى العناية به، وللتّكرار أيضًا لمسة بلاغيّة جماليّة وتتعدّد أغراضه على حسب مراد منشىء الكلام.

يعود السّمرائي لاستدعاء الشّواهد الشّعرية، ولكن في قضية دخول "لا" على الفعل الماضي، ويثبت ذلك بشاهدين شعريين، وفي هذا يقول:

"ومن النادر الذي دخلت فيه (لا) على الفعل الماضي المعنى ولم تكرر قول أبي خراش الهذلي:

إنْ تَغفــر اللهـمَّ تغفر جَمًّـــا　　وأيُّ عبـــدٍ لـك لا ألمّـــا.

...

وقول الشاعر:

[1] فاضل صالح السّمرائي، لمسات بيانيّة في نصوص من التّنزيل، مرجع سابق، ص248 –ص250.

وكان في جاراته لا عهد له وأيُّ أمـر سيّـئ لا فَعَلـه .

...

جاء في (المغني) : «ومثله في عدم وجوب التكرار بعدم قصد المضي، إلا أنه ليس دعاء قولك: (والله لا فعلت كذا) وقول الشاعر:

حَسْبُ المحبين في الدنيا عذابهم تالله لا عَذَّبتهم بعدها سَقَرُ»"[1].

...

ونحو قول الشاعر:

قالوا: تحبها؟ قلت: بهرًا.

أي: تحبها؟ وقول الكميت:

طربتُ وما شوقًا إلى البيض أطربُ ولا لعبًا مني وذو الشيب يلعبُ"[2]

يمكننا أن نلحظ أن السّمرائي اعتمد على الشّواهد الشّعريّة في قضيتين فقط، فالأولى في حديثه عن التّكرار والثّانيّة عن قضية دخول "لا" على الفعل الماضي، والواقع أنّ القضية الأخيرة متعلقة بأهل النّحو، ولكن ما يثيرنا هو القضيّة الأولى الّتي تحدّث فيها عن التّكرار وكان لها النّصيب الأكبر من الأبيات، فللتّكرار أهميّة حجاجيّة وإمتاعيّة وجماليّة متعلقة بالأسلوب، وكلّ هذه الجوانب تدخل حيّز البلاغة الّذي يحويها ويحوي جوانب أخرى.

---

[1]فاضل صالح السّمرائي، لمسات بيانيّة في نصوص من التّنزيل، مرجع سابق، ص267- ص268.

[2] المرجع نفسه، ص267- ص269.

يتميّز السّمرائي بقلّة استعانته بالشّواهد الشّعريّة، والواقع أنّ كتابه الآخر الموسوم بـ "بلاغة الكلمة في التّعبير القرآني" خير دليل على استنتاجنا، فالكتاب يخلو من الشّواهد الشّعرية والّتي كانت تعتبر ميزة الكتب البلاغيّة في الفترة السّابقة، فهو على عكس الكتب الّتي كانت تتناول الإعجاز القرآني ككتاب "دلائل الإعجاز" على سبيل الذّكر الّذي يحفل بالشّواهد الشّعريّة، فالسّمرائي يعتمد على الشّاهد القرآني بكثرة، ويليه الشّاهد النّبوي، كما يشير إلى أقوال المفسرين السّابقين وكذا أقوال أساطين البلاغة ليختم القول بتفسيره والتّعليق على تفاسير السّابقين، وردّه المفحم للمشككين في القرآن الكريم المنزّه من كل زيغ، فهو مصون من عند الله سبحانه وتعالى.

إنّ الحديث عن إعجاز القرآن مرتبط بعلم البلاغة، وقد اجتهد بعض المعاصرين في محاولة بعث الدّرس البلاغي من جديد، وبعضهم نادى بضرورة التّجديد البلاغي، والواقع أنّ الأمّة العربية تتميز بعلم البلاغة الّذي ظهر لفهم إعجاز القرآن الكريم، وقد جاء في كتاب "القول البلاغي في بديع القرآن" حديث عن قضيّة التّجديد البلاغي، إذ يقول محمود توفيق سعد: "في كل أمّةٍ ذاتِ حضَارةٍ ولسانٍ علمُ بلاغةِ ذلك اللسان، وليس في أيّ منها – خلا أمّة العرب المسلمة – علمُ بلاغة نشأ لفهم كتاب الله – سبحانه وبحمده – وجعل تذُّوق البيانِ الإبداعيّ فيها (شعرًا، ونثرًا) مِفتاحًا من مفاتح خزائن معانِي الهُدَى في ذلك الكتاب العليّ المُعجِز، منْ هنا قلتُ: إنّ هذا العلم فريدٌ لا نظيرَ له في أيّ أمةٍ أخرَى، وهذا يستوجبُ أن تكونَ جميع محاولات تجديده وتطويره وتثويره لا بدَّ أن تكون مِن داخله لا من خارجه."[1].

يحيلنا الكلام في إعجاز القرآن إلى علم البلاغة الّذي يعدّ مفتاحًا لفتح العقل البشري وجعله يرى بيان معاني الهدى، ووجب الإشارة إلى أنّ محاولات التّجديد والتّطوير في هذا العلم يجب أن تتم من داخله وليس من خارجه، فلا مناص من الاستعانة بالتّراث وعدم إهمال منجزات المعاصرين، فالبلاغة علم له

[1] محمود توفيق سعد، القول البلاغي في بديع القرآن مراجعات منهجيّة، مركز تفسير للدّراسات القرآنيّة، (د ط)، (د ت)، ص6.

أصوله وفروعه وهو خاضع للحياة البشريّة، فيزدهر بازدهارها ويتطوّر بتطوّرها، فاللّغة قائمة وحية بحياة الإنسان، تنمو وتتطور وتتجدد ولكن لا يمكن أن نقطع منابتها الأولى، فالأصل باق والفروع ظاهرة ومتجددّة، وهذا ما ينطبق على علوم اللّغة بما فيها البلاغة.

لم يقتصر استدعاء الشّاهد البلاغي على الرّد على المشكّكّين ولا على التّفاسير المختلفة وحسب، بل تعدّاه إلى استخدام النّظريات الحديثة، فكانت اجتهادات المعاصرين في البحث في القرآن الكريم جادّة من خلال توظيف النّظريات الجديدة بغيّة الوقوف على أوجه الإعجاز القرآني، فكان للحجاج والتّداوليّة النّصيب الأكبر من هذه الدّراسات الحديثة للقرآن الكريم، ولم يتوقف البحث عند هذا الحد بل انطلق الباحثون يهتمّون بالحديث النّبوي، وحتّى خطب الصّحابة رضوان الله عليهم حظيت بالاهتمام والدّراسة وكذا الخطب التّراثية، وهذا كلّه لإحياء الدّرس البلاغي ومحاولة تجديده، وللشّواهد النّصيب الأكبر في هذا الباب، فلا يمكن الكلام في إعجاز القرآن أو في الحجاج إلّا من خلال استدعاء الشّواهد باختلاف أجناسها.

والشّواهد القرآنية تتواجد في الكتب البلاغيّة المعاصرة بكثرة، والواقع أنّ نفس الشّواهد تتكرر فالبلاغي لا يكلّف نفسه عناء البحث عن شواهد أخرى لنفس القضيّة البلاغيّة، فنراه يكرّر نفس الشّاهد البلاغي ذاته، هذا التّكرار أثّر على البلاغة الّتي عرفت بالحيوية والإبداع والتّفحص الدّقيق للقرآن الكريم، فلا سبيل لفهم إعجاز القرآن الكريم إلّا من خلال علم البلاغة.

يجب التّنويه بفضل علمائنا الأجلاء من أمثال الدّكتور مبروك زيد الخير في بعث الدّرس البلاغي من جديد من خلال شرحهم للموطأ الإمام مالك، وكذا محاضراتهم المختلفة ممّا أعاد للبلاغة روحها المتجدّدة، وبعث فيها الحياة من جديد وأعادها إلى سكتها الصّحيحة، بالإضافة إلى مؤلفاته وكذا استغلاله لوسائل الاتّصال الحديثة، فهو نموذج للعالم والباحث العربي المواكب للتّطور الحاصل في مجالات الاتّصال.

2- الدّافع التّعليمي:

اجتهد علماؤنا الأجلاء في سنّ قوانين البلاغة، وتنظيمها حتّى تكون أولى بالتّعلُّم، وقد بان ذلك في مصنّفاتهم المختلفة، وهنا نذكر رائدًا من رواد البلاغة ألا وهو أبو هلال العسكري الّذي يقول في مقدمة كتابه الصّناعتين: "أنّ أحقَّ العلوم بالتعلُّم، وأوْلَاهَا بالتحفظ – بَعْدَ المعرفةِ بالله جلَّ ثناؤه – علمُ البلاغة، ومعرفة الفصاحة، الذي به يُعْرَفُ إعجازُ كتابِ الله"[1].

يشير العسكري إلى أنّ علم البلاغة من أولى العلوم وأهمّها على الإطلاق، فبها يدرك إعجاز القرآن وتُكسب المتعلّم فصاحةً، وهكذا عكف علماؤنا الأجلاء على تقنين المادة البلاغيّة، والعناية بمصطلحاتها، والتّفنن في إيراد الشّواهد المختلفة، ليؤسّسوا علم البلاغة الّذي لم يخرج عن النّمطيّة فيما بعد، لتستوي البلاغة مع السّكاكي، ورغم ما قيل عن الرّجل إلا أنّه لم يغلق باب الاجتهاد في هذا العلم، وقد توقف الشّراح كثيرا عند مفتاح العلوم، وفُتِنُوا بتقسيماته المنطقيّة، وراحوا يستدّلون به في التّقسيم الثّلاثي المقدّس لعلم البلاغة، وحُجِبت الأعمال الأخرى مقارنة به، وإن كانت لا تقلُّ أهميّة عنه، وهذا التّأثير لم يقتصر على معاصري السّكاكي وحده، بل تعدّاه إلى البلاغيين المعاصرين الّذين رأوا في كتابه الملاذ التّعليمي لطلبة العلم، لتظهر بذلك البلاغة التّطبيقيّة أو التدريسيّة ممثلة في كتب البلاغة المبسطة، والمتتّبع للشّواهد البلاغيّة في هذه الكتب يظهَر له الاستعانة بنفس الشّواهد في العديد من هذه الكتب حتّى أصبحت قوالب جاهزة مبثوثة في الكثير من المصنّفات البلاغيّة ذات الطابع التّعليمي، فحديثنا عن العسكري على سبيل الذكر لا الحصر، فالقدامى اهتموا بهذا العلم وبيّنوا فضله، كما أنّهم ركّزوا على تعليمه فبه يتمكّن المتكلّم من الفصاحة والبلاغة، فيكون كلامه سهل العبارة بعيدا عن التّكلف، وألفاظه بعيدة عن الغريب الوحشي، فيصل كلامه إلى قلب السّامع في أحسن صورة، فلا سبيل لهذا العلم إلا الحفظ والتّعلم، وهذا ما دفع فيما بعد السّكاكي لتقعيد البلاغة وجعلها في قوالب تميل إلى المنطق بدلا

---

[1] أبو هلال العسكري، الصّناعتين، مصدر سابق، ص7.

من الذّوق، فأخرج البلاغة من ثوبها الجمالي وألبسها الثوب المنطقي الفلسفي، والغاية كانت تعليميّة، والواقع أنّ هذا الأمر راجع إلى متطلّبات العصر ولسياقات خارجية عايشها الرّجل، وقد نحا البلاغيون نحوه، فجعلوا يصنفون كتبهم على دربه، فأعجبوا بعمله وقاموا يشرحون كتابه، فظهرت طبقة الشّراح الّتي عكفت على شرح كتاب (مفتاح العلوم)، وتفنّنوا في شروحاتهم بين الاختصار والتّسيير، والتّنويع في الشّواهد البلاغيّة، هذه الطّريقة المتبعة أثّرت في المعاصرين، فأسّسوا لبلاغة تدريسيّة تهدف إلى تيسير البلاغة، فجعلوا البلاغة مقيدة بقوانين صارمة، ممّا جعلها تجريدية معياريّة بعيدة عن الفنّ والإبداع الّذي يقوم على الذّوق، فالدّارس لكتب البلاغة التّدريسية يلاحظ أنّ الكاتب يعتمد على شاهد أو شاهدين لتوضيح قاعدة بلاغيّة، ممّا يجعله يعتمد على شاهد جزئي أي الاكتفاء ببيت واحد من القصيدة مثلاً، ويصل الأمر في بعض الأحيان إلى شطر من البيت، ويمكن أن نمثل لهذا الأمر بما جاء في كتاب علم البيان لعبد العزيز في حديثه عن الاستعارة، إذ يقول: "ومنه قول الشّاعر ... «**فللموت ما تلد الوالدة**»"[1]، وقد أشار عبد العزيز عتيق إلى أنّه استقى هذا الشّاهد من عند قدامة في كتابه "نقد النّثر"، وبالفعل ورد هذا الشّاهد، وقد قال قدامة: " ومنه قول الشّاعر:

*** فللموت ما تلد الوالدة ***

والوالدة إنّما تطلب الولد ليعيش لا ليموت، لكن لما كان مصيره إلى الموت جاز أن يقال: للموت ولدته. ومثله في القرآن: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾﴾ [الإسراء: 45]"[2].

يتّضح من خلال ما ورد في كتاب نقد النّثر أنّ قدامة استعان بشاهد جزئي في حديثه عن الاستعارة وقد اتّبعه عبد العزيز عتيق في إيراد الشّاهد نفسه، وقد استعان قدامة بشاهد قرآني لتوضيح ذلك، وعند تتّبعنا

[1] عبد العزيز عتيق، علم البيان، دار النّهضة العربيّة للطّباعة والنّشر، بيروت، (د ط)، 1985م، ص70.

[2] قدامة بن جعفر، نقد النّثر، دار الكتب العلميّة، لبنان، (د ط)، 1870م، ص65.

نجده يستعين مرة أخرى بشاهد جزئي فيورد شاهدًا آخر عن الاستعارة وبنفس الطّريقة الأولى أي يكتفي بشطرٍ من البيت فقط، فيقول: "ومثل ذلك قول الشاعر:

امتلأ الحوضُ وقال قَطْنِي.

أي لما لم تكن فيه سعة لغير ما قد وقع فيه من الماء، جاز على الاستعارة

أن يقال: قد قال حسبي، وهذا شائع في اللغة كثير."[1].

إنّ قضيّة الشّاهد الجزئي لم تكن من ابتكار المعاصرين، فهي سنّة سنّها القدامى، وسار على دربهم من جاء بعدهم، ولم يسلم المعاصرون من هذا، فلم يعد لجماليّة القصيدة قيمة على حساب الغايّة التّعليميّة للبلاغة، وهذا ما أضرّ فيما بعد بالدّرس البلاغي، وجعل البلاغة توصف بالجمود والرّكود، فالبلاغة في بدايتها لم تكن بهذا القدر من الجمود والاختصار، فالشّواهد ضرورة المتعلم لاكتساب ناصيّة القول، وما اهتمام كبار علمائنا بحفظ الشّواهد إلاّ خير دليل على أهمّيتها في قضية التعلّم والتّعليم، ولا يمكن بأيّ حال من الأحوال إهمال الوظيفة الإمتاعيّة للبلاغة، وهكذا انتقل الاستشهاد من القصيدة إلى البيت إلى الشّطر، وظهر ما يمكن تسميته بالجزئي، وهذا على عكس ما كان متعارفًا عليه، فالمدارس البلاغيّة كما أشار مُحَّد مطلوب تختلف في هذا الأمر، فالمدرسة الأدبيّة تكثر من الشّواهد، ولا تكتفي ببيت واحد بل يتمّ ذكر القصيدة كلّها، حتّى تحافظ البلاغة على جماليتها وأسلوبها الرّاقي الّذي طالما فتن دارسيه، وكانت قبلة الباحثين عن جمال اللّغة ورونق أسلوبها، وهكذا انقسم المعاصرون بين من اتّبع منهج القدامى التّدريسي ومن رأى بضرورة اتّباع منهج المدرسة الأدبيّة، وبين من تأرجح بين الخيارين، فنراه تارة يكتفي بالشّاهد الجزئي وأحيانا لا يكتفي بالبيت الواحد، ومن هنا يمكن أن نشير إلى ما جاء في كتاب البلاغة التّطبيقية لمعاهد الطلاب الدّينيّة، إذ جاء فيه: "وكقول أبي نواس:

[1] قدامة بن جعفر، نقد النّثر، مصدر سابق، ص66.

اختصمَ الجُود والجمال فيك فصارا أليَ جِدال

فقال هـــــذا يمينه لي للعُرف والبَذل والنَّوَال

وقال هذاك وجهه لي للظَّرْف والحُسن والكمال

فافترقا فيك عن تراض كلاهما صادق المقـــال"[1].

إنّ هذا الشّاهد جاء عند الحديث عن الفصاحة، والكاتب استدعى شواهد شعريّة لأبي نواس، ولم يقتصر على بيتٍ واحدٍ، وهو بذلك حافظ على جماليّة القصيدة، فلم يفضل الجانب التّعليمي على الجانب الإمتاعي، وحاول أن يوضح للقارئ بدون المساس بجماليّة القصيدة، وهذا ما عُرفت به البلاغة فلا يمكن بأيّ حال من الأحوال إهمال الجانب الإمتاعي، وقد تفطّن المعاصرون لهذا الأمر، وحاولوا أن يتخذوا موقفًا وسطًا في استشهادهم بالشّواهد فيستعملون الجزئي في مضربه والتام – أبيات من القصيدة أو القصيدة كاملة– في موضعه المناسب أيضًا.

أضحت الكتب البلاغيّة التّدريسيّة سبيل المتمدرس المحتوم لاكتشاف علم البلاغة، والتّمكن من الفصاحة والبلاغة، فصاروا مقيدين بمناهج تعليميّة وبرامج دراسيّة ومقررات خاصة بالبلاغة، تستخدم الشّواهد نفسها ولا تعطي الدّارس سبيل للإبداع بل تجعله مقيّدًا ومحدود الأفق، وهذا ما حكم على البلاغة بالجمود، والواقع أنّ هذه الطّبقة الإتّباعية لا تُلام على اتّخاذ السّبيل نفسه، ولكنّ اللّوم يقع عليها لعدم التّجديد في البلاغة بصفة عامّة، وفي الشّواهد البلاغيّة بصفة خاصّة، وإعطاء النّص الأدبي المعاصر مكانه في الدّرس البلاغي. وفي هذا يقول **الجربي:** "الجمع بين القواعد والتطبيق والإكثار من الأمثلة، والنصوص الأدبية هو المنهج الأمثل لدراسة البلاغة العربية، لغرض بعثها، وصبها في قالب جديد، يبعث فيها الحيوية، والحركة، والنشاط، ويعيد لها أصالتها، ويخلصها من لُكنة الأعاجم، وينقدها من ويلات

[1] مصطفى بدر زيد، البلاغة التّطبيقيّة لطلاب المعاهد الدّينية، المطبعة الرّحمانيّة، مصر، ط1، 1926م، ص11.

المنطق الجاف الذي أحالها إلى رُكام من المصطلحات المنطقية والفلسفية الجدلية التي لا تتناسب وطبيعة الفنّ العربي الأصيل"[1].

ركز الجربي على قضيّة مهمّة أغفلها الكثيرون وهي قضيّة الشّاهد البلاغي، فالجربي يحاول أن يوضّح الطريقة المثلى لتعليم البلاغة ألّا وهي الجمع بين النّظرية والتّطبيق أي جعل البلاغة تطبيقيّة، والإكثار من إيراد الشّواهد والأمثلة حتى تخرج البلاغة من ذلك الجمود الّذي أصابها، والواقع أنّ محاولات التّجديد البلاغي لم تتوقف عند الشّواهد فقط، بل كانت هناك محاولات تجديدية تراوحت بين المنهج والمصطلح والمفهوم، ولكنّه يشير إلى الإكثار من الشّواهد حتّى تُبعث روح البلاغة المعهودة في المصنفات التّراثيّة، ولا نعتمد على الشّاهد الجزئي الّذي يحيلنا إلى بلاغة منطقيّة فلسفيّة، فهذه الطريقة الاتّباعيّة في استخدام هذا النّوع من الشّواهد تصدُّ طلابنا عن دراسة البلاغة وتجعلها شبيهة بالفلسفة، وتقتلُ روح الإبداع والإمتاع الّذي عُرفت به بلاغتنا، وتجرهم نحو إغفال الهدف الحقيقي من وجود البلاغة العربيّة ألّا وهو فهم إعجاز القرآن الكريم.

لا جرم أن ينهج البلاغيون المعاصرون نهجًا إتّباعيًا بصبغة إبداعية فيتّخذون موقفًا وسطًا، والتّجديد يكون في الشّاهد البلاغي حتى تُبعث روحًا جديدة في البلاغة، وينال النّص المعاصر حظّه من الدّرس البلاغي ويستفاد من شواهده في إثراء كتب البلاغة التّدريسيّة. ولكن بعض المعاصرين من أمثال **أمين الخولي** رأوا "أن البلاغة العربيّة حينما جُعلت درسًا تعليميًا يُمارس ويُزاول بطرق مدرسية منظمة، كانت ظروفه تقضي عليه بإيثار منهج تعليمي وأسلوب بحث مدرسي له صفة واضحة معينة، هي الاتجاه إلى الناحية النظرية التعليمية التي تعتمد على الضبط العقلي، والقواعد المطّردة، والحدود الضابطة وما إلى ذلك، الأمر الذي يحقق الغرض العام التهذيبي المحض، ولا يتحققُ معه في سهولة كثير من الغرض الأدبي

[1] مُحَمَّد رمضان الجربي، البلاغة التّطبيقيّة دراسة تطبيقيّة لعلم البيان، مكتبة الآداب، ط1، 2009م، ص8.

العلمي الذي يُراد من تعلّم اللغة، ومعرفة أدبها وفنّها القولي، فالحالة الاجتماعية كانت تدفعُ إلى هذا المنهج، أو لا أقلّ من أنها ترجّحه"[1].

أشار أمين الخولي إلى أنّ إيثار المنهج التّعليمي القواعدي هو نتيجة حتميّة لتراجع الأدب، فصقلُ البلاغة بهذه الصّبغة جعلها تبتعد عن جماليتها، واتّباع هذا المنهج يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالحالة الاجتماعيّة، فكان اتّخاذ المنهج التّعليمي للبلاغة ضرورة مجتمعاتيّة أملتها الظّروف، وهذه الطّريقة أثرت على الأدب بصفة عامّة، والبلاغة بصفة خاصّة، فلم تعدّ البلاغة كما كانت عليه في السّابق، إذ كانت مجال البحث للسّابقين وملاذهم في الرّد عن المشككين في إعجاز القرآن الكريم، وآلتهم لإدراك مكنونات الكلام وإخراج درر البيان من معادنها، فلا بدّ إذن من إعادة بعث الدّرس البلاغي من جديد بما يَحفظ له ميراثه القديم من جانب، ويواكب ما جاء فيما بعد من نظريّات حديثة من جانب آخر، ولا يحصل هذا إلاّ إذا اهتممنا بالشّواهد البلاغيّة الّتي يقوم عليها الدّرس البلاغي، وحاولنا التّجديد فيها وأعطيناها حقّها من البحث والتّحليل، فاليوم وإن اختلفت الأجناس الأدبيّة لمّا كانت عليه في السّابق ودخول أجناس لم تكن معروفة عند العرب نتيجة فعل التّأثر جعل حقل الشّواهد يتّسع فلا ضرر من الاستفادة من هذه الأجناس في إثراء الشّواهد الخاصة بالأدب بصفة عامّة.

3- الدّافع التّاريخي:

يعدّ الدّافع التّاريخي مهمًّا في استدعاء الشّواهد البلاغيّة، والمعاصرون انتبهوا له فجعلوا شواهدهم البلاغيّة تتأرجح بين الشّواهد التّراثية والمعاصرة، فالقديم يحظى بالقدسيّة ولكن لا يمكن حصر الجمال والذّوق في القديم فحتّى الجديد يمكن أن يتميّز بذلك، فعند تصفحنا لكتاب البلاغة الواضحة نجد صاحبي الكتاب قد حاولا أن يجعلا طلاب المدارس يهتمون بمحاسن اللّغة العربيّة، والتّذوق لجمالها

[1] أمين الخولي، فن القول، مطبعة دار الكتب المصريّة، القاهرة، (دط)، 1996م، ص 117.

وذلك بمعرفة علم البلاغة، فنجد في طرحهم قد استهلوا الكتاب بإيراد مفاهيم (الفصاحة – البلاغة – الأسلوب)، فقد عرفوا الفصاحة واستدعوا شواهد تاريخيّة –نقصد بالتّاريخية أي غير معاصرة– فذكرا بيت حسان بن ثابت ﷺ، إذ يقول:

"ولو أنَّ مَجدًا أَخْلَدَ الدهْر واحِدًا مِنَ النَّاسِ أَبْقى مَجْدُهُ الدَّهْرَ مُطْعِما"[1]

جاء هذا البيت في الحديث عن فصاحة التّركيب، فالبيت غير فصيح لأنّ الضمير في مجده راجع إلى مطمعا وهو متأخر في اللّفظ، فاستدعاء الشّاهد الشّعري عند حديثهما عن الفصاحة كان من كلام سيدنا حسان بن ثابت ﷺ، ونحن نعلم أنّ الكتاب موجّه لطلاب المرحلة الثّانوية إلّا أنّ اختيار الشّواهد خضع للمعيار التّاريخي، فعند قولنا هذا الشّاهد لشاعر الرّسول ﷺ فقد حسمنا الأمر في المرحلة التّاريخيّة المهمّة في تاريخ الأدب العربي وهي مرحلة صدر الإسلام، ونحن نعلم أنّ حسان بن ثابت ﷺ من الشّعراء المخضرمين وشاعر نبينا الكريم ﷺ، فالدّافع التّاريخي وإن كان ضمنيًّا فهو ضروري في استدعاء الشّاهد، فلا يمكن إهمال الجانب التّاريخي، لأنّ إبلاغيّة الشّاهد تتقاطع مع العامل التّاريخي.

يواصل الكاتبان الحديث لينتقلا إلى البلاغة، فيوردان لها شواهد شعريّة وقد كان نصيب المتنبي وافرًا، فقد ذكروا أكثر من بيت له في حديثهم عن البلاغة، ومن ذلك نورد مثلا قولهما:

" قول المتنبي لكافور الإخشيدي في أول قصيدة مدحه بها:

كَفى بِكَ داءً أَن ترى الموتَ شافيا وحَسْبُ المنايا أن يَكُنَّ أَمانيا"[2]

والمتنبي شخصيّة أدبيّة متميزة، وهو يؤرخ لمرحلة مهمّة في الأدب العربي، ويحيلنا إلى الأدب العباسي الّذي عرفت معه البلاغة العربيّة أوجها، فبمجرد ذكر المتنبي نتذكر العهد العباسي وما شهده العرب من تطور

---

[1] علي الجارم، مصطفى أمين، البلاغة الواضحة البيان– المعاني– البديع، دار المعارف، (د ط)، 1999م، ص6.

[2] المرجع نفسه، ص10.

في شتّى المجالات، فهو من عباقرة الأدب وجهابذة شعراء العربيّة، فشعره حجة يستدلّ بها عند أهل اللّغة، فاختيار شواهد شعريّة للمتنبي لم يكن بالصّدفة، إضافة إلى أنّ أغلب كتب البلاغة التّراثية لا تخلو من شعره، نلاحظ كذلك أنّ القيمة الإبلاغيّة لأبيات المتنبي أقوى، وهكذا حظي الشّاهد الشّعري بعدّة ميزات، فهو يؤرّخ لمرحلة تاريخيّة أدبيّة أقلّ ما توصف به أنّها مرحلة ذهبيّة وفترة زاهية للأدب بصفة عامّة، وقوة إبلاغيّة فهي تؤدي القصد وتبلغ الغاية وتسكن نفس السّامع، وذات تأثير حجاجي إبلاغي، فالحجاج موجود ولو نسبيًا فأيّ كلام كان، والإقناع هدف منشئ النّص بشقيه الشّعري والنّثري، فذكر المتنبي يغنيك عن ذكر المرحلة التّاريخيّة الّتي عايشها الرّجل، فكانوا أعلاما لفترة زمنيّة معيّنة، فالشّاهد الشّعري إذا نُسب إلى صاحبه أغناك عن ذكر المرحلة التّاريخية الّتي عايشها الشّاعر وهذا حاصل في أغلب الحالات، ويمكن أن يحيلك إلى المصنّفات الّتي اهتمّت بالسّير الذّاتيّة للشّعراء والأدباء.

يجب الإشارة إلى أنّ بعض كتب البلاغة التّدريسيّة استعانت بشواهد معاصرة ... وهذه الشّواهد المعاصرة هي الأخرى تعبّر عن حقبة أدبيّة معيّنة، فظهور المدارس الأدبيّة عند العرب كالرّومانسية والكلاسيكية أثّر بشكل واضح في الشّواهد البلاغيّة، فعند تتبع كتب البلاغة المعاصرة الّتي تعددت أغراضها مابين ما يُعرف بالتّطبيقي والإحيائي التّجديدي نجدهم يستدعون شواهد رواد هذه المدارس، ومن أمثلة ذلك نذكر مثلاً، ما جاء في كتاب "البلاغة والنقد" لمحمد كريم الكواز إذ يورد قولي حافظ إبراهيم وأحمد شوقي في رثاء سعد زغلول، "قال حافظ إبراهيم:

إيه يا ليل هل شهدت المصابــا كيف ينصبُّ في النفوس انصبابــا

بلّغ المشرقين قبل انبلاج الصـــــــبح أنَّ الرئيس ولَّى وغابـــــــا

وانـعّ للنـيّرات سعدًا فسعـدُ كان أمضى في الأرض منها شهابـا

قَدّ يا لـيل من سوادك ثوبًا للـــــدراريّ والضحى جلبابـــــا

وانسج الحالكات منك نقابا   واحبُ شمس النهار ذاك النقابـــــا

قل لها غاب كوكب الأرض في الأرض فغيمي عن السماء احتجابا

وقال أحمد شوقي في المناسبة نفسها:

شيعوا الشمس ومالوا بضحاها   وانحنـــى الشـرق عليها فبكاها

ليتنـي فـي الركب لمـا أفلـت   يوشـعٌ، همَّـت فنادى فثناها"[1].

جاءت هذه الأبيات في نعي سعد زغلول ومعلوم أنّ أحمد شوقي وحافظ إبراهيم ينتميان إلى المدرسة الرّومانسيّة، وهي إحدى المدارس الأدبيّة الحديثة الّتي عُرفت عند العرب نتيجة تأثرهم بالغرب، وبالتّالي فبمجرد ذكر الشاعرين ننتقل إلى مرحلة تاريخيّة مهمّة في الأدب العربي، فالشّواهد الشّعريّة وإن كانت ذات غايّة إمتاعيّة وإقناعيّة لكنها غالبًا ما تُصقل باللّون التّاريخي الّذي يزيد من قيمتها الإبلاغيّة والتّواصلية، فرغم أنّنا لا نشير إلى المرحلة التّاريخيّة عند إيرادنا للشّواهد، لكن هذا لا يمنع القارئ من استنباط المرحلة التّاريخيّة، وإن صادفته شواهد شعريّة أو نثريّة غير معروفة لدى القارئ فإنه يسعى حتمًا للبحث في سيرة قائلها وبالتّالي التّحديد الزّماني الّذي قيلت فيه هذه الشّواهد، ويتكرر الأمر في كتاب علوم البلاغة فقد ورد شاهد شعري لأبي قاسم الشّابي إذ يقول:

"عـذبة أنت كالطفولة كالأحلام   كاللحن كالصّباح الجـديد

كالسّماء الضحوك كالليلة القمراء   كالــورد كابتســـــام الوليـد"[2].

[1] مُحَمَّد كريم الكواز، البلاغة والنّقد، مرجع سابق، ص85، ص86.

[2] مُحَمَّد أحمد قاسم، محي الدين ديب، علوم البلاغة (البديع، البيان، المعاني)، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، ط1، 2003م، ص146.

فعند الحديث عن التّشبيه وأركانه، استحضر الشّاعر شواهد شعريّة من الشّعر المعاصر، وقد وقع اختياره على أبي قاسم الشّابي الّذي يعدّ بحق رائدًا من رواد المدرسة الرّومانسية، وبالتّالي فقد استعان بشاهد معاصر لبيان أداة التّشبيه الّتي تمثلت في حرف الكاف الّذي تكرر (ثماني مرات) في البيتين، وهكذا فقد كان التّجديد على مستوى الشّواهد، ولكن لا يمكن إهمال العامل التّاريخي الّذي يلعب دورًا مهمًّا في زيادة الحمولة الإبلاغيّة كما أشرنا سابقًا.

نلحظ حضور شاهد نثري عند الحديث عن أداة التّشبيه "كأن"، وقد استعين بجنس أدبي حديث لم يكن متعارفًا عليه من قبل، ولم يكن معتمدًا في كتب البلاغة السّابقة، فقد اقتحم السّرد باب الشّواهد في حقل البلاغة المعروف بالقوالب الجاهزة والشّواهد المكررة، وهذا اجتهاد يُحسب لمؤلفي الكتاب، فقد جاء في الكتاب "كما تكون كأن أداة التّشبيه في قول الطيّب في رواية عرس الزين "والزين واقف في مكانه، في قلب الدائرة، بقامته الطويلة وجسمه النحيل **فكأنه** صاري المركب""[1].

دأب أصحاب كتب البلاغة على الاستعانة بالشّواهد الشعريّة التّراثيّة، ولكن لم يكن هذا أمرًا محتومًا على البلاغيّين المعاصرين الّذين تفننوا في التّجديد في الشّواهد بدون إقصاء للشّواهد المقدسة والتّراثيّة الّتي لا يمكن طمسها ولكن هذا ليس مدعاة لإقصاء الشّواهد المعاصرة، فمن باب الإنصاف الاعتماد على الأدب المعاصر، والبلاغة في بدايتها كانت منفتحة على العلوم الأخرى ومتكاملة معها، وهكذا فالاستعانة بجنس أدبي حديث كالرّواية مثلاً هو امتداد لما كانت عليه البلاغة في بدايتها، وهكذا فقد اتّسع حقل الشّواهد البلاغيّة بدخول أجناس أدبيّة معاصرة كالشّعر الحر والسّرد وغيرها من الأجناس الأخرى، والظّاهر أنّه عندما نورد شاهدًا من جنس الرّواية فحتمًا يتّضح للمتلقي أنّنا بصدد مرحلة تاريخيّة معاصرة للأدب العربي، فهذا الجنس الأدبي عُرف في مرحلة تاريخيّة متأخرة.

[1] مُحَّد أحمد قاسم، محي الدين ديب، علوم البلاغة (البديع، البيان، المعاني)، مرجع سابق، ص146، ص147.

فعند تتبعنا للشّواهد المعاصرة نرى اتّساعها ودخول شواهد لأجناس أدبيّة مختلفة تؤرخ لمراحل تاريخيّة مهمّة، وهكذا كان الجانب التّاريخي مهمًّا في استدعاء الشّواهد، والواقع أنّ الشّواهد الشّعريّة تحتل الحيز الأكبر، فنجد من الشّواهد المعاصرة ما يشفي غليل المتذوق للشّعر، فالخيال والتّخييل ميزة الشّاهد الشّعري، والذّوق محور أساسي في استحضار الشّواهد البلاغيّة.

4- الدّافع الذّوقي:

البلاغة في بدايتها لم تكن جملة من القواعد والأنظمة الّتي عرفت بها فيما بعد، وجعلتها توسمُ بالجمود، بل كانت بلاغة ذوقيّة جماليّة، وما يُتّفق عليه أنّ الذّوق يعتبر أساس الدّرس البلاغيّ، ورغم ظهور النّقد واستقلاله عن علم البلاغة إلا أنّ مركزية الذّوق بقيت حاضرة في الدّراسات البلاغيّة، فالحكم على جودة النّص الأدبي من عدمه تعود للنّقد لكن أساس بناء ذلك النّص يعود لذوق المؤلف واختياره للألفاظ وانتقائه لها بدون كلفة، مما يولد معاني متعددة تقع في قلب السّامع فتحرك أحاسيسه وتؤثر في مشاعره، فينجذب لكلام معيّن دون غيره، ويفضل قائلاً على قائل، ولكن هذا لم يخف على علماء البلاغة فأشاروا إلى النّقد إمّا بصريح اللّفظ أو تلميحات تفهم من خلال السّياق.

توجه الدّراسات البلاغيّة في بدايتها واشتغالها على قضية الإعجاز لم يمنع البلاغيين القدامى من الالتفات إلى الذوق، ويعدّ عبد القاهر الجرجاني صاحب الفضل في وضع نظريّة النّظم الّتي أضفت نظرة علميّة للبحث البلاغي، والجرجاني في بحثه في أوجه الإعجاز القرآني الّذي يعدّ سبب الوجود البلاغي تحدث عن الذّوق، فهو يعتبر البلاغة وتمييز الكلام يعتمدان على الذّوق، إذ يقول **الجرجاني**:

" وما في قول البحتري: «**لِي عَلَيْك دُموعُ**» من شِبْهِ السّحْر، وأنَّ ذلك من أجل تقديم «لي» على «عليك»، ثم تنكير «الدُّموع» .. والبلاءُ، والدَّاء العَياءُ، أن هذا الإحساس قليل في الناس، .. فلست تملك في إذًا من أمرك شيئًا حتى تَظْفَر بمن له طبعٌ إذا قَدَحْته وَرِى، وقَلْبٌ إذا أرَيْتَهُ رأى، فأمّا وصاحبك

من لا يَرى ما تُرِيه، ولا يَهْتدي للذي تَهدِيه، فأنت رامٍ في غير مَرْمَى، ومُعَنٍ نفسَك في غير جَدْوى،وكما لا تُقِيم الشعر في نفس من لا ذَوْقَ له، كذلك لا تُفْهم هذا الشأن من لم يُؤْتَ الآلة التي بها يفهم))"[1].

انتبه الجرجاني إلى قضيّة الذوق، فالمسألة تراثيّة وعلماؤنا الأجلاء تفطنوا لها وأقروا بأهميتها، وقد بيّن جمال قول البحترى ووسمه بالسّحر، ورأى أنّ قليلا من النّاس من يملك الذّوق ليتلذّذ بمثل هذه الأقوال، فمن لا يحمل هذه الملكة لا يمكنه استقصاء الجمال في التّعبير الكلامي ولا يمكنه تذوق الشّعر فكأنك رامٍ في غير مرمى أو كأنك واضع شيئًا في غير مكانه، وقد تُتعب نفسك لأن من لا يملك الذّوق لا يملك نفس إحساس الشّاعر أو المتلقي صاحب الحس المرهف، فلا تقع فيه الألفاظ موقع المتذوق، فإجباره على الاستماع أو التّلقي شبيه بنفخك في الرّماد فلن تجني من هذا الأمر إلاّ الضّرر، فامتلاك الآلة لا يكون إلا بالدّربة ومصاحبة العلماء والنّصوص الأدبيّة حتّى تصقل الموهبة وينمو الذّوق في نفس المتعلّم، والجرجاني حجّة في البلاغة العربيّة كيف لا؟ وهو صاحب نظريّة أذهلت ولازالت تذهل الدّارسين، ورغم وضعه لنظريّة النّظم وبيانه لفضلها إلاّ أنّه لم يهمش الذّوق فربط الفصاحة به وجعله موهبة تسمو بصاحبها، فهو رأى أنّ الذوق هو الآلة الّتي تمكنّنا من فهم الشّعر وسبر أغواره، فبه تلين القريحة وتصقل العاطفة، وتُجذب النّفس إلى جمال الأسلوب وقوة البيان وسحر البديع، هكذا حصل الذّوق على أشرف المراتب وأعلى الرّتب في البلاغة العربيّة.

ورغم أهميّة الذّوق إلاّ أنّه أُهمل وحلّ مكانه التّقعيد الّذي عُرفت به بلاغة السّكاكي ومن تبعه من الشّراح، فتأثرت البلاغة العربيّة واتسعت الهوة بينها وبين الذوق، وصارت عبارة عن قواعد ونظريات شبيهة بالمنطق والفلسفة مبتعدة عن الجمال والذّوق الّذي عُرفت به البلاغة في بداياتها، ولكن هذا لم يمنع من أتوا بعد السّكاكي من محاولة التّجديد البلاغي وعلى رأسهم **العلوي (ت745هـ)** في كتابه (الطّراز) الّذي أعاد إلى البلاغة ذاك الجانب المهم وأبان عن قيمة الذّوق في التّجديد البلاغي، فالتّجديد

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، مصدر سابق، ص 549.

والتّيسير لم يقصر على البلاغيين المعاصرين بل تفنّن البلاغيون القدامى في هذا، والعلوي جمع بين المدرستين الأدبيّة والكلاميّة، وهذا ما يتأكد من خلال مقدمة كتابه، إذ يقول فيه: "وأرجو أن يكون كتاب هذا متميزًا عن سائر الكتب المصنّفة في هذا العلم بأمرين أحدهما اختصاصُه بالترتيب العجيب، والتلفيق الأنيق، الذي يُطْلع الناظر من أول وَهْلة على مقاصد العلم، ويفيدهُ الاحتواء على أسراره. وثانيهما اشتمالهُ على التسهيل والتيسير، والإيضاح والتقريب. لأن مباحث هذا العلم في غاية الدقة، وأسرارهُ في نهاية الغُموض. فهو أحوج العلوم إلى الإيضاح والبيان، وأولاها بالفحص والإتقان فلما صغته على هذا المصاغ الفائق، وسبَكتُه على هذا القالب الرائق، سميتهُ بكتاب الطراز."[1].

إنّ في مقدمة العلوي إشارة واضحة إلى مسلك التّسهيل والتّيسير الّذي نهجه في تأليف كتابه، فهو يوضّح أنّ هذا العلم دقيق، ومن الصّعوبة سبر أغواره، فهو من أحوج العلوم للإيضاح، ولا يتأتّى هذا إلاّ من خلال منهج تجديدي يجذب الراغب في الظفر بهذا العلم، فيهديه إلى الدّرب الصّحيح، ويمكنه من اكتساب الآلة، ويكون هذا بالإكثار من الشّواهد الّتي تحتكم إلى الذّوق، فعند تتبعنا لكتاب الطّراز نراه في بعض الأبواب يكثر من الشّواهد، ويمكن التّمثيل لهذا الأمر عند حديثه عن التّشبيه باعتبار حكمه إلى قبيح وحسن، إذ استعان بسبعة وعشرين بيتًا، فقد أكثر من الشّواهد الشّعرية، وأشار إلى أهميّة الذّوق السّليم، عند إيراده للأبيات التّاليّة:

ذي المعالي فليعلوَنْ من تعالى ... هـــكذا هكـــذا وإلا فـــلا لا

فالتفاوت ما بين الشيئين يدركه كل من له ذوق سليم وطبع في الفصاحة مستقيم"[2].

[1] العلوي، الطّراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، تحقيق عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصريّة، بيروت، ط1، 2002م، ج1، ص8.

[2] العلوي، الطّراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، مصدر سابق، ص154.

نلحظ أنّ العلوي أكثر من الشّواهد حتّى يتّضح لطالب البلاغة أنّ الذّوق لازم لإدراك التّفاوت في الكلام، ومرتبط بفصاحة المتكلّم، فهذه ميزة أصحاب المدرسة الأدبيّة، ولكنه زاوج بين المدرستين في كتابه، فيورد الكثير من الشّواهد عندما يتطلّب الأمر ذلك، وينقص منها عندما يكون الأمر واضحًا، فكتابه جاء للتّيسير والتّوضيح، وقد أبان عن أثر الذّوق في صقل موهبة المتذوق، ولمعرفة أهميّة الذّوق في هذا الأمر، نذهب إلى ما أشار إليه ابن خلدون عند تداوله لهذه الكلمة، فحسبه تداول لفظة الذّوق واستعمالها خاص بأصحاب القول، وفنون التّعبير فهم أهل الكلمة، ويعرفون كيف ومتى يتداولونها، وهذه الملكة ترتبط باللّسان فتمكّن منشئ الكلام من اكتساب آلة البلاغة الّتي يسعى كل خطيب أو شاعر، فلا مناص له إذن من إدراك الذوق وتداوله "وهذه الملكة إنما تحصل بممارسة كلام العرب، وتكرره على السمع، والتفطن لخواص تركيبه، وليست تحصل بمعرفة القوانين العلمية في ذلك التي استنبطها أهل صناعة اللسان"[1].

تحصل ملكة الذّوق بالممارسة حسب ابن خلدون وليست بمعرفة القوانين الّتي وضعها النّقاد، فالدُّربة والممارسة والتّعود على فن السّمع لكلام العرب هو السّبيل والدّرب الوحيد لاكتساب هذه الملكة والذوق حسبه لا يتقيّد بالقوانين والقواعد الّتي وضعها أهل صناعة اللّسان، فأهل الصّنعة تفنّنوا في وضع القواعد حتّى نسوا الذّوق السليم الّذي لا يتأتّى إلاّ من خلال ممارسة كلام العرب والاستماع لأشعارهم وخطبهم وحفظها.

إنّ المتمحص لكتب البلاغة يرى انجذاب البلاغيين القدامى نحو شواهد دون غيرها، وتفضيلهم لشاعر دون غيره فنراهم يستشهدون بها، ولا يمكن لأي أديب أن يخفي تأثره، فالذّوق يلعب دورا في اختيار الشّواهد، ضف إلى ذلك معطيات أخرى كتفضيله لفرق كلاميّة عل أخرى، الأمر نفسه ينطبق على المعاصرين في تفضيلهم لشواهد دون أخرى، وحتّى الكتب البلاغيّة الموجهة للتّعليم نراها تعطي

[1] مُحَّد كريم الكواز، البلاغة والنقد، مرجع سابق، ص51.

للذّوق قيمته في تعلم البلاغة العربيّة، فالإمتاع كان ملازمًا للبلاغة ويبقى سمتها الّتي تترفع بها عن علوم أخرى، وفي هذا يقول علي الجارم في مقدمة كتابه: "رجاءً أن يَجْتَلِي الطلاب فيه محاسن العربية، ويَلْمَحُوا ما في أساليبها من جلالٍ وجمال، ويَدْرُسُوا من أفانين القول وضروب التعبير. ما يَهَبُ لهم نِعْمَة الذوق السليم، ويُرَبِّي فيهم ملكةَ النَّقْد الصحيح، وأملنا أن يكون لعملنا هذا شأْنٌ في إحياء الأدب، وتَوْجيهِ أذهان المعلمين والطُّلاب إلى هذه الطريقة التي ابتكرناها في دراسة البلاغة"[1].

يولي أصحاب الكتاب أهميّة كبيرة للذّوق، فالبلاغة العربيّة في نشأتها بُنِيت على الإمتاع الّذي لا يحصل إلّا بالذّوق السّليم، ولا سبيل لإدراك الجمال اللّغوي إلاّ من خلال تذوقنا لسحر العربيّة، وإدراك جيد الكلام من رديئه، فالنّقد السليم يُربى ويُصقل ملكة الطالب، فيمكنه من فنون القول وأساليب التّعبير، وهذا ما يتّفق عليه القدامى والمحدثين، ويقرّون به بل ويحثّون طلاب العلم على الاهتداء إليه، ورغم علمهم بأنّ الذّوق مسألة فطريّة إلاّ أنّهم يقرّون بأهمّيته، فهو الملاذ لامتلاك ناصية القول، وهو ملجأ الشّاعر لنسج قصيدته، واستعطاف متذوقي شعره، وسبيل الخطيب لإذعان جمهوره، والواقع أنّ هذا الدّافع – الذوقي- ضروري في استدعاء الشّاهد البلاغي فهو وإن كان دافعًا اتّباعيًا إلّا أنّه لا يخلو من التّجديد الحاصل في تفضيل قصائد معاصرة على أخرى، وحتّى عند استدعائهم للشّواهد نراهم يكثرون من أقوال بعض الشّعراء على حساب آخرين –قدامى أو محدثين ولا مجال للتّعليل في اختيار شواهد دون غيرها إلّا إقرارنا بتأثير الذّوق في هذه المسألة.

[1] علي الجارم، مصطفى أمين، البلاغة الواضحة البيان- المعاني- البديع، مرجع سابق، ص2.

المبحث الثّالث: وظائف الشّاهد البلاغي عند المعاصرين

تمهيد:

يؤّدي الشّاهد البلاغي عدّة وظائف، تختلف من سياق لآخر، فكلّ بلاغي يجب أن يتسلّح بشواهد تكون حجته الّتي بها يُفحم الخصوم، ويُلفت نظر سامعيه، ومعلوم أنّ البلاغة العربيّة نشأت محصورة بين الإقناع والإمتاع، ولكن لا يمكن أن نُهمل بعض الوظائف الأخرى الّتي ارتبطت بالبلاغة منذ نشأتها، كالوظيفة النّفعية خاصة إذا ما تعلّقت بالجانب التّعليمي إلى جانب وظائف أخرى كالإقناعيّة، والإمتاعيّة، والتّواصليّة ، وفيما يلي بعض وظائف الشّاهد البلاغي عند المعاصرين:

1- الوظيفة الإقناعيّة:

نشأت البلاغة العربيّة بين قطبين تجاذباها على مرّ الزّمن، وهذان القطبان هما الإقناع والإمتاع، وغالبًا ما اتُّهمت البلاغة بكونها بلاغة إمتاعيّة، ولكن وجب القول أنّها لطالما حوت القطبين معًا، وهذا ما يميّز البلاغة العربيّة فهي علم جامع لمجالين مهمّين في البناءات الخطابيّة والشّعريّة، وأغلب الدّراسات البلاغيّة في بدايتها ركزت على الجانب الإمتاعي التّخييلي للبلاغة العربيّة، بينما أُهمل الجانب الإقناعي ولم يحظ بالاهتمام، ولكن ما فتئ العلماء يتداركون الأمر ليستعيد هذا الجانب مكانته، والدّراسات البلاغيّة المعاصرة في هذا المجال دليل على المكانة الّتي أصبح يحظى بها هذا القطب في بناء أي خطاب بشقيه — الشّعري والنّثري-، **ولكن ما يثير التّساؤل: ما المقصود بالإقناع؟ وكيف يمكن للشّواهد البلاغيّة أن تؤدي الوظيفة الإقناعية؟**

1-1- ماهية الإقناع:

لغة:

جاء في مقاييس اللّغة "الإقناع: الإقبال بالوجه على الشّيء"[1]، كما عرّفه الزبيدي بقوله "الإِقْنَاعُ أيضًا: التَّصْوِيبُ"[2]، يحمل أصل كلمة الإقناع عدة مفاهيم حوتها معاجم اللّغة العربيّة، ولكنها تروم في الغالب على الإقبال إلى الشّيء، أو حتّى الإذعان له، كما يربطها الزّبيدي بالتّصويب.

اصطلاحًا:

تناول البلاغيون المعاصرون مصطلح "الإقناع"، ويمكن أن نورد ما أدلى به **طه عبد الرحمن**، فقد أشار إليه عند حديثه عن مصطلح الإقناعيّة، إذ يقول: "الإقناعية: فعندما يطالب المحاور غيره بمشاركة اعتقاداته، فإن مطالبته لا تكتسي صبغة الإكراه، ولا تَدْرُج على منهج القمع، وإنما تتبع في تحصيل غرضها سبلاً استدلالية متنوعة تجر الغير جرًا إلى الاقتناع برأي المحاور.

وإذا اقتنع الغير بهذا الرأي، كان كالقائل به الحكم؛ وإذا لم يقتنع به، رده على قائله، مُطْلِعًا إياه على رَأْيِ غيره، ومُطَالبًا إياه مشاركته القول به."[3].

يحاول **طه عبد الرحمن** تبيان المبادئ الّتي يقوم عليها الإقناع، ومن أهمّها مبدأ عدم الإكراه أو القمع في تمرير الرّسائل بغض النّظر عن نوعها، فيجب على المرسل أن يستخدم أساليب استدلاليّة ترتكز على مقومات حجاجيّة تمكنه من جرّ المتلقي، وإقناعه بما تحويه الرّسالة الممرّرة، فالمتلقي له الحق في القبول

[1] ابن فارس، مقاييس اللّغة، مصدر سابق، ج5، ص32.

[2] الزّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مصدر سابق، ج22، ص99.

[3] طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثّقافي العربي، المغرب، ط2، 2000م، ص38.

أو الرّفض، وفي الحالة الثّانيّة يمكن أن يسير المرسل والمتلقي إلى ساحة الحجاج، حتى يقتنع أحد الطّرفين، ولا يتأتى ذلك إلّا باستخدام الأساليب الاستدلاليّة والحجاجيّة.

يعدُّ **فيليب بروتون Philipe Bretton** "الإقناع إحدى جهات القول الأساس للتّواصل، الذي يكون القصد منه إما التعبير عن إحساس أو عن حالة أو عن نظرة فريدة إلى العالم أو الذات، أو يكون القصد منه الإخبار؛ أي وصف موقف معين على نحو أكثر موضوعية، أو يكون القصد منه أيضا الإقناع بواسطة أدلة تحمل المتلقي على الانخراط في رأي ما. فالتعبير، والإخبار، والإقناع، ثلاثة سجلات غير مختلطة، على الرغم أن الحدود بينها ليست دائما بالدقة التي تفترضها النظرية، وذلك بفعل ثراء الكلام الإنساني."[1].

نجد **فيليب بروتون** يتحدث عن الإقناع ويعدّه أساس العمليّة التّواصليّة، ويراه أنّه يهدف غالبًا إلى التّعبير الّذي تتحكم فيه الانفعالات العاطفيّة والوجدانيّة أو عن التّأمل والنّظرة إلى الذّات أو العالم، وقد يكون بغرض الإخبار عن أي موضوع ولكن بممارسة إقناعيّة، حتّى يؤثّر على المتلقي مستغلًا ثراء الألفاظ الّتي تحيلنا على العديد من المعاني.

ترتبط البلاغة بالتّداول، ولا بدّ من حضور الإقناع ليتمّ ذلك، فيشير **مسعود بودوخة** إلى أهميّة الإقناع في المسألة التّداوليّة، من خلال قوله: "ومن ظواهر البعد التداولي للبلاغة العربية ما نجده في ثنايا تعريفاتها من إشارة إلى جانب الحجة والإقناع، أو الغلبة والإفحام"[2].

يثير **مسعود بودوخة** مسألة البعد التّداولي للبلاغة العربيّة، فالبلاغة حسبه ترتكز على الحجة والإقناع، أو الغلبة والإفحام، فاستدعاء الحجة يكون أثناء الجدال أو الخصام اللّغوي، ولكسب التّأييد

---

[1] فيليب بوطون، الحجاج في التّواصل، ترجمة مُحَمَّد مشبال، عبد الواحد التّهامي العلمي، المركز القومي للتّرجمة، القاهرة، ط1، 2013م، ص18.

[2] مسعود بودوخة، البلاغة العربيّة بين الإقناع والإمتاع، مرجع سابق، ص14.

يجب استدعاء الشّواهد البلاغيّة في العمليّة الإقناعيّة، فاقتناع أحد الطّرفين لا يتم إلاّ من خلال الحجّة القاطعة والبرهان الصّادق، وقد تكون الحجة شاهدًا بلاغيًّا، وبالتّالي تتمّ العمليّة الحجاجيّة ويقتنع أحد الطّرفين، وتظهر الوظيفة الإقناعيّة للشّواهد البلاغيّة من خلال الجدالات الحجاجيّة والمسائل التّدريسيّة.

2-1 الوظيفة الإقناعيّة للشّاهد البلاغي:

يستعمل البلاغيون المعاصرون الشّاهد البلاغي في العديد من المناسبات، وقد أشرنا إلى مصادر الشّاهد البلاغي، والواقع أنّ سلطة الشّاهد البلاغي تتفاوت من النّاحية الإقناعية من مصدر لآخر فالشّواهد القرآنيّة والأحاديث النّبوية تحتل مكانًا مرموقًا لا يمكن مقايستها أو مقابلتها مع الشّواهد الشّعريّة والنّثرية الأخرى، فهي أشرف وأعلى قدرًا وأكثر إقناعًا من الشّواهد الأخرى، فالبلاغيون المعاصرون أدركوا هذا وفي حديثهم عن القضايا البلاغيّة أو حتّى في جدالهم اللّغوي وحجاجهم، يقومون باستدعاء الشّواهد الأعلى منزلة لإقناع وإذعان المتلقي، تليها الشّواهد الأخرى ويتجلّى هذا كثيرًا في كتب الإعجاز القرآني، فمثلاً نجد **حسن طبل** في كتابه "أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية"، يتحدث عن مجالات الالتفات ويعددّها إلى ستة مجالات، فأول مجال حسبه هو الصّيغ، إذ يمثل لذلك بما يلي :

"(أ) بين صيغتي الفعل:

1- (نزل. أنزل).

وذلك في قوله عز وجل:﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾﴾ [آل عمران: 3]

وقوله سبحانه:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ ١٣٦﴾[النساء: 136] "[1].

يشير **حسن طبل** إلى الفرق بين نزل وأنزل، ويتتبع الآيات الّتي وردت فيها الصّيغتان، وعند تتبعنا لما جاء في كلامه، نلحظ أنّه استعان بالآيات القرآنيّة لتبيان ذلك، وعدم اعتماده على الشّواهد الأخرى، فالشّاهد القرآني أعظم برهانًا، وأقدر شأوًا وأكثر حمولة إقناعيّة، ولهذا **فحسن طبل** أدرك قدرة الشّاهد القرآني في العمليّة الإقناعية، فوظّفه بكثرة لما يحويه من سلطة إقناعيّة، فبيّن الاختلاف بين الصّيغتين معتمدًا كل الاعتماد على القرآن الكريم في إبراز الاختلاف بين لفظتي (نزل – أنزل).

يحضر الشّاهد القرآني في كتب البلاغة التّدريسيّة ولكن بنسب متفاوتة، وقد نجد الشّاهد الشّعري يحتل الحيز الأكبر منها، وعند تصفحنا لكتاب **أزهر الزناد** (دروس البلاغة العربية نحو رؤية جديدة) نرى أنّه أدخل رؤية معاصرة تجديديّة في حديثه عن التّشبيه، وذلك باستخدام الأدوات الرّياضيّة فحمل بذلك عبء التّلاقح المعرفي بين البلاغة العربيّة والعلوم الأخرى، وهذه ميزة البلاغة العربيّة القديمة، ونراه يُجدد في الشّواهد والأمثلة، ويمزج بين التّراث والمعاصرة، والواقع أنّ عمل الزّناد واستخدامه للشّواهد جاء بصيغة منطقيّة ووفق رؤية تجديديّة، وقد تجلّت من خلال استخدامه للشّواهد، فنراه مثلاً يورد التّعاريف ثم يحدد النّسق الرّياضي الّذي يستخدمه – الاستدلال الرياضي-؛ فهو يوضح الرّموز والمتغيرات، ثم يمرّ إلى الشّواهد، فعند حديثه عن أداة التّشبيه نجده يستعين بشواهد شعريّة وشواهد سرديّة، إذ يقول:

" – حروف: ك (كاف التشبيه، كأن.

(2)– عذبة أنت كالطفولة كالأحلام كاللحن كالصباح الجديد

---

[1] حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنيّة، دار الفكر العربي، القاهرة، (د ط)، 1998م، ص56.

كالسماء الضحوك كالليلة القمـراء كالـورد كابتســام الوليـد

(الشابي)

(3)- ((والزين واقف في مكانه في قلب الدائرة، بقامته الطويلة وجسمه النحيف، فكأنه صاري المركب)). (الطيب صالح، عرس الزين)

..

فرأيتها لسانًا من الرمل قائمة على رأس الكثيب، وكأنها وُلِدت منه أو ذابت فيه"[1].

يستخدم **الزناد** شواهد شعريّة معاصرة وشّواهد سرديّة ممّا يثبت منحاه التّجديدي، فاستدلاله بشواهد شعريّة **لأبي قاسم الشّابي** دليل على إنصافه للشّعراء المعاصرين الّذين أبدعوا في المجال الشّعري، ومعلوم أنّ الشّابي من المدرسة الرّومانسية، ولهذا نرى تشبيهاته مستوحاة من معجم الطّبيعة (السّماء، اللّيلة القمراء، الورد)، فالشّعر وإن حُصِر في التّخييل- وهذا افتراء في حقه- لأنّه غالبًا ما يصدر عن التّجربة الفرديّة ولكنّه ذو حمولة إبلاغيّة تختلف على حسب السّياق الّذي جاءت فيه، وبهذا لا يمكن إغفال الجانب الإقناعي منه، فاستدعاء شواهد شعريّة لتبيان أداة التّشبيه يزيد من الحمولة الإقناعيّة لطالب البلاغة، ويزيد في قدرة الطّالب على استيعاب أدوات التّشبيه، والواقع أنّ الشّعر سهل الحفظ وله موقع حسن في القلب، وهكذا يستطيع الطّالب أن يحفظ البيت الشّعري ويستدعيه عندما يتطلّب الأمر ذلك، لم يكتف **الزناد** بالشّواهد الشّعريّة فقط لكنّه يدخل شواهد جديدة لم تعهدها البلاغة العربيّة من قبل، فيستند إلى روايتين ويقتطف منهما عبارتين دالتين على حرفي التّشبيه (الكاف، كأن)، كما أنّه يستدعي شواهد شعريّة تراثيّة حتى يوضح لطالب البلاغة ويربطه بتراث الأجداد، فكثرة الشّواهد تفيد في الاستيعاب وتزيد في درجة الإقناع، والرّواية الأولى الّتي استعان بها هي رواية "عرس الزين" لطيب صالح،

[1] الأزهر زناد، البلاغة العربيّة نحو رؤية جديدة، المركز الثّقافي العربي، بيروت، ط1، 1992م، ص18.

والرّواية الثّانيّة لمحمود السعدي "حدث أبو هريرة قال ..."، وهكذا تمّ الاستعانة بالشّواهد النّثرية وبالتّحديد جنس الرّواية ممّا جعل السّرد يطرق باب البلاغة، ويفتح باب الاجتهاد للباحثين في تبيان بلاغة السّرد.

وقد عكف الباحثون على إثراء الدّرس البلاغي مستفيدين من مختلف الأجناس الأدبيّة المعاصرة على غرار قصيدة التّفعيلة، الّتي تعتبر سمّة الشّعراء المعاصرين، ومن رواد هذا الشّعر بدر شاكر السّياب الّذي أسهم في عملية تجديد الشّعر العربي المعاصر، وفجّر ينابيعه وأبدع في هذا اللّون رفقة نخبة من الشّعراء المتميزين، وقد استفاد الباحثون من هذا التّجديد الشّعري وأثروا به مصنفاتهم البلاغيّة، ونرى هذا متجلّيا في أغلب المصنفات، ويمكن أن نورد الشّاهد الشّعري للسّياب، إذ يقول:

" – شراعه النديّ كالقمر

شراعه القوي كالحجر

شراعه السريع مثل لمحة البصر

شراعه الأخضر كالربيع

الأخضر الخضيب من نجيع

كأنه زورق طفل مزّق الكتاب

يملأ مما فيه، بالزوارق النهر

كأنه شراع كلومبس في الضباب

كأنه القدر"[1].

يتميز هذا الشّاهد الشّعري بكثرة أداة التّشبيه "الكاف" و"كأنّ"، فقد وردا ثلاث مرات، فهذا الشّاهد الشّعري يساعد طالب البلاغة في إدراك عملية التّشبيه والتّعرف على حروفه، ومعرفة أنواع التّشبيه، فالشّواهد الشّعريّة المعاصرة تؤدي وظيفة إقناعيّة تعليميّة، ومن باب الإنصاف إدراج شواهد معاصرة في الكتب البلاغيّة لتنال حظها من الدّرس والتّحليل، وتُلبس المباحث البلاغيّة التّراثيّة حلّة جديدة تجعل الدّارس لا يملّ من تكرار الشّواهد البلاغيّة الّتي أصبحت قوالبًا جاهزة ومعروفة من قبل الدّارسين، فقد عَمّرت بعض الشّواهد الشّعريّة لقرون طويلة، وتكررت في العديد من المصنّفات البلاغيّة مثلها مثل شواهد النّحو، فأصبح الدّارس يعرفها مسبقًا، فالشّواهد الشّعريّة القديمة من تراثنا البلاغي الّذي لا يمكن الاستغناء عنه بكل حال من الأحوال، ولكن لا ينبغي أن يُقدّس لدرجة يُقصى معه كل جديد، فالجمع بين التّراث والمعاصرة أمر محتوم، فعلى الباحثين أن يعادلوا الكفتين في استخدامهم للشّواهد، فلا عيب إذا أدرجنا شواهد سرديّة لكن بشرط أن تؤدي العمليّة التّعليميّة الإقناعيّة المنوطة بها.

2- الوظيفة الإمتاعيّة:

أشرنا سابقًا إلى أنّ البلاغة العربيّة نشأت بين قطبين أساسيين وهما: الإقناع والإمتاع، فالوظيفة الإمتاعيّة حلّة البلاغة العربيّة، فبها تَفُوق البلاغات الأخرى رونقًا وجمالاً، فالكلام يمكن أن يحوي الوظيفتين معًا، فالغايّة الإمتاعيّة تأسر قلوب السّامعين، وتجعل الكلام راسخًا في نفوس المتأثرين، وما بقاء الشّعر عقود من الزّمن متداولاً بين العرب إلاّ لحمله البعد الإمتاعي، فلا يمكننا إهمال الجانب الإمتاعي في الكلام، فالبليغ من يوافق بين الميزتين الإمتاعيّة والإقناعيّة، وحتّى نوضح وظيفة الإمتاعيّة للشّواهد البلاغيّة، لا بدّ من المرور على مصطلح الإمتاع عند البلاغيين العرب.

---

[1] الأزهر زناد، البلاغة العربيّة نحو رؤية جديدة، مرجع سابق، ص24.

2-1 مفهوم الإمتاع:

لغة:

جاء في مقاييس اللغة: "((متع)) الميم والتاء والعين أصلٌ يدلُّ على منفعة وامتدادٍ مُدّةٍ في خبرٍ.منه استمتعت بالشَّيء. والمِتْعة والمِتَاع: المنفعة في قوله تعالى: ﴿بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ﴾ [النور: 29]. ومتَّعت المطلَّقة بالشَّيء، لأنَّها تنتفع به. ويقال أمْتَعْتُ بمالِي، بمعنى تمتّعت. قال:

خليطَينِ من شعبيْنِ شَتَّى تجاورَا قديمًا وكانا للتفرُّقِ أمتَعَا.

..

والمتاع: الانتفاع بما فيه لذَّةٌ عاجلة. وذهبَ منهم آخَرُ إلى أنَّ الأصلَ الامتدادُ والارتفاع، والمتاع انتفاعٌ ممتدُّ الوقت."[1].

تحوي لفظة "الإمتاع" عدّة معان حسب ابن فارس، والواقع أنّ المفهوم اللّغوي يربطها بالانتفاع والامتداد والارتفاع والتّلذّذ، فلفظة الإمتاع لا تُحصر في التّلذّذ بل إنّها تحوي الانتفاع والامتداد، أي أنّ الكلام الممتع ممتد في النّفوس غير منقطع بمرور الوقت، ولا يُنسى مع الأيام، فما ينفع النّاس يمكث حينا من الدّهر، فحتّى الكلام ينطبق عليه هذا الأمر، فلا ينبغي أن ننساق وفق المدلول السّطحي لمصطلح "الإمتاع" المحصور في المتعة والتّلذّذ، ونهمل جانب الانتفاع والامتداد.

اصطلاحًا:

إنّ البلاغيين لطالما رأوا أنّ الإمتاع غاية أدبيّة تتعدّد وسائلها، فالقدامى لم يقفوا على حدّ اصطلاحي للإمتاع، لكن المعاصرين ربطوه بالإقناع، ولا جرم في ذلك فقد مررنا على التّعريف اللّغوي ورأينا أنّ

---

[1] ابن فارس، مقاييس اللّغة، مصدر سابق، ج5، ص293، ص294.

الإمتاع يشتدّ وصاله بالانتفاع، **وطه عبد الرحمن** يقول في هذا الشّأن: "وقد تزدوج أساليب «الإقناع» بأساليب «الإمتاع»، فتكون، إذ ذاك، أقدر على التأثير في اعتقاد المخاطب، وتوجيه سلوكه لِمَا يَهَبُها هذا الإمتاع من قوة في استحضار الأشياء، ونفوذ في إشهادها للمخاطب، كأنه يراها بالعين"[1].

يرى **طه عبد الرحمن** أنّه قد يحدث تزاوج بين الإقناع والإمتاع مما يزيد شدّة التّأثير، فالإمتاع في بعض الحالات يحاكي الأشياء ويصوّرها للمخاطب، فيجعله يتخيل المشاهد وكأنّه يراها بالعين، فالتّخييل من أساليب الإمتاع، وأكثرها حضورًا في التّعبير الأدبي الشّعوري، فقوة التّأثير تتناسب طرديًا مع الإقناع والإمتاع، فالبليغ هو من يجمع بينهما في إنشائه للكلام بنيّة استمالة المخاطب وإقناعه، أو بغية توجيه سلوكه.

كما نجد **الأزهر زناد** يشير كذلك إلى الإمتاع بقوله: "بالخروج من الإبلاغ قصد الإعلام والإخبار وهي الوظيفة الأساسية في الكلام، إلى الإبلاغ قصد الإمتاع يخرج الكلام من الشفافية Transparence إلى الثخونة Opacité.

ففي المستوى الأول يكون الكلام مفهومًا واضحًا يخترقه الذهن إلى المدلول مباشرة .. وهو في المستوى الثاني أيّ عندما يخرج إلى الإمتاع كاللّغز لا بدّ من معالجته لولوجه واستكناه معناه فيُتوسل بالبنيّة التّركيبية والصوتيّة وغيرهما فيه." [2].

يقسم **الأزهر زناد** الكلام إلى مستويين؛ المستوى الأوّل وقد حصره في الإبلاغ الموجّه للإعلام والإخبار، والمستوى الثّاني ممثل في الإبلاغ قصد الإمتاع، فهذا المستوى حسبه غامض على عكس المستوى الأوّل، فشبّهه باللّغز فيجب إعمال العقل والتّفكير للوصول إلى حل اللّغز، وهكذا الجانب

---

[1] طه عبد الرّحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثّقافي العربي، الدّار البيضاء، ط3، 2008م، ص38.

[2] الأزهر زناد، البلاغة العربيّة نحو رؤية جديدة، مرجع سابق، ص16.

الإمتاعي من الكلام يرتبط بالبنيّة التّركيبيّة والصّوتيّة وغيرها، فحتى نلج إلى المستوى الثّاني وجب علينا الاهتمام بالتّحليل الأسلوبي للخطاب، حتى نتوصل ولو نسبيًّا إلى المعنى المتصل بالجانب المعجمي والصّوتي والدّلالي للكلام وغيرها من المستويات، وقد تتفاوت الوظيفة الإمتاعيّة حسب النّموذج اللّغوي المستخدم، "ولا شك أن الوظيفة الجماليّة الإمتاعية تتفاوت في القوة والضعف بحسب النماذج اللغوية التي تؤديها، لأن الأساليب تتفاوت فيما بينها في هذا المجال .. ولجمال الأساليب أسس ومقومات إذا توافرت في الأسلوب عُدَّ من النماذج الأدبية الرفيعة وتناقلته الأجيال جيلاً بعد جيل"[1].

فاللّغة الجماليّة تختلف باختلاف الأساليب المستعملة الّتي تُكسبها جمالًا يزيد في قوة التّأثير، وقد تضعف بضعف الأسلوب اللّغوي، فكلّما توافرت في الأسلوب أسس بلاغيّة ونحويّة وغيرها من المقومات كلّما عدّ من النّماذج الأدبيّة الرّاقيّة، ويزيد في عمرها الزّمني ويجعلها متوارثة من جيل إلى جيل وهذا ما يميّزها عن الكلام العادي.

يقول **محمّد الولي**: "إن البلاغيين قد حددوا للفنّ ثلاث وظائف: **الإفادة والإمتاع والإثارة**. وهذه الوظائف التي يشدّد عليها البلاغيون تفرض حضور الجمالي وتقوية فعاليته لأجل القضاء على سلبية المستمع الذي قد يكون خاملا أو متعبًا أو منحازًا إلى الخصم"[2].

حدّد البلاغيّون حسب **محمّد الولي** وظائف البلاغة في ثلاثة عناصر: الإفادة والإمتاع والإثارة، وبيّن أنّ الوظيفة الجماليّة الإمتاعيّة لها دور مهم في القضاء على السّلبيّة والملل الّذي قد يصيب المستمع، كما

---

[1] عبد العظيم إبراهيم محمّد المطعني، خصائص التّعبير القرآني وسماته البلاغيّة، أطروحة دكتوراه، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، ج1، 1992م، ص56.

[2] حسن المودن، بلاغة الخطاب الإقناعي نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب، دار كنوز المعرفة العلمية للنّشر والتّوزيع، الأردن، ط1، 2014م، ص192.

أنّها تستميل المتلّقي وذلك بالعزف على أوتاره النّفسيّة الّتي يمكن أن تكون منحازة للخصم، فالقوّة الإمتاعيّة لها عدة أدوار تتأرجح بين المتعة والإفادة والإقناع.

أورد **عبد الكريم قادا** في حديثه عن الإمتاع قول **أحمد المتوكل**، إذ يقول: "وقد لخص أحمد المتوكل إلى أن نظرية الدلالة في التفكير اللساني العربي تتحدد بمطابقة الخطاب لوضعية التلفظ، وبتزيين الخطاب بالطريقة التي تثير إعجاب المخاطب"[1].

يشير **عبد الكريم قادا** إلى نظريّة الدّلالة للّسان العربي، ويربطها بالمقام والمناسبة، فعمليّة التّلفظ تتّصل بمطابقة الخطاب للمقام، ولكن وجب أيضًا مراعاة الجانب الجمالي والإمتاعي للتّلفظ، وهذا من خلال تزيين الخطاب، فلا نهتم بالمقام ونُهمل الجانب الإمتاعي للخطاب، فالمخاطب يتأثّر بالكلام المقنع والممتع المناسب للحظة صدوره أو تلفظه من قبل المخاطِب، وبهذا تتفاوت القوّة التّأثيريّة من خطاب لآخر، بحسب الاهتمام بالجانب الإمتاعي من عدمه.

تبين لنا أنّ الإمتاع مهم في العمليّة الكلاميّة البلاغيّة، فقد يرفع من شأن الكلام وقد يحطّ منه، فجمال الأسلوب يزيد في قوّة التّأثير عند المستمع، ولا يتأتّى هذا إلاّ من خلال توظيف الإمتاع، واستغلال كلّ الأسس الّتي تزيد من درجته، وإذا ارتبط الإمتاع بالإقناع اشتدّ وصال الكلام وازداد متانة وقوّة، وعند تتبعنا للشّواهد البلاغيّة عند المعاصرين يتضّح أنّهم أولوا أهميّة لهذا الجانب، فالشّواهد البلاغيّة تؤدي وظيفة إمتاعيّة، تجعلها في بعض الحالات راسخة في الأذهان ومتوارثة من جيل إلى جيل.

2-2 الوظيفة الإمتاعية للشّواهد البلاغيّة:

نجد أنّ البلاغيين المعاصرين اعتنوا بالشّواهد البلاغيّة، وقد مزجوا بين التّراث والمعاصر، وكان للشّواهد الشّعريّة النّصيب الأوفر في الكتب البلاغيّة لما لها من قوة جماليّة وإمتاعيّة وتأثيريّة، والمتمعّن في كتب

[1] عبد العالي قادا، بلاغة الإقناع دراسة نظريّة وتطبيقيّة، دار كنوز المعرفة للنّشر والتّوزيع، عمان، ط1، 2016م، ص40.

البلاغة يرى أنّ الإمتاع يلعب دورًا هامًا في إيراد هذه الشّواهد، فلو نظرنا في كتب البلاغة نجد أنّ التّخييل حاز الحظوة في الجانب الإمتاعي للبلاغة العربيّة، فصقلت الشّواهد به ممّا شدّ القارئ شدًا، وجرّه جرًّا لاستكناه معالم الإمتاع في البلاغة العربيّة، والواقع يمكن للبليغ أن يجعل اللّفظ المهجور لفظًا مُستحبًا متداولا فيما بعد، إذا أحسن استعماله وأجاد وضعه وأحسن تصويره، فجعله ممتعًا مقبولاً في نفس السّامع، "وقديما كره الأدباء كلمة «أيضا» وعدوها من ألفاظ العلماء فلم تَجر بها أقلامهم في شعر أو نثر حتى ظَهَر بينهم من قال:

رُبَّ ورْقَاءَ هَتُوفٍ في الضُّحا ذَاتِ شَجْوٍ صَدَحَتْ في فَنَنِ

ذَكَرَتْ إلفًا ودهْـــرًا سَالِفًــا فَبَكَتْ حُزنًا فَهاجت حَزَنِي

فَبكائي رُبَّما أَرَّقَهَا وبُكاها ربَّما أَرَّقَني

ولَقدْ تَشْكو فَمَا أَفْهَمُهَا ولقدْ أَشكو فَمَا تفهمُني

غيْرَ أَنِّي بالجوى أَعْرِفُهَا وهي «أيضا» بالجَوى تعْرِفُني

فوَضع «أيضا» في مكان لا يتَطلب سواها ولا يَتَقَبَّل غيرها، وكان لها من الرَّوعة والحُسن في نفس الأديب ما يَعْجِزُ عنها البيان."[1].

بيّن **علي الجارم** أنّ حسن استعمال اللّفظ قد يجعله مقبولًا ومتداولًا عند الأدباء إذا أحسن القائل استعماله ووضعه المكان الّذي يستحقّ، وقد ضرب لنا شاهدًا على ذلك الّذي هو عبارة عن أبيات شعريّة، والحقيقة أنّها تحوي خيالاً وتصويرًا ممّا يجعل المتلقي يستمتِع عندما يقرأها، ولا تجعله يمجُّ لسماع

[1] علي الجارم، مصطفى أمين، البلاغة الواضحة البيان. المعاني. البديع، مرجع سابق، ص9.

كلمة "أيضا" بل يُطرب لذلك، وهذه هي قوة الوظيفة الإمتاعيّة الّتي تجعل القارئ لا يملُّ من سماع هذه الأبيات وترديدها لما فيها من جمال التّصوير وحسن التّخييل.

نال الشّعراء المعاصرون النّصيب الأكبر من الشّواهد الّتي استخدمها **مُحَّد ألتونجي** في كتابه (الجامع في علوم البلاغة)، ويُشهد لصاحبه حسن استغلاله للشّواهد المعاصرة، فمزج بين الإمتاع والإقناع، وذوقه المميز، وحسن اختياره، ففي حديثه عن أنواع الأساليب، يتطرّق إلى الأسلوب البلاغي فيقول: "فالأسلوب البلاغي شبيه بالأسلوب الأدبي، مع إضفاء روح البلاغة وآلاتها عليه، وهو أسلوب كبار الأدباء والشعراء كعبد الوهاب البيّاني، وبدر شاكر السياب، ونزار قباني.

يقول نزار قباني في حرب تشرين الظافرة، مخاطبًا وطنه دمشق الشام:

جاء تشرينُ، إنَّ وجهكِ أحلى بكثيرٍ .. ما سرُّه تشرينُ؟

يا دمشقُ البسي دموعي سِوارًا وتمنَّي .. فكلُّ صعبٍ يهونُ

وضعي طرحةَ العروس لأجلي إنَّ مَهرَ المناضلاتِ ثمينُ

اسحبي الذَّيل يا قنيطرة المجـ ـدِ، وكحِّلْ عينيك يا حَرَمون"[1].

يتحدّث مُحَّد ألنتونجي عن الأسلوب البلاغي، ويضعه فوق كل المستويات، فهو أسلوب الأدباء والشّعراء من أمثال نزار قباني، فهو هنا يُنصف الشّعراء المعاصرين ويَستشهد بأبيات جماليّة لنزار قباني، في حديثه عن حرب تشرين، ويُخاطب دمشق ويُصوّرها على أنّها حسناء، ويُطالبها بالتّزيُن له، وأن تمسح عيونها وتضع طرحة العروس، فيستمتع المتذوق للشّعر بهذه الأبيات، ويجعله يتخيل المشهد، فالبلاغي الحذق هو من يجيد استخدام الوظيفة الإمتاعيّة، فهو يشبه الرّسام في عمله، "وليس هناك من فرق بين البليغ

[1] مُحَّد ألتونجي، الجامع في علوم البلاغة المعاني، البيان، البديع، دار العزة والكرامة، الجزائر، ط1، 2013م، ص29.

والرَّسام إلا أنَّ هذا يتناول المسموع من الكلام، وذلك يُشاكل بين المرْئي من الألوان والأشكال، أما في غير ذلك فهما سواء."[1].

يتقاطع عمل البلاغي مع الرّسام، والاختلاف في مادة العمل، فالبلاغي يتناول الكلام، ويحاول نسجه وتصويره، وإخراجه بأحسن صورة، مستعملاً مختلف الأدوات، والآليات الّتي تتأرجح بين الإقناع والإمتاع، مثله مثل الرّسام الّذي يستعمل الألوان، والأشكال، ومختلف المواد لينتج لنا عملاً فنّيًا مرئيًا يجذب إليه إعجاب المتذوقين لفن الرّسم.

3- الوظيفة التّواصليّة:

إنّ أهم ما يميز اللّغة بحد ذاتها هو الصّفة التّواصليّة الّتي من أجلها يتخاطب الأفراد، فهذه الصّفة ضروريّة لإنشاء الكلام، والبلاغة تؤدي وظيفة تواصليّة تكون في بعض الأحيان حتميّة، فالخطيب يجتهد بلاغيًا لإيصال خطبته، وعلى خطاه يسير كل من المعلم والأديب والشّاعر...، فالوظيفة التّواصليّة تتواجد في ثنايا الشّواهد البلاغيّة، وإن كانت غير مدركة لدى البعض إلاّ أنّها ضروريّة في بناء الخطاب بشقيه، ويجب أن نشير إلى مفهوم التّواصل، حتّى يتسنّى لنا إبراز الوظيفة التّواصليّة للشّواهد البلاغيّة.

3-1 مفهوم التّواصل:

لغة:

جاء في لسان العرب: " **وصل:** وَصَلْت الشيء وَصْلاً، والوَصْلُ ضِدَّ الهِجْران، ابن سيده: الوَصْل خلاف الفَصْل ... ووَصَلَ الشيء إلى الشيء وُصُولاً وتَوَصَّل إليه: انتهى إليه وبَلَغه ... ووَصَّله إليه

---

[1] علي الجارم، مصطفى أمين، البلاغة الواضحة البيان. المعاني. البديع، مرجع سابق، ص8.

وأَوْصَله: أنهاه إليه وأَبْلغَهُ إياه"[1].

نرى أنّ مصطلح التّواصل في الأصل يتواشج مع عدّة معان، فنراه تارة يؤدي وظيفة الوصل فيكون بخلاف الفصل؛ أيّ الرّبط بين الأشياء، كما يعني الانتهاء والتّبليغ، فالتّواصل لغويًّا يَرْبِطُ بين المشاركين في العمليّة التّواصليّة، كما يمكن المُرسل من الإبلاغ، فغايّة اللّغة حسب **ابن جنّي** التّواصل بين مختلف أفراد المجتمع.

اصطلاحا:

لا يوجد اختلاف بين المعنى اللّغوي والاصطلاحي لمصطلح التّواصل، إذ يقول **تمام حسان**: "وعندي أن المعنى اللغوي للفظ «البلاغة» فرع على معنى «الإبلاغ» أو التوصل الذي هو موضوع من موضوعات علم الاتّصال. ولو أننا رجعنا إلى النموذج الذي وضعه «ياكوبسون» لأركان عملية الاتصال فلربما كان ذلك عونا لنا على فهم المقصود بالبلاغة."[2].

يشير حسان تمام إلى أنّ البلاغة تؤدي معنى الإبلاغ الّذي يرتبط أساسًا بالتّوصل، فالبلاغة حسبه تؤدي وظيفة تواصليّة، ومخطط **جاكبسون** يساعدنا على فهم المقصود بالبلاغة، والحقيقة أنّ غاية اللّغة في حدّ ذاتها التّواصل، والبلاغة تقوي التّواصل بين ركني العمليّة التّواصليّة — المرسل والمتلقي–، فالتّواصل بين الأفراد مهم في الحياة الاجتماعيّة، ولا يتأتّى هذا إلاّ من خلال الاستخدام الأمثل لعلوم اللّغة، والبلاغة تأتي على رأس هذه العلوم، وتزيد من درجة ذلك التّواصل وتكسوه حلّة تخييلية أو حجاجيّة.

---

[1] ابن منظور الإفريقي، لسان العرب، مصدر سابق، ج11، ص762.

[2] حسان تمام، المصطلح البلاغي القديم في ضوء البلاغة الحديثة، مجلّة فصول، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، مجلّد7، العدد: 3 و4، 1987م، ص27.

كما جاء في مقدمة كتاب الحجاج والتّواصل **لفيليب بروطون**: "تعني البلاغة إذن التحكم في إمكانات اللغة لأجل التواصل مع الآخرين وإقناعهم بوجهة نظرك أو رأيك أو موقفك أو سلوكك أو أطروحتك."[1].

يروم البلاغي إقناع واستمالة المستمع، ولكنّه يريد في المقام الأوّل التّواصل فلولاه ما قدر على الظّفر بالإقناع والاستمالة، ولا يتأتّى هذا إلّا من خلال استخدام استراتيجيات التّواصل، ضف إلى ذلك حسن استخدام الآليات اللّغويّة، فإقناع الآخرين بوجهة نظر أو موقف يتطلّب التّسلح بسحر البيان وفنون القول، فالتّمكن من البلاغة يُسهل على المرسل بلوغ مراده، وإذعان سامعيه في أغلب الأحوال والمواقف، كما عليه التّفنن في استخدام الشّواهد الّتي تفيده في عمليته التّواصليّة، فالاستخدام الأمثل للشّواهد هو السّبيل لنجاح عمليته التّواصليّة، وتختلف الشّواهد من مقام لمقام، فالشّواهد الّتي يستعملها الأستاذ أثناء إلقاء محاضراته في البلاغة تختلف حتما عن شواهد المُحاجِج الّذي يستدعي الشّواهد الّتي تخدم قضيته، وتُمكنه من الفوز على خصومه، فغالبا ما يشعر المتلقي بالملل والضّجر أثناء استماعه، وقد يتشتّت فكره فيضيع في غياهب المفردات، فتأتي الشّواهد لتشدُّه، وتُنجيه من الغرق الّذي كان فيه.

3-2 الوظيفة التّواصليّة للشّواهد البلاغيّة:

لا شكّ أنّ التّساؤل الّذي يُطرح هو: **كيف يمكن للشّواهد البلاغيّة أن تؤدي وظيفة تواصليّة؟**

إنّ الوظيفة التّواصلية سمّة البلاغة العربيّة، وما اشتغال علمائنا الأجلاء بالرّد على المشككّين وخصوماتهم الكلاميّة إلّا خير دليل على أهميّة الشّواهد البلاغيّة في التّواصل، وفي حجاجهم كان لزامًا عليهم استخدام الشّواهد البلاغيّة باختلاف أجناسها، فكتاب مجاز القرآن أُلّف نتيجة لسؤال **إبراهيم بن**

[1] فيليب بوطون، الحجاج في التّواصل، ترجمة مُحَّد مشبال، عبد الواحد التّهامي العلمي، المركز القومي للتّرجمة، القاهرة، ط1، 2013م، ص9.

إسماعيل الكاتب لأبي عبيدة في قضيّة بلاغيّة وهي التّشبيه، فكانت عمليّة حجاجيّة تواصليّة بين طرفين، ويمكن أن نمثل له بهذا المخطط:

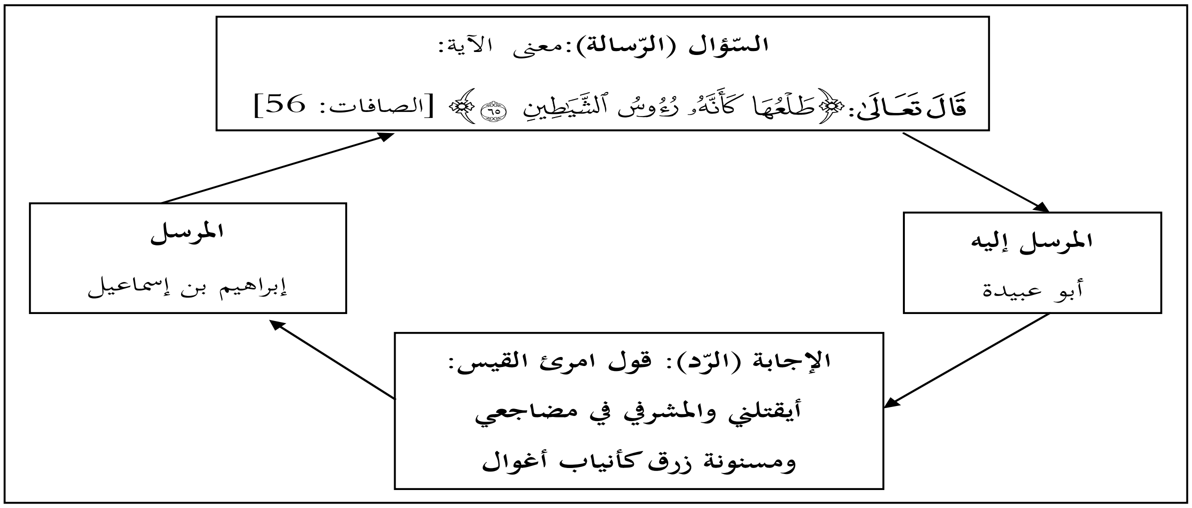

إذن نلاحظ من خلال هذا المخطّط العمليّة التّواصليّة: فقد كانت قائمة على تساؤل شغل **إبراهيم بن إسماعيل الكاتب** فطرحه على **أبي عبيدة**، ومنه فطرفي العمليّة التّواصليّة موجودان، يعني المرسل والمرسل إليه، والرّسالة موجودة وهي معنى الآية، والرّد كان عبارة عن شاهد شعري لامرئ القيس وما تعارفت عليه العرب في كلامها أي يمكن أن يكون المشبه به مجهول أو خيالي، والقناة هي اللّغة، فالواقع أنّ هذه العمليّة التّواصليّة الحجاجيّة تامة إذا ما قمنا بمقارنتها بمخطط التّواصل الذّي وضعه **جاكبسون**، وقد كانت في باب بلاغي ألّا وهو التّشبيه، إلاّ أنّ الشّواهد أدّت بعد تواصلي حجاجي.

انتّبه البلاغيون العرب لقضية التّواصل، وعملوا على تتبع العلاقة التّكاملية بين البلاغة والتّواصل فنجد **أحمد طايعي** في كتابه (التواصل البلاغي) ينتبه لقضيّة التّورية في البلاغة وأهمّيتها التّواصليّة، وقد استشهد بأبيات **لأبي العلاء المعري**، إذ يقول: "قال أبو العلاء المعري:

تَجلُّ عَنِ الرَّهْط الأمـــانيُّ عـادةً   لها من عَقِيــل في ممالكها رَهْــطُ

وحرفٍ كَنُون تحت راءٍ ولم يكن بدال يَــؤم الرَّســم غيَّره النَّقط"[1].

إنّ الشّاهد هو البيت الثّاني، فقد يعتقد من يقرأ البيت لأوّل مرّة أنّه يقصد حروف الهجائيّة (النّون والرّاء والدّال) خاصة أنّ أول البيت قوله (وحرف)، وختمه بالرّسم والنّقط، وهذا هو المعنى القريب، أمّا المعنى البعيد فقد قصد بحرف (النّاقة)، وبحرف النّون: تشبيه النّاقة في تقويسها وضمورها، والرّاء: الراكب الّذي يضرب رئتها، والدّالِ: الشّفيق، والرّسم: أثر الدّار، والنّقط: المطر، فمعنى أنّ هذه النّاقة لضعفها وهُزالها تشبه النّون في تقويسها تحت رجل يضرب رئتها ولم يُشفق عليها أثناء المسير، ويؤم بها دارا غيّر المطر رسمها.

فلا يُمكن أن يصل إلى فهم هذا البيت إلاّ من كان متمكنًا في اللّغة، ومعروف عن **أبي العلاء** تصرفه في الشّعر على هذا النّحو، فلا يُدرك المقصود من هذا الشّاهد إلّا من بعد تفحص وتمعن وتمكن من اللّغة ومعرفة معاني مفرداتها، وهذه هي قمة الإبداع البلاغي عند شعراء العرب، فجمهور المتلقين يختلف في تأويل هذا البيت، ولكن طبقة متذوقي الشّعر ورواد مشاربه هم من يصلون إلى فهم المقصود، فيحدث التّواصل مع طبقة معينة من المتلقين، فلكلّ شاعر جمهور يتواصل معهم بطريقة ما.

لم يكتف **أحمد طالعي** بالشّواهد الشّعريّة في حديثه عن التّورية وتأديتها للعمليّة التّواصلية، بل استدعى شواهد نثريّة، إذ يذكر قول أبي بكر الصديق ﵁ "في الهجرة، وقد سئل عن النبي ﷺ، فقيل له: من هذا، فقال: هاد يهديني، وكان قصد أبي بكر هو: هاد يهديني إلى الإسلام، فورى عنه بهادي الطريق الذي هو الدليل في السفر."[2].

---

[1] أحمد طايعي، التّواصل البلاغي من المصرح به إلى المسكوت عنه، منشورات زاوية، مطبعة أمنية، الرّباط، ط1، 2008م، ص51.

[2] المرجع نفسه، ص40.

يوضح **أحمد طايعي** أنّ التّورية مفيدة جدًا في العمليّة التّواصليّة، ففي هذا الشّاهد نلاحظ أنّها أدت إلى الإيهام المقصود، فسيدنا أبو بكر الصّديق ﷺ أراد أن يُوهم السّائل بأنّ الرّسول ﷺ مرشده أي الدّليل، ولكنه في الواقع يقصد هاديه إلى الطّريق الصّحيح أيّ إلى الإسلام، وهكذا تمت العمليّة التّواصليّة بدون أن يُدرك السّائل حقيقة الأمر، وهذا لا يتأتى إلّا لشخص بليغ يعرف كيف يستعمل التّورية حتى يتخطى الأمور ويَحتاط من الغرباء، والصّحابة رضوان الله عليهم كانوا أبلغ العرب وأفصحهم، يحوزون فنون الكلام ويبدعون في نسج مفرداته، وهكذا يتّضح أنّ التّورية مفيدة في العمليّة التّواصليّة فلا يفك شفراتها إلاّ من كان ضليعًا باللّغة، متمكنًا من آلياتها البلاغيّة، فتكون الرّسالة موجهة بعناية لفرد أو مجموعة من الأفراد دون غيرهم، فيتداخل التّواصل والنّفع في آنٍ واحدٍ.

5- الوظيفة النّفعيّة:

لا شكّ أنّ من يملك ناصية القول وفنون البيان قد يستغل هذا من أجل تحقيق الوظيفة النّفعيّة فالخطيب والشّاعر يلفى ذاته أمام مواقف تجعله يستخدم مؤهلاته القوليّة في كسب المنفعة، فما نَفْعُ الشّعراء عندما يأتون من كل حَدْبٍ وصَوْبٍ للنّابعة حتّى يعرضوا أشعارهم عليهم، أمّا لهذا الحكم أن يرفع من شأنهم ويجعل كلامهم مأثورًا لدى عامة النّاس، وما وقوف الشّعراء على أبواب الخلفاء طلبًا للمال وتقربًا للبلاط إلاّ من جزاء أقوالهم، فكلامهم هو الّذي يرفعهم أو يحطهم، ولكن من جعلوا أعمالهم خالصةً لوجه الله وتقربًا له يريدون به أجر الآخرة –نقصد شيوخ البلاغة – فالله يعزّهم في الدّنيا ويرفعهم في الآخرة، ويشرفهم بين أقوامهم، وتبقى أعمالهم خالدة، فلا الزّمن حطّ من قيمتها، ولا تعاقب الأجيال أنقص من شأنها، فالبلاغة وجدت لفهم كتاب الله عزّ وجلّ، فالوظيفة النّفعيّة موجودة في البلاغة العربيّة، فلكل خطاب غايّة وُجد من أجلها، ولكن قد تختلف نيّة المتكلم فتتغير معها الغايّة النّفعيّة، والشّواهد البلاغيّة تحوي هذه الوظيفة وتختلف من شاهد لآخر، ولا بدّ من تتبع المعنى اللّغوي والاصطلاحي للفظ "النّفع"، وبعدها نحاول تقصي الشّواهد البلاغيّة المشبعة بالوظيفة النّفعيّة.

1-5 مفهوم النّفع:

لغة:

جاء في تهذيب اللّغة: "قال الليث: نَفَعَ يَنْفَعُ نَفْعًا فهو نافع، والنفْع ضد الضّر، وفلان ينتفع بكذا وكذا"[1].

وابن فارس يحذو حذو الأزهري في تعريفه لمصطلح (نفع)، إذ يقول: "(نفع) النون والفاء والعين: كلمة تدلُّ على خلاف الضّر"[2].

يتّضح من خلال التّعريف اللّغوي أن النّفع والانتفاع ضد الضّر، ومعلوم أنّ العرب تستعمل قاعدة الأشياء بأضدادها تعرف، فقد أوجز العالمان اللّغويان الكلام وعرفا النّفع على أنّه ضد الضّر، فاختصرا الكلام وبلغا المراد بأوجز الألفاظ.

اصطلاحا:

يتقاطع المعنى اللّغوي مع المعنى الاصطلاحي للفظة النّفع، فينحصر في الغالب على الإفادة، ووظيفة اللّغة في حدّ ذاتها ترتكز على الجانب النّفعي، وقد تفيد في بعض الأحيان الإمتاع فقط، لكن إذا ما حوت القُطبين أي النّفعي والإمتاعي كانت للبلاغة أقرب وللمجتمع أنفع، ورغم أنّ الوظيفة الجماليّة هي هدف كل الفنون والآداب إلّا أنّ هذا لا يمنع من تشارك الإمتاع والنّفع غالبًا، وفي هذا **يقول عبد العظيم إبراهيم محمَّد المطعني**: "ووظيفة اللغة الجمالية هي الهدف من كل الفنون والآداب .. وغايتها الإمتاع ولكنها لا تخلو من النفع غالبًا. لأن الفن الجدير بالتقدير هو ما كان للمجتمع وليس للفن. وهي

---

[1] الأزهري، تهذيب اللّغة، مصدر سابق، ج3، ص5.

[2] ابن فارس، مقاييس اللّغة، مصدر سابق، ج5، ص463.

في «الفن للفن». وظيفة جمالية إمتاعية فحسب، أما في ((الفن للمجتمع)) فهي وظيفة جمالية إمتاعية نفعية"[1].

يتضّح من خلال هذا القول أنّ الجمال مَطْلَب أغلب الفنون والآداب، فالفنّ بمجالاته المختلفة بما فيها الآداب موجّه للمجتمع، فما ينتج يجب أن يحوي الإمتاع والنّفع، فلا قيمة لفنّ من أجل الفنّ فقط، لأنّه يروم الغايّة الإمتاعيّة، والآداب الموجهة للمجتمع يجب أن تجمع بين الخاصيتين –الإمتاع والنّفع–، فالفنون والآداب في بعض الحالات تكون موجّهة لسلوكيات المجتمع.

لطالما ارتبطت البلاغة بالنّفعية، "فالبلاغة فن الوصول إلى تعديل موقف المستمع أو القارئ، مما يجعلها أداة نفعية ذرائعية. وبنفس الطريقة يرى "**ليتش**" أن البلاغة تداولية في صميمها؛ إذ أنها ممارسة الاتصال بين المتكلم والسامع، بحيث يحلان إشكالية علاقتهما، مستخدمين وسائل محددة للتأثير على بعضهما."[2].

يبيّن لنا **رشيد حفناوي** علاقة البلاغة بالنفعيّة والتّواصل والإقناع، فحسبه البلاغة هي فن تغيير المواقف، واستمالة المستمعين فتصبح أداة نفعيّة ذرائعيّة، وهذا لا يحصل إلّا من خلال الاستخدام الأمثل للآليات البلاغيّة، الّتي تلعب دورًا مهمًّا في التّأثير بين طرفي العمليّة التّخاطبيّة، فيحدث النّفع وتعم الفائدة في أغلب الحالات.

5-2 الوظيفة النّفعيّة للشّواهد البلاغيّة:

تتأرجح الشّواهد البلاغيّة في القضايا النّفعية باختلاف دروبها، فنراها تستدعى في حضرة علماء الكلام، ونراها تارة يتجاذبها أصحاب البلاغة التّطبيقية، ونراها تارة متكئة في مجالس الذّكر، فيستدلُّ بها

[1] عبد العظيم إبراهيم مُحَّد المطعني، خصائص التّعبير القرآني وسماته البلاغيّة ، مرجع سابق، ص56.

[2] حفناوي رشيد بعلي، مسارات النّقد ومدارات ما بعد الحداثة في ترويض النّص و تفويض الخطاب، مرجع سابق، ص91.

في قضايا الإعجاز، فكلّ خطيب يروم النّفع من خلال استنجاده بالشّواهد البلاغيّة، والحقيقة حاله حال كل باحث في البلاغة العربيّة ينتقي من الشّواهد البلاغيّة ما يخدم بحثه ويوصل فكرته ويزيد من إذعان مناصريه، والباحثين المعاصرين يستفيدون من ثروة تراثنا الأدبي، فلا يكاد كتاب بلاغي يخلو من الشّواهد التّراثيّة الّتي مازالت تمدّ الباحثين المعاصرين بالمدد متى شاؤوا ذلك، فأنصار الاتّباع حاضرون بقوة من خلال كتاباتهم البلاغيّة، ومعلوم أنّ الوظيفة النّفعية للشّواهد البلاغيّة ليست وليدة هذا العصر، إنما هي وظيفة متوارثة فلطالما استدعيت الشّواهد الشّعريّة مثلا في فهم غريب القرآن ولنا كمثال على ذلك إجابات ابن عباس على نافع بن الأزرق، إذ تقول **عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ**: "وسأل بن الأزرق عن قوله تعالى: ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ٣٥﴾ [المائدة: 35] فقال ابن عباس: الوسيلة الحاجة. ولما سأله نافع: وهل تعرف العرب ذلك؟ أجاب: نعم، أما سمعت قول ((عنترة):

إن الرجالَ لهم إليكِ وسيلة أن يأخذوك تكحَّلي وتخضَّبي"[1].

إنّ لكلّ لفظة في القرآن معناها الّذي تؤديه فلا يمكن أن تحلّ محلّها أيّ لفظة أخرى، ولكن يمكن أن تقترب فقط من المعنى الأصلي لها، وقد استعان **ابن عباس** رضي الله عنه بشعر عنترة في تفسير لفظة (الوسيلة) فهكذا تؤدّي الشّواهد وظيفة نفعيّة في فهم غريب القرآن، ولم ينكر نافع استخدام ابن عباس رضي الله عنه للشّعر بل اقتنع بإجابته، فالقيمة النّفعيّة للشّواهد الشّعريّة امتدت عبر أحقاب زمنيّة طويلة فحتّى يومنا هذا نستفيد من هذه الشّواهد، وننتفع بها في فهم غريب القرآن، وما زاد من نفع هذه الشّواهد هو ولوجها إلى ميدان التّعليم، فأصبحت تُحفظ من قبل طلاب العلم وتتناقل بينهم، فكلّما اقترن الكلام بالإمتاع والإقناع والنّفع كلّما تربّع على عرش الزّمان فطال أمده وكثُر نفعه.

تؤدّي الشّواهد البلاغيّة باختلاف أجناسها **الوظيفة النّفعية التّعليميّة**، فلا يمكن الاستغناء عنها بأيّ حال من الأحوال، فكلّ طالب حريص على تعلّم البلاغة لابدّ له من معرفة الشّواهد البلاغيّة، وحتّى يتمكّن من ذلك يجب عليه المرور بالمصنّفات البلاغيّة التّراثية دون إهمال الأعمال الأدبيّة المعاصرة، فقد

[1] عائشة عبد الرّحمن بنت الشّاطئ، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، دار العارف، مصر، (د ط)، 1971م، ص279

يتناول الطّالب كتاب(في البلاغة العربية علم البيان) لعبد العزيز عتيق، فعند تصفحه لمبحث الكناية يجد شاهدًا شعريًّا لشاعر معاصر، إذ يقول عبد العزيز عتيق: "كقول شاعر معاصر:

بين برديك يا صبية كنز   من نقـــاء معطر معشــوق

وبعينيك يا صبيــة شجـو   ساهم اللمح مستطار البـريق"[1].

يستدعي **عبد العزيز عتيق** في حديثه عن الكناية شواهد شعريّة لشاعر معاصر، لم يسند الأبيات لقائلها بل اكتفى بكلمة معاصر فقط، وهذا يبيّن للقارئ الحيز التّاريخي للشّاهد، وقد استفاد من الأبيات في تبيان الكناية عن نسبة، ففي البيت الأوّل كناية عن نسبة (الطهارة) للمخاطبة بما يستلزم هذه الصّفة وهو (كنز من نقاء)، وفي البيت الثّاني (بين عينيك يا صبية شجو) فقد عدل فيه عن نسبة صفة الشجو إلى الموصوف مباشرة ونسبتها إلى ما له اتّصال به، وهو هنا (العينان).

تُحقِقُ مثل هذه الشّواهد الغايّة النفعيّة التّعليميّة الّتي تعتبر من أسمى الغايات ومن أشرف المنازل، ويصبح يسيرًا على الطّلاب معرفة الكناية وأنواعها، فيحدث الإمتاع والنّفع في آن واحد، وقد استشهد عبد العزيز عتيق بكثير من الشّواهد لتبيان أنواع الكناية، وقد اعتمد على شواهد قرآنيّة وشواهد شعريّة تراثيّة بنسبة كبيرة، وهذا حتّى تعمّ الفائدة ويحصل النّفع.

تمحورت أعمال المعاصرين على تحليل الخطاب مركزين على الجانب الإقناعي للبلاغة أو ما يعرف بالحجاج، فعند رجوعنا إلى الأعمال في هذا الجانب –الدّراسات المغاربيّة حافلة في هذا المجال- نرى أنّ الباحثين نهلوا الشّواهد من الجانبين أيّ من التّراث والمعاصر، وهذا ما أخرج البلاغة من حالة الجمود والرّكود الّذي وصفت به لحقب زمنيّة طويلة، وأعاد للبلاغة الجانب المُهمل الممثل في الجانب الإقناعي النّفعي، فاستفاد الباحثون من الدّراسات الغربيّة في هذا المجال، وطبقوا الآليات اللّغويّة الحديثة على تراثنا

[1] عبد العزيز عتيق، علم البيان، دار النّهضة العربيّة للنّشر والتّوزيع، بيروت، (د ط)، 1975م، ص218.

البلاغي والمعاصر، فبُعثت الشّواهد النّثرية من خطب دينيّة ورسائل بديعيّة، وقصائد شعريّة وأُخضعت لتلك الآليات، فمسألة إحياء الشّواهد التّراثية وبعث الشّواهد المعاصرة مهمّة عسيرة يتحمل ثقلها الباحثون البلاغيون بمختلف توجهاتهم.

4- الوظيفة الإبلاغيّة:

تأتي هذه الوظيفة في الرّيادة نظرًا لأهميتها، فالبلاغة العربيّة سميّت بهذا المسمى لحصول الفائدة الإبلاغيّة، وبما أنّ الشّواهد البلاغيّة سمّة الدّرس البلاغي، فإنّها تؤدّي بعدًا إبلاغيًّا، وقد يتفاوت هذا البعد من شاهد لآخر ومن متلقي لآخر، وعلى حسب محصوله المعرفي الّذي يلعب دورًا كبيرا في إدراك هذه الوظيفة، ولا بدّ من الإشارة لأنّ لفظ "الإبلاغية" مأخوذ من الجذر الثلاثي (ب ل غ)، وقد أشرنا في الفصل الأوّل لماهيته.

يرتبط مصطلح الإبلاغيّة بالعديد من المصطلحات الأخرى كالأسلوب والسّياق والانزياح وانتقال الدّلالة، وقد يستدعى شاهد بلاغي بكثرة لزخم الطّاقات الإبلاغيّة فيه، وسنخوض في مسألة تحقيق الشّاهد البلاغي للوظيفة الإبلاغيّة.

4-1 الوظيفة الإبلاغيّة للشّواهد البلاغيّة:

إنّ الشّواهد البلاغيّة تستدعى غالبًا لتحقيق الوظيفة الإبلاغيّة فهي مُراد المتكلم وسبيله لإيصال أفكاره، فلا بدّ له من مراعاة قدرة الشّاهد على تحقيق هذه الوظيفة، فلو تتبعنا الشّواهد الواردة في كتب البلاغة المعاصرة، سنلاحظ تكرار بعض الشّواهد التّراثيّة دون غيرها، ويمكن أن نمثّل لذلك بشاهد شعري لنّابغة الذّبياني:

"قول النابغة:

فإنك كالليل الذي مُدركي وإن خلت أنّ المنتأى عنك بعيد"[1].

فبالرغم أن هذه الأبيات من الشّعر الجاهلي إلّا أنّها ما زالت كثيرة الدّوران في كتب البلاغة، لما لها من صورة جماليّة وطاقة إبلاغيّة، ....فبيت النّابغة ورد في حديث الجرجاني عن التّمثيل وهو من الشّواهد الّتي وردت كثيرا في كتب البلاغة المعاصرة، لما يحويه من قدرة هائلة على التّخييل، وطاقة إبلاغيّة وقدرة على التّصوير، حيث نلاحظ عبقرية النّابغة في تشبيهه للمخاطب باللّيل الّذي لا يمكن الفكاك منه، وما توّهم الشّاعر بالبعد عن المخاطب كتوهم من يودّ الفرار من اللّيل، وهو أمر مستحيل فلا نجاة من ذلك، إنّ مثل هذه الشّواهد لن ينقص الزّمان من قيمتها، ولا يُمكن تجاهلها أبدًا.

ومن الشّواهد البلاغيّة ذات الطّاقة الإبلاغيّة، نجد بيت تكرر كثيرًا في كتب البلاغة، وقد ورد في باب التّشبيه في كتاب التّلخيص، وهو لبشار بن برد الّذي يقول:

"كَأَنَّ مُثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رَؤُوسِنَا * وَأَسْيَافُنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ"[2].

إنّ الذّوق الرّفيع، وسلاسة الأسلوب وبعد التّخييل ساهموا في تكوين شاهد بلاغي ذي طاقة بلاغيّة هائلة، ولا يمكن لشاهد بلاغي أن يُعمّر لحقب زمنيّة دون أن يتّسم بهذه الطّاقة الإبلاغيّة، وبيت بشار بن برد يتميز بعدة مميزات لغويّة وأسلوبيّة تجعل البلاغيّين يتسابقون لتزيين كتبهم البلاغيّة بهذا الشّاهد وأمثاله، وشاهد آخر يحمل نفس الطّاقة الإبلاغيّة إن لم نقل يتجاوزها وهو قول امرئ القيس، فتأمل معنا قوله:

"وليلٍ كموجِ البحرِ أرخى سدوله عليَّ بأنواع الهموم ليبتلي"[3].

[1] الجرجاني، أسرار البلاغة، مصدر سابق، ص28.

[2] القزويني، التّلخيص، مصدر سابق، ص254.

[3] عبد العزيز عتيق، علم البيان، مرجع سابق، ص101.

استطاع امرؤ القيس أن يصوّر معاناته النّفسيّة، ويوصل إلينا حقيقة هذه المعاناة من خلال الطّاقة التّخيليّة والإبلاغيّة للمفردات المستعملة، فهو لم يكتف بقول (وليل كموج البحر)، بل انتقى لفظ أرخى الّذي يحمل دلالة الاتكاء والثّقل على المتكأ عليه، و شبّه ليله بموج البحر وليس البحر، وهذا ما يبين أنّ هذه اللّيلة مختلفة عن اللّيالي الأخرى، وتتجلّى معاناة الشّاعر في الشّطر الثّاني من خلال ذكر الهموم الّتي ابتليّ بها، فاستخدام هذا التّشبيه زاد البيت طاقة إبلاغيّة، لا يُدركها إلّا متذّوق الشّعر، والباحث في جماليّة التّعبير البلاغي.

خلاصة الفصل الثّاني:

سار العلماء المعاصرون على نهج أسلافهم في خدمة البلاغة العربيّة مستفدين من الدّراسات الحديثة في علم اللّغة تتقدمها اللّسانيات بمختلف فروعها والتّداوليّة والحجاج، فكانت التّربة الخصبة للإبداع والخروج من ثوب الاتّباع، وهذا ما جعلهم يتجهون لاستدعاء الشّواهد البلاغيّة في عمليتهم الإبداعيّة فأسسوا لأنفسهم قضايا جديدة تختلف عن القضايا التّراثيّة الّتي ظلّت مبثوتة في المصنفات المعاصرة، وإذا ما حاولنا أن نعرج على عوامل استدعاء الشّاهد البلاغي عند المعاصرين فإننا نرى أنّه لا يختلف كثيرًا عن القدامى فبقى العامل الدّيني هو الموجّه في عمليّة الاستدعاء يليه العامل التّاريخي والعامل الذوقي.

الفصل الثالث: الشّاهد البلاغي عند البلاغيين المعاصرين

المبحث الأوّل: معايير انتقاء الشّاهد البلاغي عند مُحَمَّد عبد المطلب

المبحث الثاني: منهج التعامل مع الشّاهد الشعري عند مُحَمَّد عبد المطلب

المبحث الثّالث: ضوابط الاحتجاج بالشّاهد البلاغي عند أحمد مطلوب

المبحث الأوّل: معايير انتقاء الشّاهد البلاغي عند مُحَمَّد عبد المطلب

تمهيد:

ليس من السّهل البحث في قضيّة الشّاهد البلاغي وإدراك عدة قضايا متعلقة به، نظرا لبنيته الهلاميّة الّتي لطالما تتغير وتتجدد بما يخدم البحث الأدبي، وكذا للعامل الذّوقي المتدخل في تكوينه وتطبيقه واختياره، وقد حاولنا في هذا المبحث أن نسلط الضوء على المعايير المتبعة في اختيار الشّاهد البلاغي عند المعاصرين وبالتّحديد عند الباحثين العرب المعاصرين، وسنحاول استقراء الشّواهد البلاغيّة عند بلاغي معاصري وهو: مُحَمَّد عبد المطلب.

1- قضية اختيار الشّاهد عند مُحَمَّد عبد المطلب:

إنّ الوقوف على مسألة اختيار الشّواهد البلاغيّة مسألة شائكة في حدّ ذاتها، فاختيار الشّواهد يخضع لمعايير تتأرجح بين الاتّباع والابتداع، وقد تتداخل عدّة عوامل في تفضيل شاهد على آخر، فلذوق الباحث وتأثره بباحثين سابقين الأثر البالغ في قضية الاختيار، ناهيك عن البعد التّاريخي للشّاهد، فهذا المعيار يعدّ من أهم وأبرز العوامل في اختيار الشّاهد، وعند تتبعنا لكتابي مُحَمَّد عبد المطلب (البلاغة العربية قراءة أخرى) وكتاب (البلاغة والأسلوبية) نجده استدلّ بالكثير من الشّواهد التّراثيّة الّتي لطالما حفلت بها الكتب البلاغيّة السّابقة، وهذا يقودنا لطرح عدة تساؤلات:

ما المعايير الّتي استعان بها مُحَمَّد عبد المطلب في اختياره للشّواهد؟ أكان مُحَمَّد عبد المطلب إتباعيًا في قضية اختياره للشّواهد أم أنّه نهج نهجا تجديديًا؟

نتوسل الوقوف على أهم المعايير الّتي أثّرت في اختيار مُحَمَّد عبد المطلب لشواهده البلاغيّة من خلال مصنّفه (البلاغة العربيّة قراءة أخرى)، وفيما يلي المعايير المتبعة من طرف مُحَمَّد عبد المطلب في اختياره للشّواهد البلاغيّة، ولا مناص لنا إلا اعتماد المنهج الإحصائي للشّواهد الواردة في مصنفه حتّى نتمكن من استقراء المعايير الّتي اعتمدها، ونقترب أكثر من العوامل المتدخلة في اختياره للشّواهد،

وعند تصفحنا لكتاب " البلاغة العربية قراءة ثانيّة" وجدنا أنّ الكاتب اعتمد على شواهد بلاغيّة تتأرجح بين المصادر الثّلاث للّغة ونقصد القرآن، والحديث النّبوي، والشّعر، وقد مثلناه في هذا الجدول:

الرقم	الفصل	شواهد قرآنية	شواهد الحديث النبوي	شواهد شعرية تراثية	شواهد شعرية معاصرة	شواهد نثرية ت/ م
01	موقف من البلاغة	00	00	05	00	
02	مدخل إلى البلاغة	03	01	31	00	
03	المدخلُ بين التُراث والمعاصرة				10	01 م
04	بنيّة التّحول			01		
05	أسلوبيّة التّحول	03		12		
06	علم البيان	22	01		07	
07	علم المعاني	58		44		
08	علم البديع	36		40	07	03
المجمـــــــــوع		122	02	133	24	04

– الجــــــــدول رقم 01 –

من خلال تحليل هذا الجدول يمكننا القول أنّ نقف على المعايير المؤثرة في استدعاء الشّواهد البلاغيّة، ويعتبر العامل الدّيني والتّاريخي من أهم العوامل على الإطلاق، ولا نرى في ذلك إشكال لأنّ البلاغة لا وجود لها إلّا بوجود القرآن، فقد نمت في أحضان البيئة الدّينيّة، واستوت على أيدي أئمة وشيوخ كرّسوا حياتهم خدمةً للقرآن الكريم وفهم إعجازه، فكان لهذا العامل الأثر الواضح في عملية اختيار الشّواهد، والعامل التّاريخي يلقى هو الآخر بظلاله على الشّواهد خاصّة المتعلقة بالشّعر العربي، فلا نجزم بأن الإبداع الشّعري محصور على القديم ولكنّه يحظى بالتّميُّز والسّبق اللّذين يجعلان من هذا العامل مؤثرًا في عملية انتقاء الشّواهد الشّعريّة، ممّا يحتّم على الباحث استخدام الشّواهد الشّعريّة القديمة إحياءً لها، وبعثها من جديد ليتمكن طالب اليوم من الاطلاع على الكنوز الأدبيّة لأجدادنا، ولما لها من طاقة إبلاغيّة وحمولة إقناعيّة تجعل القارئ يذعن ويتذوق جماليّة تكوين الشّاهد الشّعري التّراثي، ولكن يبقى العامل الدّيني أكثر تأثيرا في المتلقي.

1-1- المعيار الدّيني:

يعتبر المعيار الدّيني من أهم المعايير المؤثرة في انتقاء الشّواهد البلاغيّة، لمـّا يملكه من طاقة إبلاغيّة تفوق الشّواهد الأخرى، ولا جرم أن يعتمد البلاغيون الشّاهد الدّيني في تناولهم لعلم البلاغة، ومُحمّد عبد المطلب ينهج نهجا مماثلاً في اعتماده على الشّواهد الدّينيّة، يأتي القرآن في مقدمتها يليه الحديث النّبوي، وقد استعان مُحمّد عبد المطلب في كتابه (البلاغة العربية قراءة أخرى) كثيرًا بالشّواهد القرآنيّة فالكتاب يعجُّ بها، فمثلاً في باب "علم البيان " استشهد باثنين وعشرين (22) شاهدًا قرآنيًا، والنّظر في الكتب البلاغيّة يجعلنا نعلم أنّ الباحثين يحملون راية الدّفاع عن الدّين الإسلامي وبيان إعجاز القرآن الكريم، والاستعانة بالشّواهد القرآنية يختلف من باحث لآخر، والواقع أنّها تحمل طاقة إبلاغيّة تختلف كل الاختلاف عن الطاقة الّتي تحملها شواهد الأجناس الأدبيّة الأخرى، ويبقى اجتهاد علماء البلاغة في الاستعانة بالشّواهد القرآنية يتفاضل من عالم لآخر، وفي هذا يقول ابن قتيبة رحمه الله: "ولو

كان القرآن كله ظاهرا مكشوفا حتى يستوي في معرفته العالم والجاهل، لبطل التفاضل بين الناس، وسقطت المحنة، وماتت الخواطر"[1].

يتفاوت العلماء في تأويل والقرآن والاستعانة بشواهده، وهذا يُقاس على علماء البلاغة في تناولهم للشّاهد القرآني، فهناك من يُكثر من الاستعانة به كمحمد عبد المطلب الّذي يجعل منه الشّاهد الأكثر استخدامًا في الفصل السّابع والمتعلق بعلم المعاني، فقد استدعى ثمانيّة وخمسين شاهدًا قرآنيًا (58) ويتفوق على الشّاهد الشّعري التّراثي الّذي ورد لأربعة وأربعين مرة (44)، أما في الفصل الثّامن والخاص بعلم البديع، فقد ورد ستة وثلاثون(36) مرة مقارنة بالشّاهد الشّعري الّذي ورد لأربعين (40) مرة.

يوضح التّحليل الإحصائي للشّواهد القرآنيّة الوارد في كتاب مُحَّد عبد المطلب أنّ نسبة 95% من الشّواهد جاءت في ثلاث فصول الأخيرة للكتاب، وهذا أمر محتوم نظرًا لكون هذه الفصول تتعلق بالبناء الثّلاثي للبلاغة، ونقصد بذلك علم البيان والمعاني والبديع، ومن الشّواهد القرآنيّة ما جاء في باب الاستعارة، إذ يقول مُحَّد عبد المطلب:

" قَالَ تَعَالَى:﴿ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ ﴾ [الإسراء: 24] وقوله: ﴿ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ ﴾[2]" [النحل : 112].

يشير مُحَّد عبد المطلب إلى الاستعارة في الآيات السّابقة مستعينًا باللّسانيات، فيحاول أن يبيّن البنيّة العميقة للاستعارة وكيف تتحكم في الإنتاج الدّلالي، فهو يُبدع في طرحه، فيتناول الاستعارة وفق منهج جديد مستخدمًا النّظريات الحديثة، ومستمدًا شواهده من القرآن الكريم، فلا يحيدُ عن نهج القدامى في استخدامهم للشّواهد القرآنيّة عند تناولهم المباحث البلاغيّة الّتي شغلتهم لحقب زمنيّة طويلة، وباب الاستعارة من الأبواب الّتي نالت حظها من الدّرس البلاغي، ولا زالت مبثوثة في كتب

[1] أبو مُحَّد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، شرحه ونشره السّيد أحمد صقر، المكتبة العلمية، (د ط)، (د ت)، ص86.

[2] مُحَّد عبد المطلب، البلاغة العربية، قراءة أخرى، مرجع سابق، ص168.

البلاغة المعاصرة، وتأتي الشّواهد القرآنيّة في مقدمة الشّواهد عند تناول هذا الباب، فمنزلة القرآن تعتلي مرتبة تفوق وتتجاوز المصادر الأخرى، فالطاقة الإبلاغيّة لشواهد القرآن الكريم تتفوق على الشّواهد الأخرى، فلا مناص من استخدامها في تناول المباحث البلاغيّة المختلفة.

إنّ إعجاز القرآن شغل البلاغيين وألهمهم، وقد حيّرهم جمال أسلوبه، فسمّى على الأساليب القوليّة الأخرى، فأنزلوه منزلة خاصّة، وأعتنوا بدراسته وتدريسه عناية خاصّة، وراحوا يستخرجون بدائعه اللّغويّة، وأوغلوا في استقصاء لطائفه البلاغيّة ومحاسنه الإبداعيّة إلى غاية اليوم، فعند تصفحنا لباب البديع في كتاب (البلاغة العربية قراءة أخرى) نقف على (36) ستة وثلاثين شاهدًا قرآنيًا، ويمكن أن نستدل بما جاء في الحديث عن المشاكلة وبالتّحديد المقابلة، ونورد هذا القول:

"ففي مقابلة المفرد بالمفرد يمثّلُ بقوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ ۝٤٠﴾ [الشورى 40]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۢ بِمِثۡلِهَا﴾ [يونس 27]، الضّابِطُ للمستوى العميق لإنتاج المماثلة: أن كلَّ كلامٍ كانَ مُفتقرًا إلى الجوابِ، فإنَّ جوابَهُ يكونُ مماثلا، أمّا إذا لم تحتملْ بنيةُ العمقِ هذا الجوابَ، فإنَّ المماثلةَ تفقدُ أهميّتَها في السّياق نحو قوله تعالى: ﴿وَوُفِّيَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَا يَفۡعَلُونَ ۝٧٠﴾ [الزّمر 70]"[1].

نلحظ أنّ مُحَّد عبد المطلب استعان بثلاثة شواهد قرآنيّة في حديثه عن مقابلة المفرد بالمفرد وهو عدد لا يُستهان به، فقد كان قادرًا على أن يستشهد بأقوال نثريّة أو أبيات شعريّة إلّا أنّه أبى إلّا أن يستشهد بالقرآن الكريم لما له من منزلة عظيمة، وشرف للبلاغي استشهاده بالقرآن فهو واجب على كل باحث غيور على دينه وتراثه، ولا يمكننا بأي حال من الأحوال وتحت أي طائل أن نحيد عن استخدام الشّواهد القرآنيّة.

يختلف استخدام مُحَّد عبد المطلب لشواهد الحديث النّبوي مقارنة بالشّواهد القرآنيّة، فهو لم يستعن كثيرًا بالحديث النّبوي مقارنة بالشّواهد الأخرى إلّا أنّه لم يقصيه من شواهده فنجده استدعى

[1] مُحَّد عبد المطلب، البلاغة العربية قراءة أخرى، مرجع سابق، ص375.

شاهدًا واحدًا في باب "مدخل إلى البلاغة"، فقد أورد "**قول النبيُّ ﷺ ((من بدا جفا))**"[1]، وشاهدًا آخر في باب "علم البيان" إذ ذكر **حديث الرّسول ﷺ عن الغازي «كلّما سمع هَيْعَةً أو قَرْعَةً طارَ عَلَيْهِ»**[2]، فقوة الشّاهد الدّيني تكمن في قدرته التّأثيريّة وطاقته الإبلاغيّة الّتي لا يمكن أن تحققها أيّ شواهد أخرى، ورغم قلة شواهد الحديث النّبوي إلّا أنّ لقلة استخدامه عوامل يمكن ربطها بهمينة الشّواهد القرآنيّة والشّعريّة على الحيز الأكبر من المصنف، فالطاقة الإبلاغيّة للشّواهد القرآنيّة لا يمكن مقارنتها بأي شاهد آخر، والسمّة الهلاميّة للشّواهد الشّعريّة تجعل منها أكثر الشّواهد استخدامًا، فهي لا تحظى بالقدسيّة الّتي يختصُّ بها القرآن الكريم ويليه حديث النّبوي الّذي لا يُنطق عن الهوى.

يعتبر الوازع الدّيني المتحكم في اختيار البلاغيين للشّواهد، وقد يتشارك البلاغيون المغاربة والمشارقة في هذا الجانب، فلا يكاد كتاب بلاغي يخلو من الشّواهد الدّينيّة خاصّة كتب البلاغة التّطبيقيّة، فهذا أمر محتوم، فالتّأليف في البلاغة يعدّ واجبًا حتّى يتمكن الطلاب من فهم إعجاز القرآن، واكتشاف درره وحسن بيانه، وسحر أسلوبه، وتقوفه على الكلام العادي، ممّا يُحسن ملكتهم اللّغويّة، ويشعل فيهم نار الغيرة والدّفاع عن جلالة الملكة نقصد اللّغة العربيّة، فيكتسبون ناصيّة القول وسحر الأسلوب، وتزيد قدرتهم التّأويليّة والإبلاغيّة في عمليّة الإنشاء الأدبي.

1-2 المعيار التّاريخي:

يعد المعيار التّاريخي مركز الاختيارات للشّواهد، فالبلاغيين المعاصرين تأثروا بالمصنّفات التّراثية، ولا يُلام البلاغيون على تأثرهم بالتّراث الأدبي، لما يحويه من كنوز ودُرر أدبيّة، ويعتبر الشّعر من أجمل تلك الدُرر وأثمنها، فكلّما امتدت القصائد في الفضاء الزّمني البعيد كان لها الأثر البالغ على المتلقين، فيزيدها العامل التّاريخي طاقة جماليّة، وتحتفي بالسّبق وتحظى بالتّقدير والدّراسة، "فالقديم والقدماء —

[1] محمّد عبد المطلب، البلاغة العربية قراءة أخرى، مرجع سابق، ص51.

[2] المرجع نفسه، ص184.

غالبا- معظمون في أعين المحدثين، إما حنينا لماض لن يعود، وإما تقديرا لمنجز يرونه جديرا بالتقدير، ومن تم تترسخ في النفوس محبته، وتغدو تقاليده بمرور الأيام قواعد حاكمة لا سبيل أمام المحدثين على تجاوزها"[1].

يبقى القديم دائما مبجّل في عين المعاصر، ويمكن أن يتجاوز التّبجيل إلى حد التّقاليد، فلا يعدو المعاصرون يضعون الأحكام وفق هذه الشّواهد الّتي تبقى خالدة لأحقاب زمنيّة، ولكن الغلو في استخدام هذه الشّواهد قد يقتُل الإبداع، ويُلقي بظلامه على شواهد أخرى لا ذنب لها إلّا أنّها جاءت متأخرة زمنيًا، ولا عيب لقائلها إلّا أنّه لم يتشارك الزّمن مع فحول الشّعراء الّذين سبقوه إلى كل ضرب، ولم يُترَكوا له واد إلا وخاضوا فيه، ورغم أن الإبداع مُتاح لكل مُجتهد، ويُصقل بالتّعلُم والحفظ والدُربة، وغير مُقيد بزمن إلّا أنّ الإخلاص للقديم قد يقتُل الجديد ويحدّ من ذيوعه، ويجعلنا مبرمجين على نبذه وعدم الأخذ به.

تتبعنا للمصنّفات البلاغيّة المعاصرة جعلنا نلحظ تكرار الشّواهد البلاغيّة وفق كرونولوجيا تّاريخيّة فعند حديثنا مثلا عن الفصاحة نجد أغلب المصنفات تورد هذا " البيت الّذي ردَّدَته الكتبُ القديمة دونَ أن تَنْسُبَه إلى قائلٍ معينٍ، حتّى إنّ البعضَ قد نسبه إلى الجنّ:

وَقَبْرُ حَرْبٍ بِمَكانٍ قَفْر وَلَيْسَ قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْر "[2].

لا تكاد تخلو كتب البلاغة في حديثها عن الفصاحة عن هذا الشّاهد الّذي تحول إلى نموذج جاهز فبمُجرد الحديث عن الفصاحة يُستحضر، ومُحَّد عبد المطلب استحضر أغلب الشّواهد التّراثيّة الّتي جاءت في هذا الباب، ولا يفوتنا أن نشير أنّ هذا الشّاهد أصبح سمّة الكتب البلاغيّة القديمة

[1] مُحَّد عبد الباسط عيد، في حجاج النّص الشّعري، مرجع سابق، ص28.

[2] مُحَّد عبد المطلب، البلاغة العربيّة قراءة أُخرى، الشّركة المصريّة العالميّة للنّشر، مصر، ط2، 2007م،61.

ينظر: القزويني، التلخيص، مصدر سابق، ص26.

والمعاصرة، على غرار شواهد أخرى كقول امرئ القيس الّذي لا يكاد هو الآخر يغادر كتب البلاغة عند وقوفنا عند باب الفصاحة، إذ يقول امرؤ القيس:

غدائره مستشزراتٌ إلى العلا   تضل المداري في مثنى ومرسل"[1].

اقتصرنا الحديث عن شاهدين تراثيين في باب الفصاحة، والواقع أن هناك شواهد أخرى متوارثة في نفس الباب، وتعيش المباحث البلاغيّة نفس الحال، فقد أثّر الباحثون القدامى في المعاصرين، وأصبح من المستحيل التّخلي عن مثل هذه النّماذج الجاهزة الّتي جاوزت حد التّقليد، فأصبحت لكل مبحث بلاغي شواهده الخاصّة، وقد أشار إلى ذلك مُحَمَّد مسعد من خلال كتابه (البلاغة العربية بوجهة جديدة، قراءة في الشّاهد)، فنجده يثور في بعض المواقف من هذا الأمر الّذي جعل الباحثين فيما بعد يعتمدون مثل هذه النّماذج الجاهزة، ولا يُعملون العقل، ولا يحاولون كسر الحدود، والاجتهاد في استكشاف شواهد أخرى، وحتّى أنّه يُحاول أن يُبين للمتلقي أنّنا بصدد الموافقة، ولكن منهج القدامى على خلاف ذلك، بل يجب الاجتهاد وإعمال النّظر في الشّواهد والإبداع الّذي لا يحدّه زمن فالبلاغة العربيّة تعيش موقفا استثنائيًا من خلال التّجاذبات الّتي بدأت تعصف بها في ظل ظهور مباحث معرفيّة أرادت دومًا الاستحواذ على الحقول البلاغيّة المتراميّة الأطراف، فلا يمكن لإمبراطورية البلاغة من الصّمود إذ لم يقف أبناؤها من كل حدب وصوب في سبيل خدمتها، ولا ضرر أن يكون الإبداع في مجال الشّاهد الّذي طالما كانت متسعًا وغير مقيّد إذا ما قُورن بالنّحو العربي.

1-3 المعيار الذوقي:

يوجد العديد من العوامل الّتي تتداخل في عملية انتقاء الشّواهد سواء تراثيّة أو معاصرة، ومن بين العوامل المهمّة العامل الذوقي الّذي لطالما ارتبط بالاختيارات البلاغيّة، وإن كان هناك فرق بين التّناول

[1] مُحَمَّد عبد المطلب، البلاغة العربية قراءة أخرى، مرجع سابق ، ص43.

النّقدي والتّناول البلاغي، وفي هذا يقول **مُحَّد العمري**: "والفرق بين التناول النقدي والتناول البلاغي في التراث القديم، هو أن التناول النقدي كان تطبيقا يفتقر إلى الأساس النظري، بل كان ذا طابع شخصي ينظر في عمل شاعر بعينه وشخصه، ..والاختيار قد يبدو عملية نقدية صرفًا ولكنه ينتهي، كما وقع بالفعل عند المرزوقي في شرح الحماسة، إلى استنباط الأسس التي تحكم اختيار أبي تمام.

أي الاعتبارات التي تجعل المأخوذ أحسن من المتروك، وهذا هو ظهرُ العُملة البلاغية التي نجدُ وجهها عند الجرجاني: ما الذي يجعل كلاما أحسن من كلام؟

فالاختيار الفني عمل نقدي بلاغي: يبرز قيمًا بلاغية ويكرسها."[1].

إنّ عملية الاختيار البلاغي عمليّة معقدة، وإن كانت تبدو للبعض عمليّة اعتباطيّة، فالنّقد القديم كان منصبًا في نقد شاعر بعينه مفتقرًا للقواعد النّظريّة الّتي تخرجه من الدّائرة الذّاتيّة، ولا نُنكر محاولة القدامى لاستنباط الأسس الّتي تحكم اختيارات الشّعراء، فكان يحاولون تبيان الجيد من الرّديء، مما يجعل كلاما أحسن من كلام، فالاختيار عمليّة نقديّة بلاغيّة تتداخل فيها عوامل متعددة، وقد يأتي على رأسها ذوق النّاقد والأمر عينه بالنّسبة للبلاغي، ومن كل هذا يتضّح أنّ "الاختيار، كما قلنا، مسألة حكم ومسألة دربة ومسألة ذوق"[2].

من خلال تتبعنا للشواهد الّتي أوردها مُحَّد عبد المطلب من خلال كتابه (البلاغة العربيّة قراءة أخرى)، وفي الباب الأول: موقف من البلاغة، اعتمد على خمسة شواهد شعريّة تراثيّة، كان النّصيب الأكبر منها للمتنبي بشاهدين متبوع بامرئ القيس وعمر بن أبي ربيعة، ولا يخفى على دارس الأدب العربي القيمة الأدبيّة للمتنبي، فأشعاره تزين كتب الأدب العربي والبلاغة على رأسها، وفي الباب الثّاني: استعان بواحد وثلاثين شاهدًا شعريًا وقد جاء فيها ترتيب الشّعراء على النّحو التّالي:

---

[1] مُحَّد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، مرجع سابق، ص43.

[2] المرجع نفسه، ص68.

الرقم	الشّاعر	عدد الأبيات المستشهد بها
01	أبو تمام	05
02	المتنبي امرئ القيس	04
03	الفرزدق المرار	02
04	البحتري النابغة ابن هرمة الطرماح أبو عبادة جرير الجعدي عبد السلام بن رغبان	01

– الجــدول رقم 02 –

يتبيّن من خلال هذه البيانات أنّ الكاتب اعتمد على شواهد شعرية تراثيّة وهذا واضح لأنّه بصدد الحديث عن المهاد التّاريخي للبلاغة، بينما اختيار الشّواهد يرجع في الغالب للمؤلف، فنراه قد استعان بخمسة شواهد شعريّة لأبي تمام ويليه المتنبي وامرئ القيس بأربعة شواهد لكل واحد منهما، ثم الفرزدق والمرار بشاهدين، بينما باقي الشّعراء بشاهد واحد، يتبين أنّ للمتنبي وامرئ القيس وأبي تمام أثر ومكانة لدى الكاتب، فالذوق يفرض نفسه أحيانا بوعي من الكاتب أو بدونه، فلا مناص من تدخل الذّوق في اختيارات البلاغي المعاصر لأنّه يملك خيارات كثيرة في انتقائه للشّواهد التّراثيّة نظرًا للذخيرة الشّعرية المتوارثة والمبثوثة في المصنفات البلاغيّة.

يتفنن مُحَمَّد عبد المطلب في إيراد الشّواهد الشّعرية فنجده يستلهم من الكنوز الشّعريّة التّراثيّة عند حديثه عن المباحث البلاغيّة تارة، ويستعين بالشّواهد الشّعريّة المعاصرة تارة أخرى فيمزج بين التّراث والمعاصرة، فلا يبخل على المعاصرين ولا ينسى القدامى، وهذا في حدّ اجتهاد يُحسب له، وهو أمر نهجه القدامى وتوارثناه إلى يومنا هذا.

2- خصائص الشّاهد البلاغي عند مُحَمَّد عبد المطلب:

2-1 الاختزال:

تتحلى الشّواهد البلاغيّة بحلّة الاختزال، وهو شكل من الأشكال المتوارثة، فلطالما عُرفت المدرسة الأدبية بالإكثار من الشّواهد، ولكن هذا لم يمنع بعض البلاغيين من اختزال الشّواهد نظرًا لضرورة عملية التّقعيد اللّغوي الّتي أصبحت فيما بعد ميزة الدّراسات البلاغيّة، وحسب مُحَمَّد عبد المطلب فإنّ قضية الجزئية قضيّة تراثية وحداثيّة، إذ يقول: "أمّا مسألة الجزئيّة التي لصقت بالبلاغيّين، فإن الدّارس –أي دارس– في ممارسته العمليَّةِ لمفهوماته التّنظيرية يلجأ – بالضَّرورةِ– إلى اخْتِبارِ مفاهيمِهِ مِنْ خلالِ اجتزاء الشّاهد، وهذا أمرٌ مسلمٌ به على مستوى الخِطابِ البلاغي القديم والخطابِ البلاغيّ الجديدِ،

فبرغم كثرَةِ ما تُرْجمَ عن الأسلوبيّات والبنيويات، لم نصادِفْ منها ما يتعامَلُ مع النُّصوص الكاملة تحليلاً وتفسيرًا، وإنَّما كان الاجتزاء سمةُ تميز هذه الدّراسات، فهي ضرورة يحتّمها المنهجُ"[1].

يحاول مُحَّد عبد المطلب توضيح مسألة الجزئيّة الّتي أصبحت تهمة لصيقة بالبلاغيّين، ويقف في موقف الدّفاع عنهم، فهو يرى بأنّ متطلبات الدّراسة والمنهج المتبع هو الّذي يفرض نفسه في قضيّة الاجتزاء وحسبه حتّى في الدّراسات المعاصرة كالأسلوبيّة مثلاً اتّخذت نهج الاختزال فأصبح سمّة الدّراسات البلاغيّة القديمة والمعاصرة، ولكن هذا لا يمنع محاولات البعض كما أشار مُحَّد عبد المطلب لدراسة نص كاملا مثلما فعل الإمام الزمخشري في تناوله لمعلقة امرئ القيس.

كمّا يرى البعض أنّ للفظة الواحدة القدرة على اختزال معان متعدّدة وهذا هو توجه المدرسة السّياقيّة، ويشير حفناوي رشيد إلى هذا الأمر بقوله: "وإذا كان توقع الغموض يعتبر من مميزات البلاغة الجديدة؛ فـ "الاختزال" يعد ميزة أخرى من مميزاتها. ومن هذا المنطلق ترى النظرية السياقية، أن اللفظة الواحدة لها قدرة اختزال معان كثيرة، وقفزات يمكن الاستغناء عن تكرارها."[2].

نجد مُحَّد عبد المطلب قد استعان بلفظة واحدة في حديثه عن الفصاحة، وهي النّموذج الّذي وضعه الخليل بن أحمد الفراهيدي إذ يقول: " تلك اللّفْظة الّتي ذَكَرَها الخليلُ بن أحمد كنموذجٍ للتّنافر وهي (الهُعْخُع)"[3]، والاختزال مفيد في مواضع وقد يكون غير مرغوب فيه في مواضع أخرى، خاصة إذا تعلق الأمر بقضيّة الشّواهد، فاختزالها قد يُقتل البلاغة ويفتك بها ويلبسها حلّة التّعقيد، فتحيد عن مسارها الأوّل الّذي لطالما ارتبط بالجمال والذوق الرّاقي، وقد يتبادر إلى ذهن القارئ أنّنا نرفض الاختزال قطعًا، ولكننا نحاول أن نُبقي على بناء البلاغة العتيق، فلا يمكن نزع السّقف أو الأعمدة الّتي هي ركائز البلاغة، والشّواهد هي إحدى الدّعائم الأساسيّة لها، ولكن نرى أنّ الشّاهد هو محور العلم الكلّي – البلاغة–، وهو أساس التّلقين فكلّما اتّسع حقل الشّاهد عند المتلقي كلّما

[1] مُحَّد عبد المطلب، البلاغة العربيّة قراءة أخرى، مرجع سابق، ص26.

[2] حفناوي رشيد بن علي، مسارات النقد ومدارات ما بعد الحداثة، مرجع سابق، ص51.

[3] مُحَّد عبد المطلب، البلاغة العربية قراءة أخرى، مرجع سابق، ص43.

زاد تمكنه من علم البلاغة، وتمكن من عمليّة التّذوق اللّغوي الّتي لا تتأتى إلّا من خلال إدراك العلم الكلّي ورغم أنّ الاختزال ضرورة يفرضها المنهج المتبع والسّياق الخارجي في بعض المواقف، فقد التزم مُحَّد عبد المطلب به في مواقع معيّنة، وتفاداه في حالات أخرى خاصّة عندما يستدعي شواهد معاصرة، وإذا ما أردنا أن نمثل للشّواهد الجزئيّة في استشهادات مُحَّد عبد المطلب من خلال كتابه"البلاغة العربيّة قراءة أخرى"، يمكن أن نورد الشّاهد التّالي:

" **(أ) تشبيه متعدّد بمتعدد:**

كأنَّ قُلوبَ الطَّيرِ رَطْبًا ويَابِسًا   لَدى وَكْرِها العُنَّابُ والحَشْفُ البَالي

(ب) تعدّد المشبَّه دون المشبه به:

صِدغ الحبيبِ وحالي   كِلاهما كالليالي

وثَغْرُهُ في صَفـــــاءٍ   وأدْمُعي كاللآلي

(ج) إفراد المشبَّه وتعدُّد المشبه به:

كأنّ المُدام وصَوْبَ الغَمامِ   وريحُ الخزامى ونَشر القطر

يعلُّ بِـــهِ بَـــرْدُ أنْيابِهِـــــا   إذا طَرَّبَ الطّائر المستحـــرّ"[1].

من خلال هذا الشّاهد الّذي جاء كما هو واضح في باب الحديث عن التّشبيه، يمكن أن نلاحظ ما يلي:

- كلّ الشّواهد هي شواهد شعريّة

[1] مُحَّد عبد المطلب، البلاغة العربيّة قراءة أخرى، مرجع سابق، ص145.

- الشّواهد غير منسوبة لأصحابها، وهنا يتبيّن أنّ الكاتب قد وضع قارئ افتراضي تَصَوَّرَهُ مطلّع على الأدب العربيّ، فبالتّالي يمكن أن يعلم أنّ الشّاهد الأوّل لامرئ القيس وهذا ليس غريب على القراء لكنّه قد يخفى على فئة أخرى، فكان الأجدر أن تنسب الأشعار لأصحابها.
- اعتمد على البيت الواحد في الشّاهد الأوّل والبيتين في الشّاهد الثّاني والثّالث.
- اعتمد على شواهد تراثيّة، وهي دلالة على الطاقة الإبلاغيّة الّتي تتمتع بها الشّواهد التّراثيّة.

سار مُحَمَّد عبد المطلب على النّهج المتعارف عليه، والواقع أنّنا لا يمكن أن نلومه على مسألة الجزئيّة في اختيار الشّواهد، فالظّاهرة متوغلة في التّراث البلاغي، وقد دافع عنها مُحَمَّد عبد المطلب كما ذكرنا سابقا، وبيّن أنّ لها أصولاً وجذوراً فرضتها ظروف مختلفة، واعتماده على البيت الواحد هو سنّة البلاغيّين القدامى والمحدثين.

2-2 الجدة والابتداع:

لا يقتصر التّجديد على المصطلحات والمفاهيم والمناهج البلاغيّة، بل يتعدّاه إلى الشّواهد الّتي ثار عليها بعض الباحثين، ورأوا أنها مجرد نماذج أتى بها البلاغيّون خدمة لقواعدهم المعياريّة رغم أنّها لا تحمل قيّمة إمتاعيّة، فنجد مُحَمَّد مسعد يورد هذا القول معلقا على هذا البيت:

"ذهب الشباب فما له من عودة   وأتى المشيب فأين منه المهرب

لا شك أن الكلام يدل على الحسرة، ولكن هل خرج البيت عن معناه الحقيقي إلى إظهار الحسرة، وهل إظهار الحسرة هو ما يترك أثرًا في نفوس المتلقين أم الطريقة التي يقال فيها الكلام، الحقيقة أن هذا الشاهد لم يحمل قيماً تعبيرية يستحق عليها أن يكون شاهدًا بلاغيًا، ولأن الأحكام جاهزة أخذوا يبحثون عن الشواهد التي تؤكد قواعدهم التي آن الأوان لزلزلة ما لم تستفد منها اللغة، إنما أصبحت

حملاً على كاهل الطالب، يحفظها ويعيدها فيمنع اللغة من التجدد ويحاصر العقل عن الابتكار والإبداع .. والكلام هنا لم يخرج على معناه"[1].

حاول مُحمَّد مسعد أن يُبيّن لنا أنّ هذا الشّاهد لا يحمل قيمًا تعبيريّة، وبالتّالي طاقته الإبلاغيّة بعيدة عن الإقناع، ويذهب مُحمَّد مسعد أبعد من هذا عندما يُقصي هذا الشّاهد، ويقول بصريح العبارة أنّه لا يصلح أن يكون شاهدًا بلاغيًا فهو يعتبر حملًا ثقيلًا على طلاب البلاغة، كما أنّ مثل هذه الشّواهد حسبه تقف أمام تجدد اللّغة، وتقتل روح الإبداع، فهو يدعو إلى الثّورة ضد بعض الشّواهد الّتي يرى أنّها لا ترقى إلى أن تكون شواهد تقوم عليها القواعد البلاغيّة، ويحثّ الباحثين على الثّورة ضد المعايير حتّى على الشّاهد الّذي تناوله إذ يقول:

"والتقسيم الذي نضعه للتشبيه ليس ملزما لأحد فقد لا يكون دقيقا وقد يكون في نظر البعض خاطئا فليتمردوا عليه، فهذا هو أساس دعوتنا؛ التمرد على أي معيار عقيم يقولب اللغة الفنية وهي عصية على القولبة لأنها عالم متمرد على الواقع وعالم متمرد على عالم اللغة نفسها باتجاه إنتاج لغة جديدة وهذه هي الشعرية بلا شك"[2].

ينادي مُحَمَّد مسعد بضرورة الانتفاضة في وجه المعايير العقيمة حسبه الّتي أصبحت تعيق الإبداع، ويدعو إلى الاجتهاد، وكذا التّمرد عليه إن رأوه مخطئًا، فالباحث لا يُسلِم بما كل ما يُعرض عليه، وإنّما يُبدع ويُجدد خدمة للّغة ومن أجل إنتاج لغة جديدة، وهذه الثّورة تكون على كل المستويات والشّاهد من بينها، والواقع أنّ البلاغيين المعاصرين حاولوا التّجديد في الشّواهد وهذا ما سنراه عند مُحَّد عبد المطلب.

تتبع الشّواهد البلاغيّة لمحمد عبد المطلب يحيلنا إلى الوقوف على شواهد جديدة معاصرة يرجع له الفضل في الإتيان بها، فقد تكون نماذج يحتذى بها، ومن خلال كتابه "البلاغة العربيّة قراءة أخرى"

---

[1] مُحَّد مسعد، البلاغة العربية بوجهة جديدة، قراءة في الشّاهد، مرجع سابق، ص24.

[2] المرجع نفسه، ص65.

نرى اعتماده على شواهد معاصرة اتّكأ عليها مُحَّد عبد المطلب في توضيح القواعد وتبيان المفاهيم، فقد استعان بشواهد معاصرة عند حديثه عن التّشبيه، إذ أورد أبيات لفاروق شوشة، إذ يقول:

"حذف الوجه والأداة: يقول فاروق شوشة:

فنعلِنُ أنَّ الضيقَ اتّساعٌ

وأن القفارَ جنانٌ

وأن الزّمان زمانٌ

وأنّ الهسيسَ الجبانَ صهيل"[1].

يتّضح أنّ مُحَّد عبد المطلب يمزج بين الشّواهد التّراثيّة والمعاصرة، فنراه يُحسن انتقاء الشّاهد وفي هذا ذوق وابتداع، فلا مناص من تقديس الشّاهد التّراثي وحتميّة التّجديد، فهو لم يسر على نهج الأسلاف في اتخاذه للشّواهد، فالإبداع أيضا يتضمن التّنويع في استدعاء الشّواهد، ولو دققنا النّظر في كتابه لوجدناه قد تبنى نهجًا مختلفًا، فقد أضاف أبواب حديثة في حديثه عن البلاغة كباب ((أسلوبيّة التّحول))، والإبداع والابتكار ليس حكرًا على زمن أو على شخص بل جعله الله مشتركا بين الأقوام، ويبقى باب الاجتهاد مفتوحًا في شتّى العلوم، وعلم البلاغة مثله مثل العلوم الأخرى خاصّة في باب الشّاهد الذّي يتميّز بالاتّساع، فلا ضرر أن نغير ونحاول التّجديد على مستوى الشّاهد ولا نَدّع السّبق في الإشارة إلى هذا الأمر، فمحمد عبد المطلب استدعى عدة شواهد معاصرة في حديثه مثلاً عن علم البيان، وتناوله بطريقة جديدة خاصة على مستوى الشّاهد وحتّى القواعد، فقد قام باستحداث قواعد تحاكى العلاقات الرّياضيّة في كثير من الأحيان، والجدول السّابق يوضح أنّه قد اعتمد على إحدى عشر (11) شاهدًا معاصرًا وقد جاءت كلها في باب المعنون بـ "المدخل بين التّراث والمعاصرة"، وتجدر الإشارة إلى أنّ كلّ الشّواهد من الشّعر الحر ولم يكتف بالبيت الواحد، وبهذا

---

[1] مُحَّد عبد المطلب، البلاغة العربية قراءة أخرى، مرجع سابق، ص153.

نرى أنّه قد طرق باب التّجديد في قضية الشّاهد، وهذا اجتهاد يُحسب له، ويدعو المشتغلين على البلاغة إلى ضرورة الالتفات إلى الشّواهد المعاصرة.

يجب الإشارة إلى أنّ مُحَمَّد بد المطلب قد اعتمد على خمسة وعشرين (25) شاهدًا معاصرًا وهو عدد لا يُستهان به، ما جعله يبعث باب التّجديد في قضيّة الشّواهد، والواقع أنّه حمل همًا ثقيلًا ليس من ناحية الشّاهد فقط بل حتّى من ناحية تعامله مع الشّاهد، وكذا توظيف النّظريات المعاصرة في تناوله للدّرس البلاغي.

المبحث الثاني: منهج التعامل مع الشّاهد الشعري عند مُحَّد عبد المطلب:

تمهيد:

إنّ التّعامل مع الشّاهد البلاغي يختلف من باحث لآخر، فمحمد عبد المطلب قد نوّع من توظيفه للشّواهد وفق منهج جديد، ورغم أنّ الشّواهد الشّعريّة تسّيدت الكتاب إلّا أنّ ذلك لم يمنع من وجود شواهد منثورة أثرت المصنّف، ولكلّ باحث طريقته في توظيف الشّاهد وفق منهج إبداعي أحيانًا وإتباعي أحينًا أخرى، ومُحَّد عبد المطلب حملّ همّ بلاغيّ معاصر في ثنايا بحثه من خلال استخ دام اللّسانيات في تحليلاته البلاغيّة، فكثيرًا ما نجد المصطلحات اللّسانيّة الحديثة ماثلة أمامنا، فمصطلحي (الدّال والمدلول) و(البنيّة السّطحيّة والعميقة) كثيرًا ما تردّدت في صفحات المصنّف، فوجب عليه المراوحة في استخدام شواهد تراثيّة ومعاصرة أثرى بها مؤلفه، وقد لا حظنا أنّ الشّواهد البلاغيّة في كتاب مُحَّد عبد المطلب جاءت بالنّسب التّاليّة: 55% شواهد شعريّة، و42% شواهد قرآنية و3% شواهد من الحديث النّبوي وشواهد نثريّة، فالشّواهد القرآنيّة والشّعريّة تحتل الحيز الأكبر من الشّواهد، وهذا أمر طبيعي نظرًا للحمولة الإبلاغيّة لهما، وقد نتساءل عن منهج مُحَّد عبد المطلب في التّعامل مع الشّاهد البلاغي ، وقد قصرنا بحثنا على الشّاهد الشّعري نظرًا لاحتلاله الحيز الأكبر من دائرة الشّواهد المستخدمة.

1- منهج التّعامل مع الشّاهد الشّعري عند مُحَّد عبد المطلب:

من خلال الوقوف على معجم الشّواهد الشّعرية في كتاب "البلاغة العربية قراءة أخرى" يمكن تقسيمها إلى:

الشواهد الشعرية	شواهد تراثية منسوبة	شواهد معاصرة	شواهد غير منسوبة	المجموع
العدد	91	24	42	157

تتبعنا الشّاهد الشّعري عند مُحَّد عبد المطلب لكثرة وروده في كتابه، وكذا لأهميّته في الدّراسات البلاغيّة، ولا يُنكر أحد هذا الفضل، فالشّاهد الشّعري يتميّز بطاقات حجاجيّة وإمتاعيّة يختّص بها عن غيره من الشّواهد، ولاحظنا أنّ مُحَّد عبد المطلب في الغالب ينسب الشّاهد لقائله خاصّة في تعامله مع الشّاهد الشّعري المعاصر، وقد يُكني الشّاعر بكنيته فقط، وقد لا ينسبه لقائله لشهرة الشّاعر والشّاهد معًا، وقد لا يذكر الشّاعر ويورد أبياته وقد لاحظنا هذا عندما يتعلّق الأمر بشاعر ذائع الصّيت معروف لدى أغلب القراء، ولنا في ذلك مثلًا قول امرئ القيس:

"كأنَّ قُلوبَ الطَّيرِ رَطْبًا ويَابِسًا لَدى وَكْرِها العُنَّابُ والحَشَفُ البَالي"[1].

وقد جاء هذا الشّاهد في تشبيه متعد بمتعدد، فلم يذكر اسم القائل نظرًا لتواتر هذا الشّاهد في الكتب البلاغيّة والأدبيّة بصفة عامّة، ومعلوم أنّ بعض الشّواهد الشّعريّة أصبحت معروفة عند العام والخاص لتكررها كثيرًا في الكتب البلاغيّة وبخاصّة البلاغة التّطبيقيّة –التّدريسيّة–، ومن خلال التحليل الإحصائي يتّضح لنا أنّ 84% من الشّواهد الشّعريّة هي شواهد تراثيّة، و16% شواهد معاصرة، فغلبة الشّاهد الشّعري التّراثي لها مسبباتها ويمكن أن نشير إليها في النّقاط التّاليّة:

- الشّواهد الشّعريّة التّراثيّة لها حمولة إبلاغية أكثر من الشّواهد المعاصرة، وقد يُنكر البعض هذا ولكن الحقيقة أنّ السّبق الزّمني يلعب دورًا مهمًا في هذا، ضف إلى ذلك المخيال الّذي تمتع به الشّواهد التّراثيّة فهي الأصل، ومعلوم أنّ الشّواهد المعاصرة تحمل طاقات إبلاغيّة تتفاوت فيما بينها وقد ترقى إلى مستوى التّراثيّة في بعض الأحيان.

[1] مُحَّد عبد المطلب، البلاغة العربية قراءة أخرى، مرجع سابق، ص145.

- تردد الشّواهد الشّعريّة التّراثيّة في المصنفات البلاغيّة جعلها قوالب جاهزة يمكن الاستعانة بها فلا مناص من استخدامها نتيجة التّأثر بالمصنفات البلاغيّة التّراثيّة.
- ضرورة الحفاظ على المخزون الشّعري التّراثي الّذي لا يتأتى إلّا من خلال استدعاء الشّواهد الشّعريّة التّراثيّة في المصنفات البلاغيّة حتّى لا نُعجل بدفن تلك الشّواهد بحجة التّجديد.
- التّأكيد على أنّ الشّواهد الشّعريّة التّراثيّة قادرة على مواكبة النّظريات الحديثة، والتّعايش مع متغيرات الزّمن، وهذا ما أثبته مُحَمَّد عبد المطلب من خلال هذا المصنف.

2- الشّاهد الشّعري بين الجزء والكل:

- الشّاهد الشّطر:

يحضر الشّاهد الشّطر المجتزأ من البيت الشّعري كوسيلة استدلال مركزة لظاهرة بلاغيّة، وقد استشهد به مُحَمَّد عبد المطلب سبع (07) مرات، وهو عدد قليل مقارنة بالشّواهد الأخرى، فقد كان يستدعيه في استدلاله على ظواهر بلاغيّة محددة مثل ما جاء في باب الفصاحة، إذ يقول:

"الشَّرْط الثّالث لدخول دائرة (الفصاحة) شرط سلبي أيضا هو (مخالفة القياس)، أي أنَّ غياب المصطلح يقتضي حضور (الفصاحة)، على أنّ يراعي ما سَبَق من شروطٍ، وهذه المخالفة قد تتَّصل ببنية الكلمة من حيث التَّغيير فيها بالزّيادة والنَّقص، وقد عاب ابن سنان رؤبة في قوله:

قواطنا مكة من ورقا الحَما "[1].

استشهد مُحَمَّد عبد المطلب بقول ابن سنان رؤبة، وقد اكتفى بشطر من البيت فقط، وهذه طريقة إتباعيّة كثيرة الحضور في المصنفات البلاغيّة التّراثيّة أمْلتها ظروف عديدة، وقد يكتفي بجزء من شطر البيت، وقد جاء قوله هذا في حديثه عن بنيّة النّداء، وأهم السّياقات المتّولدة عنه، وفي هذا يقول:

---

[1] مُحَمَّد عبد المطلب، البلاغة العربيّة قراءة أخرى، مرجع سابق، ص54.

"التّحسر: نحو قول امرئ القيس: (أيُّها الطلّلُ البالي)"[1].

يمكن القول أنَّ مُحَّد عبد المطلب قد نهج نهجًا إتباعيًا في اعتماده على الشّاهد الشَّطر، وقد يضطر لاجتزائه كما حدث مع قول امرؤى القيس، وهو أمر لا يُلام عليه فالشّاهد كثير التّداول والدّوران في الكتب البلاغيّة، وما نلاحظه أنّ اعتماده على هذا النّوع من الشَّواهد اقتصر على الشَّواهد الشّعريّة التّراثيّة فقط، فلا نجده استعان به في تعامله مع الشّواهد الشّعريّة المعاصرة، ورغم قلة استخدامه لمثل هذه الشَّواهد إلّا أنّها جاءت مناسبة للمقام الّذي استُدعيت فيه، فاستخدامها دليل تركيزه على ظاهرة بلاغيّة معيّنة، فهو حجّة استدلاليّة منطقيّة يُحسن استعمالها في حالات محدّدة تجنبًا للإطالة والسّقوط في الإطناب، فمثل هذه الشّواهد تختزل الكثير من الاستطرادات، ولكن الإكثار منها قد يضرُّ البلاغة، ويبعدها عن جماليتها وعن حقل الذّوق الأنيق والأسلوب الممتع، ولسنا هنا بصدد الهجوم على من يستخدم هذا النّوع من الشّواهد، فهذا درب علمائنا الأجلاء، ولكننا نرى أنّ مُحَّد عبد المطلب قد أدرك ذلك فاستشهد به لسبع مرات فقط وهي نسبة قليلة جدًا مقارنة بالشّواهد الأخرى.

- **الشّاهد المفرد:**

يحتل الشّاهد المفرد المرتبة الأولى مقارنة بالشّواهد الأخرى، فقد استعان به مُحَّد عبد المطلب كثيرًا، فعند رجوعنا إلى معجم الشّواهد الشّعريّة نجده قد استعان بمائة وواحد وعشرين (121) شاهدًا مفردًا، وقد يستعين بها في تبيان قضيّة بلاغيّة أو للاحتجاج بها في مواقف معينة، فقد حضر الشّاهد المفرد في بيان ماهية البديع، إذ استدعى مُحَّد عبد المطلب شاهد شعري للأحوص بيّن فيه أنّ لفظة البديع تعني الحداثة والأولويّة، وفي هذا يقول: " والمتتبع للمصطلح داخل المعجم، وفي مجال التّعامل الفنّي سوف يلحظُ ارتباطَهُ بالجدة عمومًا، فمادة (بدع) تأتي من بدع الشَّيء بدعًا، وابتدعَهُ: أنشأه وبدأه واخترعه، أي أن المادة اللُّغويَّة تنتمي إلى إنشاء الشَّيء بدايةً.

[1] مُحَّد عبد المطلب، البلاغة العربية قراءة أخرى، مرجع سابق، ص302.

ويمتدُّ معنى (البدعة) للاتّصال بمعنى (الحداثة) والأوْلويَّة، قال الأحوص:

فَخَرَتْ فَانْتَمَتْ فَقُلْتُ انظُريني   ليسَ جهلٌ أَتَيْتُهُ بِبَدِيعٍ"[1].

دافع مُحَمَّد عبد المطلب عن علم البديع، وحاول أن ينفي عنه تهمة الإضافة التّحسينيّة الّتي أُلصقت به، إذ يقول:

"   فالنّاتج الإبْداعي لا يستحِقُّ أن يَدْخُلَ دائرةَ البلاغَةِ إلا بعد توافق الصّياغة مَعَ ناتجها، أو بمعنًى أصح: توافق الناتج مع الصّياغة، ثُمَّ تَوافقِ المنتج مع المتلقيّ في أحْوالِهِ الزَّمانيَّة والمكانيَّة والثَّقافيَّة. مِنْ هُنا لا يمكِنُ أنْ نَقْبَلَ مسألةَ (الإضافة التَّحْسينيَّةِ) الَّتي ألصِقَتْ بعلم البديع، لأنَّنا لو قَبِلنا ذلِكَ، لَكانَ معْناهُ أنَّ المبدعَ يكونُ عابثًا في بعضِ إنْتاجِهِ الصّياغيّ، وهَذا غير مَقْبول عَلى مستَوى الدَّرسِ الأسلوبي، لأنّ كلَّ ما يقدمّه المبدعُ من صِياغَةٍ مقصود منها الإفادة، وكلُّ أداة مَهْما صَغُرَت حجمًا أو أثرًا، فإنَّها تؤدي مُهِمَّةً لا يمكنُ تَهميشُها بحالٍ من الأحوالِ. فعندما يقول امرؤ القيس:

مِكَرّ مِفَرّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعـا   كَجُلْمودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ"[2].

يشير مُحَمَّد عبد المطلب إلى مسألة مهمّة وهي قضيّة الإضافة التّحسينيّة الّتي أتّهمّ بها علم البديع، فيُنصف بذلك الشّاعر أو المبدع، فحسبه لا يمكن أن يدخل أي عمل إبداعيّ دائرة البلاغة إذا لم يحقق معادلة توافق النّاتج مع الصّياغة ثم توافقه مع المتلقي، فالعمليّة الإبداعيّة ليست اعتباطيّة بل هي عمليّة إنتاجيّة تحيل إلى فائدة، ولا يُمكننا سبر أغوار هذه العمليّة الإبداعيّة إلّا بتقصي كل الجوانب والأدوات مهما صغُرت أو قلّت، وحتّى يتّضح المعنى يُورد شاهدًا تراثيًا مفردًا لامرئ القيس، ويضيف شاهد آخر للنّابغة حتى يتمكن المتلقى من فهم قصده، **كل الشّواهد المفردة الواردة في كتاب البلاغة العربية قراءة أخرى تقريبًا هي شواهد تراثيّة.**

---

[1] مُحَمَّد عبد المطلب، البلاغة العربيّة قراءة أخرى، مرجع سابق، ص245.

[2] المرجع نفسه، ص40.

- **الشّاهد القطعة:**

لا يتقيّد مُحَمَّد عبد المطلب بالشّاهد المفرد، فقد يتجاوز البيت الواحد إلى البيتين أو الثّلاثة، فيتحرر من أسر الشّواهد المفردة، واستخدامه لمثل هذه الشّواهد دليل على ذوقه الرّاقي، وهي تنوير للشّاهد، وكذا محاولته جذب انتباه القارئ ودفع عنه الملل، والغوص به في بحر البلاغة وسحر البيان.

دافع مُحَمَّد عبد المطلب عن البلاغة ورد عن المقولة الّتي تقول أنّ أصحاب البلاغة لم يميزوا بين الوجه البلاغي ووظيفته داخل السّياق، وهي تهمة تجعل كل ما قدمه علماء البلاغة من سياقات في علم المعاني بدون طائل، وتعصف بجهود علماء البلاغة حسبه، ولدفع هذه الشّبهة استحضر رد عبد القاهر الجرجاني في حديثه عن الحذف وسياق الوقوف على الطّلل، مستشهدًا بشاهد شعري لعمر بن أبي ربيعة، منوهًا بالعمل الجبار للجرجاني في تحليلاته الدّقيقة لبيتي عمر أبي ربيعة:

"هَلْ تَعْرِفُ اليومَ رَسْمَ الدَّارِ والطَّللا   كما عَرَفْتَ بجفنِ الصَّيْقَلِ الخَلَلا

دار لمرّة إذْ أهْلي وأهْلُهُمُ   بالكانسيَّة نَرْعى اللَّهْوَ والغَزَلا"[1].

نرى تذوق مُحَمَّد عبد المطلب للشّعر العربي وحسن توظيفه بما يخدم قضيّة بلاغيّة معيّنة، فنراه يستشهد ببيتين عندما يتطلّب الأمر ذلك، وقد يتعدى إلى ثلاث أبيات كما جاء في حديثه عن قضيّة التّطريز الّتي حوت أغلب الشّواهد من هذا النّوع أيّ الشّاهد القطعة، ويقوم بتعريفها على أنّها "بنيّة تقومُ على تردُّدِ كلمات متساوية في الوزنِ في أبيات متتالية في القصيدةِ، مع اقترابِها من منطقَةِ القافيةِ ليزدوجَ الإيقاعُ الصَّرفِيُّ والصَّوتيُّ"[2]، وقد يلتحم التّطريز بالقافيّة عندما تتردّد في مجموع أبيات على وزن صرفيّ واحد، وهذا ما جاء في قول أبي تمام:

"أعْوَامُ وَصْلٍ كادَ يُنْسي طولُهـــا   ذكرى النَّوى، فكأنَّها أيّـــامُ

---

[1] مُحَمَّد عبد المطلب، البلاغة العربيّة قراءة أخرى، مرجع سابق، ص35.

[2] المرجع نفسه، ص401.

ثم انْبَرَتْ أيّام هَجْرٍ أرْدَفَــــتْ نَجْوى أسّى، فكأنَّها أعـــوامُ

ثمَّ انْقَضَتْ تِلْكَ السنُّونُ وأهْلُها فكأنَّهم وكأنَّها أحـــــلامُ"[1].

يتجاوز مُحَّد عبد المطلب الثّلاث أبيات إلى الأربع، وقد جاء ذلك في ثلاث مواضع فقط، ففي تعريفه للتّطريز **أشار إلى أنّه قضية بلاغيّة معروفة عند القدامى**، وراح يدّلل على ذلك بأربع أبيات شعريّة، وقد كان قادِرًا على أنْ يكتفِي ببيتين ولكنه أراد أن يُبيّن للمتلقي قضيّة التّطريز وجعله يتذوق الأبيات الشّعريّة، فيقتنع ويتمتع في آنٍ واحدٍ، وقد أورد قول أحمد بن أبي طاهر:

"إذا أبو قاسِمٍ جادَتْ لَنَا يَــــدُهُ لم يُحْمد الأجودانِ: البحرُ والمطـرُ

وإن أضاءَتْ لَنا أنوارُ غُرّتِـــــه تضاءل الأنوران: الشَّمس والقمرُ

وإن مضى رأيُهُ أو جدَّ عَزْمَتـــه تأخَّرَ الماضِيانِ: السَّيفُ والحَـذَرُ

ومن لَمْ يَكُنْ حذِرًا من حدّ صولَتِهِ لم يَدْرِ ما المزعجانِ: الخوفُ والحَذَرُ"[2].

لم يكتف مُحَّد عبد المطلب بالشّاهد فقط بل حدّد للمتلقي مكان التّطريز، وأشار إلى أنّه يتحقّق في (الأجودان، والأنوران، والماضيان، والمزعجان) حتّى يُسَّهل على المتلقي، ولا يتركه في حيرة من أمره، فقد وضع التّعريف لهذه القضيّة ثمّ الشّاهد ثم تبيان موقع القضيّة من خلال الشّاهد، وهذا نهج متداول ومعروف عند أهل اللّغة، ولطالما كان ناجعًا في التّلقي والتّلقين، ولم تكن هذه المرّة الوحيدة الّتي يعتمد فيها مُحَّد عبد المطلب على قطعة شعريّة من أربع أبيات فقد جاء في حديثه عن علم البديع وبالتّحديد عن الإيقاع التّكراري، وإعجاب القاضي الجرجاني بهذه الظواهر البديعيّة عند أبي تمام، ما جعله يستشهد بأربع أبيات شعريّة لهذا الشّاعر إذ يقول:

"دعني وشُرْبَ الهَوى يا شارِبَ الكـاسِ فإنَّني لِلَّذي حُسّيتُه حاســـــي

[1] مُحَّد عبد المطلب، البلاغة العربيّة قراءة أخرى، مرجع سابق ، ص402.

[2] المرجع نفسه، ص401.

لا يوحِشَنَّك ما اسْتَعْجَمَتَ مِنْ سقمي فإنَّ مُنْزِلَهُ من أحسن النّـــــاس

مِنْ قَطْعِ ألفاظِهِ تَوْصيلُ مُهْلِكَتـــــي وَوَصْلُ أحاظِهِ تقطيع أنفاســـــي

متى أعيشُ بتأميلِ الرجـــــــاء إذا ما كان قَطْعُ رجائي في يدي ياسي"[1].

يظهر لنا جليًّا الإبداع الشّعري في هذه القطعة الّتي تدلُّ على حسن تذوق مُحَّد عبد المطلب للشّعر العربي، فهي تزخر بألوان بديعيّة عديدة زادتها رونقًا وجمالاً، فحقَّ لها أن تستفرد بإعجاب القاضي الجرجاني.

- **الشّاهد القصيدة:**

ما يمكن الجزم به أنّ مُحَّد عبد المطلب اعتمد على قصائد معاصرة فقط، وهذا مسلك إبداعي، فقد استعان بذلك الأثاث العصري دون الابتعاد عن البيت العتيق ونقصد شواهد البلاغة التّراثيّة، وهذا درب يجب على الباحثين المضي فيه، فالإبداع غير محصور بزمن معيّن، وإذا ما تتبعنا الشّواهد المعاصرة الممثلة في قصائد بحد ذاتها نجد أنّ اغلبها ورد في الفصل الثّالث والمعنون بالمدخل بين التّراث والمعاصرة، وكل القصائد من شعر التّفعيلة الّذي في حدّ ذاته جنس أدبي جديد عُرف عند الشّعراء المعاصرين نتيجة لعد عوامل أبرزها التّأثر بالأدب الأجنبي الّذي نجم عنه عدة أجناس أدبيّة لم تكن معروفة عند العرب على غرار المسرح والرّواية، فالبلاغة قد تمتد جذورها في أي خطاب أدبي يحقق العمليّة التّواصليّة، ومُحَّد مشبال يشير إلى ذلك في قوله : "فالبلاغة –كما يرى معظم المفكرين البلاغيين المعاصرين– ماثلة في كل النصوص، بل إنها مكون طبيعي في أشكال التّواصل الإنساني، وفي أي خطاب يجمع المسافة الفاصلة بين طرفين متباعدين، أو بين ذات متكلمة وأخرى متلقية."[2].

[1] مُحَّد عبد المطلب، البلاغة العربية قراءة أخرى، مرجع سابق، ص348.

[2] مُحَّد مشبال، البلاغة والأصول دراسة في أسس التّفكير البلاغي نموذج ابن جني، رؤية للنّشر والتّوزيع، القاهرة، ط1، 2016م، ص12.

لعلّ هيمنة الإمتاع على البلاغة العربيّة في بداياتها جعلها محصورة في النّصوص الشّعريّة، والخطب التّراثيّة، ولكن مع ظهور طائفة من البلاغيين المعاصرين الّتي ركزت جهودها على الشّق الثّاني للبلاغة ونقصد به الإقناع، جعل حقل البلاغة يتّسع والدّراسات البلاغيّة ماثلة في كل النّصوص كما أشار إلى ذلك مُحَمّد مشبال، فهي حسبه ماثلة في أي خطاب يجمع بين مرسل ومتلقي ويحقق العمليّة التّواصليّة، فصار بذلك حقل البلاغة أرحب وشواهده أكثر.

ولا جرم أن يستفيد رجال البلاغة المعاصرين من هذا الزّخم الأدبي في الإتيان بشواهد معاصرة تعيد للبيت العتيق رونقه وجماله، وتدفع طالب البلاغة للتّمعن في الإنتاج المعاصر، والاجتهاد في سبر أغوار النّص الأدبي وبخاصّة الشّواهد المعاصرة، وما يحويه هذا النّص من لمسات إبداعيّة، وصور تحسينيّة ما يدفعه لدراسته والاحتذاء به، وتخرجه من دائرة التّكرار وتبعده عن أحادية اللّون، فإعادة طلاء بيت البلاغة بشواهد معاصرة يُنيرها ويُزيّنها، ويزيدها رونقًا وجمالاً.

ومن أمثلة هذه الشّواهد ما جاء في ديوان رباعية الفرح لمحمد عفيفي مطر الذي حوّى أكثر من خمسين وعشرين دالا يتسم بالغرابة يقول في (موال النظر من بعيد):

"يا من سيسمع صوتي كلّما نعقت

سودُ الغرابيبِ في رأدِ الضُّحى العالي

أو كلَّما رَفْرَفَ الدَّيْجورُ أَوْ نَعَبَت

في المجثم البالي

بوم تجاوبها في دمنة الرّوح تأويلات أحوالي

يا من سَيَسْمَعُني

صوتي غزالة وشم .. في خرائطه

تسري الأراقم أحبالاً بأحبالِ

نسج تعنكبه الأنواء في دأب

والصَّيد آخر ما أبقته أطلالي

جمر المواقدِ مدفونٌ برمْلَتها

والعشق هودج آل فوق فَدْفَدِهَا

يجري ويَلْمَعُ في حلّي وتَرْحالي

يا ليل."[1].

يتسابق الشّعراء المعاصرون في نسج الكلام، ولكلّ منهم طريقته في حياكته، فتلاعبهم بالألفاظ والتّراكيب يجعلهم يتفرّدون بصياغة الكلام غير العادي الّذي يشدُّ جمهور المتلقين المتذوقين للنّصوص الشّعريّة، وقد يستخدمون مفردات غريبة تكون سمّة قصائدهم، ما يجعل المتلقي يرجع إلى المعاجم لفهم تلك المفردات، فلا يكون النّص الشّعري في متناول الجميع، بل يحتّم على من يريد الاستمتاع بالقصيدة الاجتهاد والبحث في ماهيّة تلك المفردات الغريبة الّتي يَنْفَرد بها شاعر بعينه، ومُحَّد عفيفي مطر من الشّعراء الّذين استخدموا ألفاظًا غريبة في ديوانه رباعيّة الفرح، وطالب مُحَّد مسعد بالتّمرد على المعايير البلاغيّة القديمة، وفي هذا يقول مُحَّد مسعد:

" التمرد على أي معيار عقيم يقولب اللغة الفنية وهي عصية على القولبة، لأنها عالم متمرد على عالم الواقع وعالم متمرد على عالم اللغة نفسها باتجاه إنتاج لغة جديدة وهذه هي الشعرية بلا شك."[2].

[1] مُحَّد عبد المطلب، البلاغة العربيّة قراءة أخرى، مرجع سابق، ص78.

[2] مُحَّد مسعد، البلاغة العربية بوجهة جديدة قراءة في الشّاهد، مرجع سابق، ص65.

ينادي مُحَّد مسعد بضرورة خوض ثورة ضد المعايير العقيمة الّتي تقتل اللّغة الفنيّة، فإنتاج لغة شعريّة جديدة يتطلب هذا التّمرد على العالم الواقعي وعالم اللّغة نفسها، فهناك محاولات جديّة من طرف الشّعراء من أجل إنتاج نصوص شعريّة معاصرة تتفرد بتراكيبها الخاصة، ولولا هذا التّمرد لما زلنا نقف على الأطلال في مقدمة القصائد، فهذا منهج القدماء وقد استخدمه المعاصرون، ولما كان لشعر التّفعيلة مكان في السّاحة الأدبيّة، ولكن علينا أن نتوخى الحذر في قضيّة التّمرد على المعايير، فمحمد مسعد كان ذكيًا في موقفه، فأشار إلى المعايير العقيمة الّتي لا تنتج لنا نصوص شعريّة، معايير عقيمة تقتل الفن وتأسر المبدعين، فليست كل المعايير عقيمة.

لا تعدّ ظاهرة الغرابة السّمة الوحيدة في الشّعر المعاصر بل هناك ظواهر أخرى على غرار ظاهرة التّنافر الّتي كانت تعدُّ عيبًا عند القدامى، ولكن الآن أصبحت موضة الحداثيين الّذين رأوا فيها ملاذهم للإبداع الأدبي فراحوا يستخدمونها في نصوصهم الشّعريّة بخاصة شعراء السّبعينات إلى درجة وصولها إلى لازمة شعريّة عندهم، فحسن طبل مثلاً وظف حرف الجيم في قصيدة إلى درجة جعله الموجه الدّلالي للقصيدة، إذ يقول:

"كلُّ جيم جَثت جيفة تجْتوي

وَجَفاء يجف

فكَيْفَ يجا فخ بِالجِيمِ جِلْف؟

وهل يستجاد من الجيم وجف؟

أجل

كلُّ جيم إذا جَثْجَثَتْ

جلح الجدب جرف

فكيف يجوعُ مع الجيم جوف"[1].

- الشّاهد المجمل:

يعدّ الشّاهد المجمل أقل حضورًا مقارنة بالشّواهد الأخرى؛ والشّاهد المجمل هو عبارة عن إشارة لقصيدة بعينها أو إلى مجموعة قصائد خاصة بديوان شعري، مما يدّلُ على سعة اطلاع الكاتب وحسن تذوقه للشّعر، وإبحاره المستمر في الدّواوين الشّعريّة التّراثيّة والمعاصرة، كما قد يضطر مُحَّد عبد المطلب في بعض الأحيان إلى الإشارة لقصيدة بعينها مستخدمًا بيتًا شعريا، كما جاء في حديثه عن مسألة تناول القدامى لدراسة قصائد بعينها، فكان السّبق لعلمائنا الأجلاء في هذا الأمر، وأشار إلى قصيدة امرئ القيس مستعينًا البيت الأوّل من القصيدة المعروفة، إذ يقول "امرؤ القيس:

"قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبيبٍ ومَنْزِلِ بِسَقْطِ اللّوى بَيْنَ الدّخُولِ فَحَوْمَلِ"[2].

فجاء هذا الشّاهد ليوضح لنا أنّ الزمخشري قد اشتغل على كامل القصيدة، فالهدف ليس البيت بل القصيدة بأكملها، ولم يقتصر الشّاهد المجمل على القصائد التّراثيّة بل تعداها إلى القصائد المعاصرة والدواوين الشّعريّة مثلما حدث مع **ديوان رباعية الفرح لمحمد عفيفي مطر** الّذي كان ديوانًا حافلاً بالدوال الغريبة، وقد انتقى منها مُحَّد عبد المطلب موال النَّظر من بعيد كما أشرنا إليه سابقًا، فالشّاهد المجمل يدّل على توغل الكاتب وتذوقه لقصائد ودواوين بأكملها، وقد يكون الشّاهد المجمل إشارة لشاعر فيكتفي بها الكاتب، وقد أشار مُحَّد عبد المطلب إلى شعراء خاصة المعاصرين، وتأثرهم في استخدام دوال معيّنة، وأصبحت ميزة تختص بهم دون غيرهم، وفي هذا يقول:

"إذ إن النَّظر في معجم الشُّعراء يؤكّد حضورَ هذه الظّاهرة بشكلٍ لافتٍ، ففاروق شوشة له غوايته المميَّزة مع دالّ (العُري)، ومُحَّد أبو سنة له غوايته مع مفردات (اللّون)، وعفيفي مطر له غوايته مع

[1] مُحَّد عبد المطلب، البلاغة العربيّة قراءة أخرى، ص84.

[2] المرجع نفسه، ص26.

مفردات (الحيوان والطّير)، وأحمد سويلم له غوايته مع (الماء)"[1].

تناول مُحَّد عبد المطلب ظاهرة الثّقل النّاتجة عن التّكرار، والّتي أصبحت ميّزة البلاغين المعاصرين، وقد كانت تعدّ من عيوب البلاغة عند القدامى، وقد أشار إلى شعراء معاصرين عُرِف عنهم استخدامهم لدوال معينة وتكرارها في دواوينهم، ومن هؤلاء الشّعراء فاروق شوشة، ومُحَّد أبو سنة ، وعفيفي مطر، وأحمد سويلم، حتّى أصبحوا يعرفون بها دون غيرهم، فكانت رمزًا للتّجديد الشّعري وكسر القواعد الشّعريّة القديمة، وتمردًا لغويًّا غايته الخوض في بحر الإبداع الشّعري الّذي يزهره الغموض، والخروج عن المألوف في التعامل مع الألفاظ، واستخدام المجازات الموحيّة.

2- الشّاهد البلاغي بين الاستدلال التّقعيدي والتّحليل البياني:

يستخدم مُحَّد عبد المطلب الشّاهد البلاغي في وضع قاعدة بلاغيّة، وهذا هو دور الشّاهد بصفة عامة، فيكون شاهدًا استدلاليًا، وقد يكون بهدف التّيسير والتّمثيل، وقد يرّد لغايّة الاستئناس على تقعيد مقرر.

الشّاهد الاستدلالي: هو الشّاهد الّذي يُعتمد عليه للاستدلال على قاعدة أو توضيحها، "ومن حيث الوظيفة يمكن أن يقسم الشّاهد الشّعري إلى شاهد استدلالي وهو الّذي يعتمده أهل اللغة في الاحتجاج لقواعدم، وهو المحكوم بإطاره الزماني والمكاني وشاهد تمثيلي وهو؛ الذي يوظف لإيضاح القاعدة وليس إثباتها"[2].

يشير عبد الرّحمن رجاء الله السّلمي إلى أنّ الشّاهد الشّعري في باب النّحو محدّد بالإطار الزّماني والمكاني وهذا إذ وظف في وضع قاعدة نحويّة مثلاً، وإن كان بغرض الإيضاح فهو شاهد تمثيلي على عكس البلاغة الّتي تُبقي باب الشّواهد مفتوحًا غير مكبل بالإطار الزماني والمكاني، وقد استخدمه مُحَّد

---

[1] مُحَّد عبد المطلب، البلاغة العربية قراءة أخرى، مرجع سابق، ص75.

[2] عبد الرّحمان رجاء الله السّلمي، منهج ابن الأثير في تناول الشّاهد الشّعري المثل السّائر أنموذجا، مجلة كلية الآداب واللّغات، العدد (19)، جامعة بسكرة، 2016م، ص212.

عبد المطلب هذا الأخير كثيراً فنجده يقول: "فعندما يقول الشّاعر أحمد عبد المعطي حجازي في (مصابيح الشّوارع):

والمصابيحُ في غَبَشِ الفَجْرِ،

تَنْزِفُ أضْواءَها الباقية

خَرَزًا

يتحدَّدُ مُتَّئِدًا

كَدموعِ المهرّج"[1].

يستخدم مُحَّد عبد المطلب الشّاهد الشّعري المعاصر في الاستدلال، وقد جاء هذا الشّاهد للتّبيان والتّوضيح، كما نجد مُحَّد عبد المطلب يستعين بشاهد تراثي في استدلاله، إذ يقول:

"البنيّة الثّانيّة في هذا المحور بنية (الإرصاد)، والّتي يُطلق عليها أحيانًا (التَّوشيح) وأحيانًا (التّسهيم). وإنتاجيّة هذه البنية تتمثَّلُ في تلاحم الكلم حتّى يكونَ مبتدؤه دالا عل آخرِه، والدَّلالة هنا تعتمدُ على أمرين: المادة، والصّورة، فمن حيث المادة —غالبًا– ما يحضرُ دال يُرْهِص بدالّ آخر، سواءٌ اتَّفقنا في أصلِ الاشتقاقِ أم في الحقل الدَّلاليّ، ومن حيثُ الصّورةِ فإنَّ الإرهاص يتَّسع ليستوعبَ السّياق الكلّيّ في الشّعرِ، حيث يطرحُ النَّصُ مجموعة من القوافي تشيرُ إلى طبيعة (الرَّوي) الّذي يشكّلُ الدَّالَ الثّاني ويطرحه على صورة القافية في الأبيات السّابقة، وعلى هذا النَّحو تتحقق البنية في الصّياغَةِ النَّثريَّة.

فعلى مستوى توافق الدّالين في أصل الاشتقاقِ يقول البحتري:

أحَلَّتْ دمي من غيرِ جرمٍ وحَرَّمَتْ بلا سببٍ يومَ اللّقاءِ كلامي

[1] مُحَّد عبد المطلب، البلاغة العربية قراءة أخرى، مرجع سابق، ص140.

فليسَ الَّذي حلَّلْتهُ بمُحَـــلَّلِ   وليسَ الَّذي حرَّمْتهُ بحــــرام"[1].

يبني مُحَمَّد عبد المطلب نصه بمنطق حجاجي إقناعي، إذ يوضح أنّ هذه البنية يطلق عليها عدة مصطلحات (الإرصاد، التّوشيح، التّسهيم)، وهو دليل على تتبعه للقضيّة والوقوف على محطاتها، ويحلله وفق تحليل لساني ولكنّه في استدلاله يورد شاهدًا شعريًّا تراثيًا للبحتري حتى يوضح للقارئ مستوى توافق الدّالين.

[1] مُحَمَّد عبد المطلب، البلاغة العربية قراءة أخرى، مرجع سابق، ص385.

المبحث الثّالث: ضوابط الاحتجاج بالشّاهد البلاغي عند أحمد مطلوب

تمهيد:

آثر الأدباء واللّغويون المعاصرون أنفسهم لخدمة اللّغة العربيّة، ومضوا بها نحو الدّراسة والتّحليل حاملين راية جهابذة اللّغة القدامى، والبلاغة العربيّة نالت حظها من هذا الاهتمام والعناية كيف لا وهي تقوم على فهم إعجاز القرآن الكريم، والوقوف على جمال أسلوبه وبلاغته، ومن بين اللّغويين المعاصرين الّذين قدّموا مصنفات بلاغيّة مهمّة نجد **أحمد مطلوب** الّذي وقع اختيارنا عليه نتيجة أعماله البلاغيّة الّتي نجدها في بعض الأحيان تندرج ضمن ما يسمى بالبلاغة التّطبيقيّة، فحاولنا أن نستقصي شواهده البلاغيّة من خلال كتابه **(البلاغة والتّطبيق)**، ونرى **إن كان إتباعيًا أو ابتداعيا في هذا الجانب، ونحاول تتبع منهج تعامله مع الشّواهد البلاغية.**

1- ضوابط الاحتجاج بالشّاهد البلاغي عند أحمد مطلوب:

لا بدّ للباحث في علم البلاغة من ضوابط في احتجاجه بالشّاهد البلاغي، وقد تختلف الضوابط من مبدع لآخر، فنجده يستدعي شاهدًا بلاغيًّا دون الآخر في احتجاجه لبعض القضايا البلاغيّة لتصبح قوالبًا جاهزة فيما بعد، ولو تتبعنا كتاب (البلاغة والتّطبيق) لوجدنا أحمد مطلوب استعان بالكثير من الشّواهد القرآنيّة وشواهد الحديث النّبوي الشّريف والخطب والأقوال النّثريّة والكثير من الشّواهد الشّعرية باختلاف عصورها.

1- العامل الدّيني:

يعدّ العامل الدّيني أساس المنطلقات المتدخلة في اختيارات البلاغي للشّواهد البلاغيّة، فأحمد مطلوب استدعى شواهد كثيرة من القرآن الكريم، والحديث النّبوي، وكلام الصّحابة رضوان الله عليهم، فلا يخلو باب من أبواب الكتاب من هذه الشّواهد، فقد كان اتّباعيًا إلى حدّ كبير في تعامله مع الشّواهد المستمدة من القرآن الكريم والحديث النّبوي، وعند تصفح كتاب البلاغة والتطبيق الّذي يعدّ

من الكتب المندرجة ضمن حقل الدّراسات البلاغيّة التطبيقيّة يحلينا إلى الوقوف على قوة الشّاهد البلاغي القرآني سواء في التّأصيل للمصطلح البلاغي أو حتّى في التّوضيح المفاهيمي للمصطلحات البلاغيّة، فمثلاً عند حديثنا عن مصطلح البيان الّذي جاء في الفصل الأول من الباب الثّالث للكتاب، وقد خصص المبحث الأوّل من الفصل الأوّل لمفهومه لغة واصطلاحا نجد أنّ أحمد مطلوب قد استشهد بآيتين قرآنيتين هما على التّوالي:

"أولهما: قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران:138]"[1].

وثانيهما: قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤ ﴾ [الرحمن:4]"[2].

ففي حديثه عن المفهوم اللّغوي لمصطلح البيان نجده تتبع أثره في القرآن الكريم مستدلا بالآيتين المذكورتين آنفا، وبهذا يشير إلى أنّ المصطلح مذكور في القرآن الكريم، ولا يكتفي أحمد مطلوب بهذا القدر من الشّواهد لينتقل فيما بعد إلى الحديث النّبوي ويستشهد أيضًا بحديثين شريفيين:

"أولهما: ما رُوي عنه –ﷺ– من قوله:((**إنّ من البيان لسحرا، وإنّ من الشعر لحكمة**))...

أما الموضع الثّاني فهو ما رُوي عنه –ﷺ– من أنه قال: ((**البذاء والبيان شعبة من النفاق**))"[3].

إن إبلاغيّة الشّاهد القرآني تتفوق على الشّواهد الأخرى يليه الشّاهد النّبوي الّذي يعتبر من أقوى الشّواهد وأكثرها تأثيرًا في المتلقي –المتلقي المسلم بطبيعة الحال–، فدارس البلاغة اليوم يجد نفسه أمام زخم من الشّواهد المقدسة الّتي تزيد من رغبته في استكناه الدّرس البلاغي واكتشافه، وسبر أغواره ومعرفة أساليبه وسحر فنونه.

---

1 أحمد مطلوب، البلاغة والتطبيق، مرجع سابق، ص251.

2 المرجع نفسه، ص252.

3 المرجع نفسه، ص252 ص253.

لم يقتصر استعمال الشّاهد القرآني على التعريف اللّغوي والاصطلاحي بل تعداه إلى مختلف المباحث البلاغيّة الأخرى، ليتنقل عبر دفاتر الكتاب من صفحة لأخرى؛ فنجده مثلا يستدعيه في حديثه عن الإيجاز وبالتّحديد عن أغراض حذف المفعول به ، فيورد الشّاهد القرآني التّالي:

"أحدها أن يكون غرض المتكلم بيان حال الفعل والفاعل فقط كقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ ٢٣ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ٢٤ ﴾ [القصص:24] وقد حذف المفعول به في أربعة مواضع لأن الغرض من الحديث عن موسى لا عن كون المسقي غنما، أو إبلا، أو غير ذلك"[1].

يمكن تمثيل الشّواهد القرآنية والشّواهد الأخرى الواردة في كتاب البلاغة والتّطبيق من خلال هذا الجدول :

الباب	شواهد قرآنية	شواهد الحديث النّبوي	الشّواهد النّثريّة	الشّواهد الشّعرية
الباب الأول: النّشأة والتّطور	05	04	02	85
الباب الثّاني: علم المعاني	302	02	01	195
الباب الثّالث: علم البيان	50	15	04	114

[1] أحمد مطلوب، البلاغة والتطبيق، مرجع سابق، ص 188.

الباب الرّابع: علم البديع	27	07	06	64
المجموع	384	28	13	458

- الجدول رقم 01-

من خلال التّحليل الإحصائي للبيانات الواردة في الجدول رقم 01 يظهر جليا أنّ الشّاهد القرآني يتفوق على شواهد الحديث النّبوي والشّواهد النّثريّة، ولكي تتضح الصّورة بشكل أدق يمكن أن نقارن بين الشّواهد القرآنية وشواهد الحديث النّبوي من خلال هذا المخطط التوضيحي

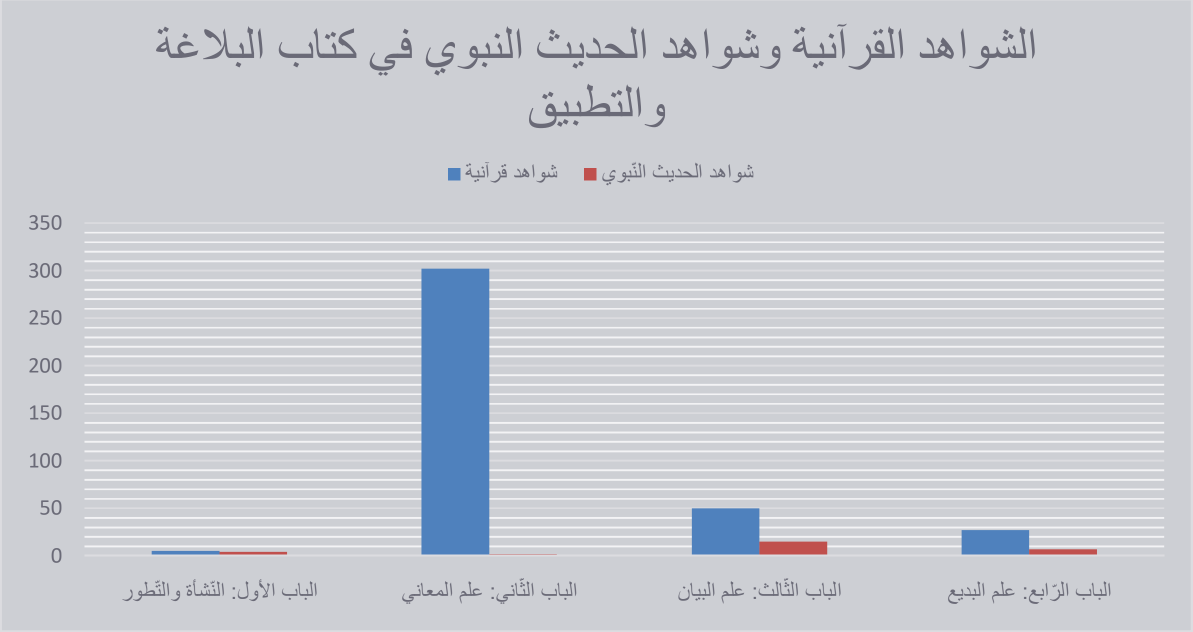

- مخطط توضيحي رقم 01-

من خلال المخطط يتضح أنّ أحمد مطلوب استعان بثلاثة مئة وأربعة وثمانين (384) شاهدًا قرآنيًّا وهي نسبة عاليّة إذا ما قارناها بالحديث النّبوي الّذي استشهد به لثمانية وعشرين (28) مرة، وأكبر نسبة من الشّواهد القرآنيّة وردت في الباب الثّاني المتعلّق بعلم المعاني فقد استدعى أحمد مطلوب ما يقارب ثلاثمائة واثنان (302) شاهدًا أي ما يعادل 78% من مجموع الشّواهد الواردة في الكتاب،

لتتوزع الشّواهد القرآنية الأخرى على باقي الأبواب الأخرى، وتحتل الشّواهد القرآنية للباب الأوّل المرتبة الأخيرة إذ اعتمد أحمد مطلوب على خمس(05) شواهد فقط أي ما يعادل 0.01% وهي نسبة قليلة جدًا وكادت تتعادل مع شواهد الحديث النّبوي الّتي وردت لأربع (04) مرات فقط وشاهدين نثريين(02)، ولكن في باقي الأبواب الأخرى تتفوق الشّواهد القرآنيّة على شواهد الحديث النّبوي والشّواهد النّثرية.

قد نتساءل لماذا ركّز أحمد مطلوب على الشّواهد القرآنية وشواهد الحديث النّبوي وأقوال الصحابة رضوان الله عليهم بكثرة؟

يمكن أن نلخص ذلك في النقاط التّاليّة:

- ضرورة ترسيخ المبدأ القويم الّذي بُنيت عليه البلاغة وظهرت للوجود من أجله ألّا وهو فهم إعجاز القرآن الكريم.
- احتواء القرآن الكريم والحديث النبوي وكلام الصحابة على جميع مباحث البلاغة فهو الأرضيّة الحقيقيّة لتعلُّم وتعليم البلاغة للناشئة.
- تشجيع طلاب المدارس باختلاف أطواره لاكتشاف الدُّرر المكنونة في القرآن الكريم والحديث النبوي وكلام الصحابة، وهذا يدفعهم لتحسين ملكتهم وإثراء معجمهم اللّغوي، والتّمكن من الفصاحة.
- الطّاقة الإبلاغيّة الّتي يتمتع بها الشّاهد الدّيني تسمو به بعيدًا عن كلّ الشّواهد، ولا مجال للمقارنة بين المقدس والمدنس.

نجد أحمد مطلوب استعان بالشّاهد القرآني بكثرة وذلك لأهميته في حقل الدّراسات البلاغيّة، ولطاقته الإبلاغيّة فهو أصل ظهور علم البلاغة، ومن جميل الذّكر ومن حسن القول أن نثري كتبنا بشواهد من الحديث النّبوي ومن كلام الصحابة رضوان الله عليهم، فقد أورد أحمد مطلوب في حديثه

عن الاستعارة "قول الإمام علي ﷺ في كتابه لابن عبّاس وهو عامله على البصرة في بعض كلامه: ((**أرغب راغبّهم واحلل عقد الخوف عنهم**))[1].

نلامس من خلال التّحليل الإحصائي أهميّة العامل الدّيني في الدّرس البلاغي، وتأثيره في الأديب وتدخله المباشر وغير المشروط في انتقاء الشّاهد البلاغي خاصّة إذا كان المنجز البلاغي موجّهًا إلى حقل الدّراسات البلاغيّة التّطبيقيّة، وتدخل العامل الدّيني في اختيارات أحمد مطلوب جلّي فهو يتبع منهج القدامى في استنادهم عليه، فقوة الإقناع الّتي تميز الشّاهد القرآني والنّبوي تجعله محور الدّرس البلاغي التّطبيقي، فأحمد مطلوب كان إتباعيًا في استعانته بالشّواهد القرآنيّة والأحاديث النّبوية، وكلام الصحابة رضوان الله عليهم، وهو أمر مُستحسن وواجب حتّى لاتُقطع أواصر العلاقة المتينة بين البلاغة وأصولها.

من الجدير بالذّكر استعانة أحمد مطلوب بالشّواهد النّثرية، فنراه يستدعي شواهد **للحريري** من خلال مقاماته، ففي حديثه عن الاقتباس من الحديث أورد قول الحريري:

"كتمان الفقر زهادة وانتظار الفرج بالصبر عبادة"[2].

يواصل أحمد مطلوب الاستعانة بأقوال **الحريري** إذ يقول:

" وممن دان لهم علماء البلاغة بالفوز قول **الحريري** الذي قال في ختام مقاماته:

((ثم دنوت إليه كما يدنو المصافح، وقلت: أوصني أيها العبد الصالح، فقال: اجعل الموت نصب عينيك، وهذا فراق بيني وبينك فودعته وعبراتي يتحدّرن من المآقي، وزفراتي تتصعدن إلى التراقي، وكانت خاتمة التلاقي))[3].

---

[1] أحمد مطلوب، البلاغة والتّطبيق، مرجع سابق، ص356.

[2] المرجع نفسه، ص460.

[3] المرجع نفسه، ص468.

يعتمد أحمد مطلوب في أكثر من موضع بأقوال **الحريري** مزينًا كتابه بجميل العبارات وأفصح الكلمات، وهو يشير إلى أنّ علماء البلاغة استحسنوا أقوال الحريري فهو يوضح أنّه اتّباعي في هذا الجانب، وبالتّالي نجد أنه يتخذ منهج الأسلاف في التّعامل مع الشّواهد النّثريّة، ومن الأمانة العلميّة أنّه يُشير إلى أنّه اتّباعي في هذا التّوجه، وهذا ما يكرّره في أكثر من موقف.

2- العامل التّاريخي للشواهد البلاغيّة:

يستحضر أحمد مطلوب الحوادث التّاريخيّة من خلال استدعائه لشواهد بلاغيّة مختلفة، فكلّما طال العمر الزّمني للشّاهد كلّما زادت طاقته الإبلاغيّة وقوته التّأثيرية، وللحدث التّاريخي أهميّة كبيرة في جذب انتباه القارئ ولنا في كتاب البلاغة والتّطبيق الكثير من الشّواهد المرتبطة بالحوادث الزّمانيّة ويمكن أن نستدّل على ذلك من خلال الشّواهد التّاليّة:

"قول كعب بن زهير لرسول الله ﷺ:

في فِتيةٍ من قريشٍ قال قائلُهم   ببطنِ مَكّةَ لمَّا أَسلمـوا زُولوا"[1].

إنّ هذا الشّاهد يمثل حقبة تاريخيّة مهمّة في التّاريخ الإسلامي، فهو صادر عن الشّاعر كعب بن زهير في مدح الرّسول مُحَّد ﷺ، وأحمد مطلوب يوضّح أنّ هذا القول موجه للرّسول ﷺ، فالشّاهد إذن ذو حمولة تاريخيّة تزيده قوة إبلاغيّة وتأثيريّة في المتلقي، ولم يكن هذا الشّاهد الوحيد الّذي يحوي بعدًا تاريخيًا وقد أشرنا سابقًا أنّ الشّواهد البلاغيّة كلّها ذات حمولة تاريخيّة تزيدها بهاءً ورونقًا، ومن الشّواهد الأخرى نجد "قول أبي تمام يهنئ المعتصم بالله بفتح عمورية، وكان أهل التّنجيم زعموا أنها لا تفتح في ذلك الوقت:

السيفُ أصْدقُ أنباءً من الكتبِ   في حدّهِ الحدُّ بين الجدّ واللعبِ"[2].

---

[1] أحمد مطلوب، البلاغة والتطبيق، مرجع سابق، ص373.

[2] المرجع نفسه، ص463.

يُعتبر هذا الشّاهد من الشّواهد البلاغيّة الواردة في باب البديع وبالتّحديد في براعة الاستهلال، والشّاهد لأبي تمام وهو في ذاته يمثل حقبة تاريخيّة ذهبيّة للأدب العربي، وأحمد مطلوب يبيّن أنّ هذا الشّاهد يؤرخ لفترة زاهيّة من التّاريخ الإسلامي وهي الفترة العباسيّة وبالتّحديد أيام خلافة المعتصم بالله الّذي فتحت على يدّه عمورية وخالف بذلك أوهام المنجمين الّذين جزموا أنّها لا تفتح، ولكن كان للسّيف كلام آخر، وجاء النّصر وفتحت عمورية، فصدح الحقّ وأبان عن نظريّة جديدة كان صاحبها أبي تمام الّذي رأى أنّ السّيف أصدق أنباء من الكتب لتصبح حكمة متوارثة من جيل إلى جيل، فقد أجاد في استهلاله هذا ليُبدع بقصيدة مطلعها هذا البيت، لينسج خيوط قصيدته وجعلها محل دراسة وإشادة، وخلّد هذا الشّاهد تلك المرحلة الذّهبيّة من الخلافة الإسلاميّة.

يتفنن البلاغي في استخدام الشّاهد الّذي يؤرخ لمرحلة ما، فيمكن أن نتدارك المرحلة التّاريخيّة من خلال التّصريح باسم الشّاعر أو كنيته، وقد نبيّن اسمه ونربطه بالمرحلة التّاريخيّة الّتي عايشها، وقد ربط أحمد مطلوب الشّاهد بالسّياق الّذي ورد فيه، إذ يقول:

"ومن مليح التعريض قول أيمن بن خزيم الأسدي لبشر بن مروان يمدحه ويعرض بكلف كان بوجه أخيه عبد العزيز حين نفاه من مصر على يدي نصيب الشاعر مولاه:

كأن التاج تاج بني هرقل　　　جلوه لأعظم الأعياد عيدًا

يصافح خذ بشر حين يمسي　　　إذا الظلماء باشرت الخدودا

...

يتضح من هذه الشواهد ومن تعليقات ابن رشيق عليها، أن التعريض قد يكون مدحًا وقد يكون ذمًا، وأنَّ القارئ لا يدرك منه المعنى المكنى عنه إلّا إذا كان ملما بالسياق الذي ورد فيه، وأن هذا السياق يظهر بوسائل تتنوع بين ظرف القول ومناسبته كما هو الحال مع أبيات كعب بن زهير وبين الحدث

التأريخي كما هو أمر ببيتي أمن بن خزيم الأسدي وبين أسباب النزول ودواعيه كما هو شأن الآية الكريمة"[1].

يتّضح من خلال هذا القول الّذي أورده أحمد مطلوب أنّ السّياق يلعب دورًا مهمًّا في معرفة المقاصد، فالشّاهد يحمل بعدًا تاريخيًا يُصبح فيما بعد حلّة تزينه ووشاحه الخاص الّذي يميزه عن باقي الشّواهد، فقول أيمن بن خزيم الأسدي موجّه لبشر بن مروان لكنّه مربوط بحدث متمثل في قضيّة النّفي إلى مصر، فالشّاهد يحمل في طياته تلك المرحلة الزّمنيّة الّتي عايشها الشّاعر ويؤرخ لفترة أدبيّة مهمّة، فهذا الشّاهد البلاغي يأتي في باب التّعريض ولكنّه متعلّق بخيوط زمنيّة تزيده إمتاعًا وإقناعًا.

يرتبط الشّاهد البلاغي الشّعري كثيرًا بالسّياق وقد يؤثر في المتلقي الآني فيجعله يرجع عن موقف أو ربما يتدخل في تغيير موقف أو حتى في العدول عن أمر مُنجر، "وحكوا أنّه لما بنى **المعتصم بالله** قصره بالميدان، وجلس فيه، أنشده **اسحاق الموصلي**:

يادارُ غيّرك البلى، ومحـــاك   ياليت شِعري ما الـذي أبلاكِ؟

فتطيرَّ المعتصم بهذا الابتداء، وأمر بهدم القصر"[2].

نلاحظ أنّ هذا الشّاهد جاء لمناسبة بائنة وهي بناء **المعتصم بالله** لقصره بالميدان، وأثّر فيه قول الموصلي ممّا جعله يتطيرّ بهذا البيت ويُقرّر هدم القصر، فالشّاهد الشّعري هو من جملة الشّواهد البلاغيّة المرتبطة بالأحداث الزمكانيّة الّتي تتدخل في اختيارات البلاغي، وتضبط استشهاده، وتحدد من خياراته لما لها من حمولة تأثيريّة وإقناعيّة.

---

[1] أحمد مطلوب، البلاغة والتطبيق، مرجع سابق، ص374.

[2] المرجع نفسه، ص464.

3- العامل الذّوقي:

نروم الوقوف على تدخل العامل الذوقي في اختيارات البلاغي، وعند العودة لكتاب البلاغة والتّطبيق يمكن أن نرى التّفاوت الحاصل بين الشّعراء، فأحمد مطلوب يستدعي في كثير من الأحيان شواهد شعريّة لشعراء على حساب آخرين في الاستشهاد لمختلف القضايا البلاغيّة، ومن خلال الجدول يمكن أن نوضّح مدى اعتماد أحمد مطلوب على شعراء دون غيرهم:

الشاعر	عدد الشّواهد الشعرية	الشاعر	عدد الشّواهد الشعرية
المتنبي	46	البحتري	17
حسان بن ثابت	02	امرؤ القيس	12
أبو نواس	08	أبو العلاء المعري	10
زهير بن أبي سلمى	13	النابغة الذبياني	08
أبو تمام	27	الفرزدق	04
الحطيئة	04	كعب بن زهير	05
الخنساء	05	كثير	02
جرير	05	أوس بن حجر	02
بشار بن برد	03	ابن الرومي	08
أبو نصر عبد العزيز بن نباتة	04	لبيد بن ربيعة	02

ابن نباتة السعدي	01	ابن بابك	02
رؤبة بن العجاج	01	ابن المعتز	02
العجاج	01	ابن وهيب	03
السموأل	02	حاتم الطائي	03
عمر بن أبي ربيعة	04	ابن زيدون	02
أبو فراس الحمداني	02	عنترة	02
الشّريف الرضي	02	ذو الرمة	02
أبو حيّة النّميري	01	ابن النطاح	01
أبو نجم	02	المقنع الكندي	01
العباس بن الأحنف	01	الطرماح	01
الخالدي	01	معن بن أوس	01
نضلة السّلمي	01	المعاذ	01
ابن يسير	01	إبراهيم بن المهدي	01
أبو البيداء الرّياحي	01	حجل بن نضلة	01
المعلوط	01	النابغة الجعدي	01
الأعشى	01	عمرو بن كلثوم	01

أعشى همذان	01	قطري بن الفجاءة	01
ربيعة الرقي	01	أبو صخر الهذلي	01
قيس بن الرقيات	01	مسكين الدرامي	01
مالك بن رفيع	01	يزيد بن مسلمة عبد الملك	01
الوليد بن يزيد	01	قريط بن أنيف	01
علقمة بن عبدة	01	عدي بن زيد العبادي	01
عروة بن الورد	01	الأفوه الأودي	01
الحارث بن حلزة	01	أبو ذؤيب الهذلي	01
عوف بن ملحم	01	طرفة	02
أبو خراش الهذلي	01	الصاحب بن عباد	02
أوس بن حجر	01	أبو إسحاق الصابي	01
ابن لكنك	01	ابن رشيق	01
عروة بن حزام العذري	01	ابن طباطبا	01
عبيد بن العرندس الكلابي	01	ابن الفارض	01
قيس بن الذريح	01	طفيل الغنوي	01
أبو دلامة	01	الشنفرى	01

القاضي التنوخي	01	زياد الأعجم	01
المرقش الأكبر	01	ابن الدمينة	01
قيس بن الخطيم	01	أيمن بن خزيم الأسدي	01
السري الرفاء	01	القاضي عياض	01
أبو الفضل المكيالي	01	ابن الوردي	01
ابن الربيع	01	ابن سناء الملك	01
أبو العباس الضبي	01	القطامي	01
أبو طالب المأموني	01	أشجع السّلمي	01
ابن أبي الأصبع	01	أبو العتاهية	01
إسحاق الموصلي	01	ابن هاني المغربي	01
الرصافي	03	الزهاوي	01
أحمد شوقي	02		

- الجدول رقم 02-

يتبيّن من خلال الجدول رقم 02 أنّ أحمد مطلوب اعتمد على مائة وخمسة (105) شاعرًا في استشهاده الشّعريّ، وإذا ما لاحظنا الجدول نجد أن سبعين (70) شاعرًا استشهد لهم بشاهد شعري واحد فقط بينما ستة عشر (16) شاعرًا استشهد لهم بشاهدين شعريين، وحتّى يتبين لنا الأمر يمكن أن نمثل للشّواهد الأخرى المتبقية بهذا المخطط البياني:

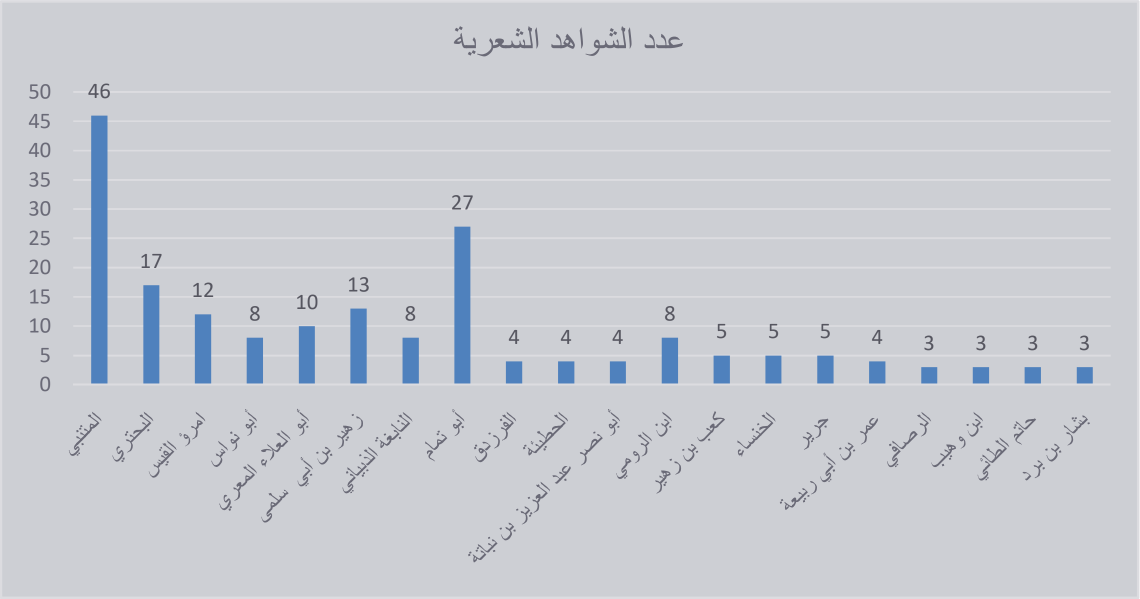

- مخطط بياني رقم 02 للشّواهد الشّعرية المستشهد بها -

يتبيّن من خلال المخطط رقم (02) أنّ أحمد مطلوب استعان كثيرًا بشواهد المتنبي تليه شواهد أبي تمام ثم البحتري ومعلوم أنّ هؤلاء الثلاثة من شعراء العصر العباسي الّذي يعدّ من أزهى وأرقى العصور، كما نجده يستشهد بشواهد كثيرة من العصر العباسي والقائمة ضمت (المتنبي، البحتري، أبو تمام، أبو نواس، ابن الرومي، بشار بن برد) وهذه الطّبقة حوت على مائة وتسعة عشر (119) شاهدًا شعريًّا تليها طبقة العصر الجاهلي ممثلة في (زهير بن أبي سلمى، امرؤ القيس، أبو العلاء المعري، النابغة الذبياني، كعب بن زهير، الخنساء، حاتم الطائي) بستة وخمسين (56) شاهدًا شعريًا بينما لم يعتمد كثيرًا على الشّعراء المعاصرين وحتى عند تطلعنا على الفصلين التطبيقيين نجده استعان بثمانية وثلاثين شاهدًا معاصرًا (38) مقابل ستة وثمانين (86) شاهدًا تراثيًا أي ما يمثل 69% من مجموع الشّواهد الشّعرية، ونجده يستعين كثيرًا بأشعار المتنبي إذ استعان بستة وأربعين شاهدًا له، فكان التّفوق للمتنبي واحتل بذلك الحيز الأكبر من المساحة التّطبيقية، ونجده لم يستعن كثيرًا بأشعار المعاصرين، فقد اعتمد على الرصافي وأحمد شوقي بنسب قليلة، ويمكن الجزم أنّ أحمد مطلوب كان اتّباعيًا إلى حدّ بعيد في تعامله مع الشّاهد الشّعري البلاغي.

يمكن أن نستنتج أنّ أحمد مطلوب كان إتباعيًا إلى حدّ كبير في تعامله مع الشّاهد الشّعري التّراثي، فسار على منهج القدامى، ولكن هذا لم يمنعه من استخدام الشّاهد المعاصر، ولكن بنسب قليلة جدًا مقارنة بالشّاهد التّراثي ويمكن أن نورد قول الرّصافي مثلاً:

"خـــليليّ أنّ الأرض غربـــال قـــدرة　　تجمعت الأحياءُ بين إطـــاره

تميـــدُ بـــه كـــف للزمـــان تحركـــا　　لمحوِ ضعيف أو لإثبات فارِه

فيبقى بـــه الأقـــوى قريـــنَ ارتقائـــه　　كما يسقط الأوهى رهين اندثاره

فلا عيش في الدنيا لمن لم يكن بها قديرًا　　على دفـــع الأذى والمكـــارِهِ"[1].

لم يكن الرّصافي الوحيد الّذي استعان به أحمد مطلوب، فقد اعتمد كذلك على أمير الشّعراء أحمد شوقي في باب التّشبيه وبالتّحديد عند حديثه عن حروف التّشبيه، فقال: "أما الكاف الأصل في استعمالها أن يليها المشبه به كقول أحمد شوقي في وصف البحر:

لجـــة عنـــد لجـــة عنـــد أخـــرى　　كهضـــاب ماجـــت بها البيداءُ

وسفيـــن طـــورًا تلـــوح وحينـــا　　يتـــولى أشباحهـــن للخفـــاءُ

نـــازلاتٌ في سيـــرها صاعـــداتٌ　　كالهـــوادي يَهُزُّهُـــنَ للحُـــداءُ"[2].

إنّ أحمد مطلوب مُطلّع على الشّعر العربي، وقد استعان بالشّعراء المعاصرين خاصة في التّطبيقات العامة الّتي جاءت بطريقة تلقينية أكثر منها تساؤليّة، وقد أنصف شعراء حقبته إذ ختم كتابه بقول أمير الشّعراء، وشاعر النّيل وهو اعتراف بأحقيّة هذا الجيل من الإبداع الشّعري، ورسالة للجيل اللّاحق على تذوق الشّعر المعاصر، ونيل حظه من الدّرس البلاغي، ولا نكرس المقولة الّتي تقول: ما

[1] أحمد مطلوب، البلاغة والتّطبيق، مرجع سابق، ص279.

[2] المرجع نفسه، ص282.

ترك السّابق للاحق شيء، وإن كان الاعتماد على التّراث من سبيل الإنصاف، فلا أحد يُنكر أنّنا ندين لتراثنا الأدبي بالكثير ولو كان هذا التّراث لأمّة أخرى لرأيناها تُبجلّه ليلا نهارا، ويمكن أن نورد البيتين الّذين ختم بهما أحمد مطلوب كتابه:

"قال أحمد شوقي:

آذار أقبل، قُم بنا يا صاح   حى الربيع حديقـــة الأرواح

قال الرصافي في قصيدته الدهر والحقيقة:

أصوغُ بها حُرّ الكلامِ لخزعلٍ   مديحًا كعقـد اللؤلؤِ المتنـاسقِ"[1].

يحيل أحمد مطلوب القارئ إلى بيت الرّصافي، ويوضح أنّه مأخوذ من قصيدته الدّهر والحقيقة، فإن كان مُولعًا بالشّعر العربي فلا سبيل له إلّا الرّجوع إلى القصيدة وإشباع نهمه المتذوق للشّعر، فقد كان بإمكانه إيراد البيت دون الإشارة إلى القصيدة وهي ميزة تكررت كثيرًا خاصة في التّطبيقات الّتي وضعها أحمد مطلوب والّتي تجعل من المتمحص والمدقق يستشف الذوق الراقي لأحمد مطلوب واطّلاعه على الشّعر العربي، فمثلاً يورد قول شاكر السّياب الّذي جاء في التّطبيقات العامة المتعلقة بعلم المعاني، إذ يقول: "بدر شاكر السياب في قصيدة بور سعيد:

يا حاصد النار من أشلاء قتـــلانا   منك الضحايا وإن كانـوا ضحايانا

كم من ردى في حياة وانخذال ردى   في ميتة وانتصار جاء خـــــدلانا

إنّ العيـــون التي طَفّـأت أنجمـــها   عجّلن بالشمـــس أنْ تختـار دنيانا

وامتـــد كالنـور في أعماق تربنـــا   غـــرس لنا من دم واخْضَلّ موتانـا

فازّلزلـــي يا بقايـــا كـــاد أولنـــا   يبقـــى عليها من الأصنـام لولانا"[1].

---

[1] أحمد مطلوب، البلاغة والتّطبيق، مرجع سابق، ص490.

2- منهج التّعامل مع الشّاهد الشّعري عند أحمد مطلوب:

يمكن أن نقف على منهج تعامل أحمد مطلوب مع الشّاهد الشّعري من خلال تتبع الشّواهد الشّعريّة الواردة في كتابه البلاغة والتّطبيق، وقد تنوع الاستشهاد بالشّعر في هذا الكتاب فتارة نرى الكاتب يستخدم الشّاهد الجزئي الّذي يعدّ سمة الدّرس في البلاغة التّقعيديّة وبخاصّة المدرسة الكلاميّة، ونراه يستنجد كثيرًا بالشّاهد المفرد، والشّاهد القطعة بحسب ما يتطلبه السّياق، وفيما يلي الشّواهد المستخدمة عند أحمد مطلوب.

2-1 الشّاهد الجزئي:

يعدّ الشّاهد الجزئي سمة الدّرس البلاغي إلّا أنّ أحمد مطلوب استعان به ست (06) مرات فقط وهي نسبة قليلة جدا مقارنة بالشّواهد الأخرى، وقد جاء أعلى نسبة في المبحث المتعلق بالفصاحة بأربع (04) مرات يليها شاهد في مبحث التّشبيه المفرد وشاهد في مبحث المجاز العقلي.

ومن الشّواهد يمكن أن نذكر "قول أبي النجم:

أعجم في آذانها فصيحا "[2].

"قول رؤبة بن العجاج: قواطنًا مكة من ورّقِ الحَما"[3].

إن قضيّة الاجتزاء المتعلّقة بالشّاهد الشّعري البلاغي قضيّة متوراثة أفرضتها الظروف، وسبق أن أشرنا إلى ذلك في حديثنا عن الشّاهد الشّعري عند مُحمّد عبد المطلب، ولكن الملاحظ أنّ البلاغيين لا يعتمدون كثيرًا على مثل هذا النّوع من الشّواهد مقارنة بالشّواهد الأخرى.

---

[1] أحمد مطلوب، البلاغة والتّطبيق، مرجع سابق،ص239.

[2] المرجع نفسه، ص35.

[3] المرجع نفسه، ص51.

2-2 الشّاهد المفرد:

يقصد بالشّاهد المفرد ذاك الشّاهد الشّعري الّذي يتكون من بيت شعري واحد فقط، وقد عجّت به صفحات كتاب أحمد مطلوب، واحتلّ الصّدارة بمجموع ثلاثمئة وخمسين شاهدًا (350) متفوقًا على الشّواهد الأخرى، فقد استعان به أحمد مطلوب كثيرًا ويمكن أن نورد الشّواهد التّاليّة، فمنها ما جاء في باب علم المعاني وبالتّحديد عند الحديث عن أضرب الخبر، **كقول جرير**:

"إن العيون التي في طرفها حَوَر   قتلننا ثم لم يُحيين قتـــــلانـــا

وقول البحتري:

هل يجلبّن إليّ عطفك موقف   ثبت لديك أقول فيه وتسمع "[1].

إنّ منهج أحمد مطلوب في تعامله مع الشّاهد المفرد يختلف من حين لآخر، فقد يصرّح باسم الشّاعر كما جاء في الشّاهدين السّابقين، وقد يذكر كنيته كقوله(ذو القروح)، إذ يقول:

" ولم يكن ذو القروح يلهج بالمنطق ما نوعه وما سببه

والشعر لَمْحٌ تكفي إشـارتـه   وليس بالهَذر طولت خطبـه"[2].

وقد يكتفي بقول:

" وقل الآخر:

أضاعوني وأيّ فتــى أضـاعـوا   ليومِ كريهـةٍ وسـدادٍ ثَغْــرِ؟"

يقول الشّاعر:

---

[1] أحمد مطلوب، البلاغة والتّطبيق، مرجع سابق، ص107.

[2] المرجع نفسه، ص29.

فَدَعِ الوعيد فما وعيدك ضائري   أطنين أجنحةِ الذُباب يضيرُ؟"[1].

الشّاهد القطعة:

الشّاهد القطعة هو الشّاهد الّذي ضمّ أكثر من بيت، وقد جاء في المرتبة الثّانيّة بعد الشّاهد المفرد بحوالي مائة وعشرة أبيات (110)، وقد كانّ النّصيب الأكبر للشّواهد الّتي حوّت بيتين بما يقارب واحد وتسعين (91) بيتًا تلتها الشّواهد الشّعرية بثلاث أبيات الّتي حوّت اثنا عشرا شاهدا (12) ثم الشّواهد الشّعريّة بأربع أبيات الّتي حوت هي الأخرى أربع شواهد فقط (04)، ثم شاهدين (02) للشواهد بخمس أبيات، وأخيرًا شاهد (01) لقطعة بستة أبيات.

ومن الشّواهد الّتي حوت ثلاثة أبيات يمكن أن نذكر قول ابن وهيب:

أجارتنا إنَّ التعفف بالياس   وصبر على استدرارا دنيا باباس

حريان أن لا يقذفا بمذلة   كريما وإن لا يحوجاه إلى الناس

أجارتنا إنَّ القداح كواذب   وأكثر أسباب النجاح من الياس"[2].

كما استعان بهذه القطعة في حديثه عن الإيجاز، إذ يقول:

" وقيل لآخر: ألا تطيل القصائد، فقال:

أبى لي أن أطيلّ للشعر قصدي   إلى المعنى وعلمي بالصوابِ

وايجازي بمختصرٍ قريبٍ   حذفت به الفضول من الجوابِ

فأبعثُهنَّ أربعةً وستاً   مثقفةً بألفاظٍ عذابِ

---

[1] أحمد مطلوب، البلاغة والتّطبيق، مرجع سابق، ص133.

[2] المرجع نفسه، ص109.

خوالدَ ما حدا ليـــــل نهـارا وما حَسُنَ الصبا بأخي الشبابِ

وهنّ إذا وسمـتُ بهنّ قومـــا كأطـواق الحمائم في الرقـــابِ

وكنّ إذا أقمت مسافـــرات تهاداهـــا الـــرواة مع الـــركـابِ"[1].

خلاصة الفصل الثّالث:

يظهر من خلال ما ورد أن مُحَمَّد عبد المطلب وأحمد مطلوب تقاطعا كثيرا في بعض الشّواهد الشّعرية الّتي أصبحت قوالب جاهزة، فبمجرد أن يعرج الباحث على مبحث بلاغي إلّا وتجده بوعي منه أو بدونه يستدعي هذه الشّواهد، وتتداخل عدة عوامل في اختيار الشّاهد عند كلا منهما، وهيمنة الشّاهد الشّعري التّراثي واضحة من خلال العمليّة الإحصائية، فالعامل الزمني من أهم الضّوابط المتحكمة في اختيارات البلاغي المعاصر.

[1] أحمد مطلوب، البلاغة والتّطبيق، مرجع سابق، ص 180.

خاتمـــــــــة

توصلنا في نهاية هذه الدّراسة إلى نتائج تعلّقت بالشّاهد البلاغي، وقد كان تتبعنا للشّاهد البلاغي عند القدامى مفتاحًا لفك إشكالية الإتباع والابتداع الخاصة بالشّاهد البلاغي، وضوابط الاحتجاج به عند المعاصرين، ويجب أن نقرّ بجهود القدامى في بعث الدّرس البلاغي، ورسم معالمه ليصل إلينا بهذه الحلّة، وقد كان اجتهادهم نابعًا من الوازع الدّيني، فكان لهم الشّرف ونالوا المنزلة العاليّة جزاء بما قدموا، وجعل ذكرهم متداولا إلى يومنا هذا، وسار المعاصرون على دربهم فاجتهدوا في الاهتمام بالبلاغة وشواهدها وراوحوا بين التّقليد والتّجديد في الشّاهد البلاغي، وبهذا نالوا التّقدير وإننا لننحني تواضعًا أمام جهود علمائنا، وقد رمنا تحقيق بعض النّتائج والأهداف الملائمة لموضوعنا، فكانت النّتائج كالتّالي:

- الشّواهد في البلاغة تتّسع لتشمل المثال والحجّة، فهي يُؤتى بها للاستشهاد، ووضع القواعد البلاغيّة، وحتّى الدّلالة على قضيّة بلاغيّة، فهي بيّنة على صحّة تلك القضيّة، وقد تكون برهانًا قاطعا لها وإن كان باب النّزاع لا يُقفل، وقد أرجع الأندلسي هذا التّوسع في الشّاهد إلى كون البلاغة لا تبحث في القواعد بقدر بحثها عن المعاني.
- إنّ الإتباع والابتداع في الشّواهد يقابل التّقليد والتّجديد، ورغم أن مصطلح الابتداع يدّل على ابتكار شيء لم يكن موجودًا إلّا أنّه يمكن أن يشير إلى التّقليد في قضية الشّواهد البلاغيّة.
- إنّ الشّاهد البلاغي يختلف عن الشّاهد النّحوي المرتبط بالأطر الزمانيّة والمكانيّة، أمّا أهل البلاغة لم يميّزوا بين قبيلة وأخرى، ولم يجعلوا للإطار الزماني دورًا في تحديد الشّاهد البلاغي، وكانوا يستشهدون بكلام العرب على شرط توّفر النّواحي الجماليّة، وقدرة استمالة الشّاهد البلاغي للمتلقي وزيادة حدّ إذعانه، فلحجاجيّة الشّاهد الأثر البالغ في عملية الاستشهاد.
- نشأ الشّاهد البلاغي على مراحل زمنيّة مرتبطا بالبلاغة الّتي اتصلت في مراحلها الأولى بالذوق، فجاءت بداياتها عبارة عن ملاحظات ذوقيّة، ثم بدأت تميل إلى النّاحية التّحليليّة الّتي تجمع بين القاعدة والتّذوق، لتسير نحو النّضج وتتجه إلى التّقعيد على يد السّكاكي (ت 626هـ).

- استفاد العلماء كثيرا من الشّواهد البلاغيّة باختلاف أجناسها في إثراء المباحث البلاغيّة، وبيان مقاصدها كابن الأثير الّذي فصل القول في الفصاحة.
- استعان علماء البلاغة بالشّواهد في عديد القضايا البلاغيّة على غرار قضيّة اللّفظ والمعنى، والمجاز الّذي يعدّ من خصائص اللّغة العربيّة الّتي لا نظير لها، فكلام العربيّ قبل معرفته للقرآن يكتسحه المجاز، فكان ضربا من ضروبهم، وفنّا من فنونهم عرفوا المفهوم قبل المصطلح.
- برع الجرجاني في وضع نظرية النّظم وأفاض الكلام عنها، ولكن كان لزاماً عليه الاستعانة بالشّواهد البلاغيّة الّتي أصبحت فيما بعد دليلا، ولا ينكر أحد أنّ الجرجاني استفاد من آراء سابقيه، واستقى منها ما يخدم بحثه، ولكنّه أخذ بزيادة وليس مجرد اكتفاء، فكان بحق شيخ زمانه وزعيم البلاغيين بلا منازع، فقد دافع عن القرآن الكريم، ووضع نظريته الّتي شغلت معاصريه ولاحقيه، واستعان بشواهد بلاغيّة لتبيان مقاصده.
- اعتمد البلاغيون القدامى على الشّاهد في جدالهم وفي استشهادهم، فكان بذلك الحجة القاطعة الّتي تلجم أفواه المشكّكين، وتجعلهم ينتصرون في معاركهم الكلاميّة، وهكذا تعدّدت عوامل استدعاء الشّواهد منها العامل التّاريخي الّذي له دور مهم في استدعاء الشّاهد البلاغي، والعامل الدّيني والعامل الفني، والعامل التّعليمي.
- يعدّ العامل الفنّي من العوامل المهمة في حضور الشّاهد البلاغي، فالتّذوق الفني ضروري للمفاضلة بين الشّعراء، ولعلّ الأحكام في الفترة الأولى كانت ذاتية وفطرية، إلّا أنّها كانت التربّة الخصبة الّتي بنيت عليها القوانين الموضوعيّة فيما بعد، وكان الأدباء يحاولون أن يميّزوا بين الكلام جيّده من رديئه، فجعلوه مدار البلاغة، وكان لزاماً عليهم في حديثهم عن التّمييز بين الكلام استدعاء الشّواهد، والتّمثيل بها.
- يعتبر العامل التّعليمي من العوامل المهمّة في عمليّة استدعاء الشّواهد البلاغيّة، وقد عكف العلماء على استدعاء الشّواهد والتّمثيل بها لهدف ديني وتعليمي، ومع وصول البلاغة إلى مرحلة النّضج، أصبح لزاما التّأسيس لقواعد لها.

- واجه المصطلح البلاغي أثناء وضعه مجموعة من الصّعوبات من أهمّها البيئة الّتي نشأ فيها ولا تخرج عن دائرة الفرقة الكلاميّة والأصوليين، وتأثر البلاغة فيما بعد بالفلسفة والمنطق، ضف إلى ذلك اختلاف العلماء فيما بينهم نتيجة الانتماء المذهبي، وهذا ما جعل البلاغة تزخر بالكثير من المصطلحات لمفهوم واحد، فاتسعت رقعة البلاغة وتوسّعت حدودها، فكان المصطلح البلاغي يتأرجح بين عدّة مسمّيات إلاّ أن يستقر على واحد يحظى بالإجماع، وفي خضم هذا التّأرجح يكون للشّواهد الأثر البالغ في تحديد المصطلح ومفهومه.

- تفنن البلاغيّون في استخدام الشّواهد وكان هدفهم أسمى وهو خدمة القرآن الكريم، ولم تكن الفرق الكلاميّة هي الوحيدة الّتي اهتمت بالشّواهد البلاغيّة، ففئة المعلمين هي الأخرى وجهت أنظارها نحو الشّواهد، وقد كانت تهدف إلى التّلقين والتّعليم، فكان للبلاغة الحظّ الوافر من الاهتمام سواء من العامّة أو الخاصّة الّذين رغبوا في ركوب سفينتها، وهكذا بدأت المباحث البلاغيّة تستقيم، ليجد السّكاكي الطّريق المعبّد، فيقوم بتأسيس قواعد بلاغيّة، وجعل للبلاغة أقسامًا، فأرسى قواعدها وحصن بنيانها، وهكذا كان حضور الشّاهد ضروريًا للتّأسيس لهذه القواعد البلاغيّة.

- كان السّبق للقدامى في العديد من القضايا البلاغيّة، ولكن هذا لم يمنع المعاصرين من البحث في تلك القضايا وفق رؤية معاصرة بشكل إتباعي أحيانًا وابتداعي أحيانًا أخرى على مستوى المنهج وحتّى على مستوى الشّاهد.

- لا ينفك دارس البلاغة من التّعلق بالكتب البلاغيّة التّراثية الّتي تزخر بقضايا بلاغيّة متعددة، الّتي ما تزال تشغُل بال الدّارسين إلى يومنا هذا، وهذا ما جعلنا نرى طائفة من البلاغيين المعاصرين يعرضون نتاجًا تراثيًا، ولم يكلفوا أنفسهم عناء التّجديد على مستوى الشّاهد، فأصبحت الشّواهد عبارة عن قوالب جاهزة، ونحن لا نحط من قيمة القديم ولكن يجب أن يستمر الاجتهاد والبحث خاصة على مستوى الشاهد البلاغي.

- يوجد الكثير من القضايا البلاغيّة المعاصرة الّتي يمكن أن يتقاطع فيها الاتّباعيون والابتداعيون وخاصة إذا كانت النّقطة المشتركة في هذا التّقاطع هي الشّاهد الّذي يتميّز بالاتّساع والتّجدد والتّطور، فله ميزة الهلاميّة الّتي تمكنه من الاستمرار والتّعايش.

- تأثر الباحثون المعاصرون بالدّراسات البلاغيّة الغربيّة الّتي عرفت الجمود ووصلت إلى مرحلة السّقوط، لتظهر الدّراسات الحجاجيّة وتعيد البلاغة الغربية إلى الواجهة، وهكذا أثرى الباحثون العرب الحقل الحجاجي بدراساتهم المتشابكة مع التّراث حينًا، والمعاصرة حينًا آخر، فظهور الدّراسات الحجاجية تزامنًا مع ظهور الشّعريّة والتّداوليّة والأسلوبيّة وغيرها من المباحث الّتي رأى أصحابها أنّها الوريث الشّرعي للبلاغة، وحاولوا الاستحواذ على رقعتها.

- حضر الشّاهد البلاغي بقوة في القضايا البلاغيّة المعاصرة، واستعان به كثير من الباحثين خاصة في الدّراسات الشعرية والتّداولية والحجاجيّة.

- لم تختلف كثيرا دوافع استدعاء الشّاهد البلاغي عند المعاصرين، فكان للعامل الدّيني حضوره رفقة العامل التّاريخي، العامل الفني والعامل التّعليمي.

- يؤدي الشّاهد البلاغي عدة وظائف، تختلف من سياق لآخر، فكل بلاغي يجب أن يتسلّح بشواهد تكون حجته الّتي بها يُفحم الخصوم، ويُلفت نظر سامعيه، فتنوعت وظائف الشّاهد على حسب الغاية، فقد أدى الشّاهد البلاغي وظيفة الإقناعية والامتاعيّة في بعض الحالات.

- إنّ الوقوف على مسألة اختيار الشّواهد البلاغيّة مسألة شائكة في حدّ ذاتها، فاختيار الشّواهد يخضع لمعايير تتأرجح بين الاتّباع والابتداع، وقد تتداخل عدّة عوامل في تفضيل شاهد على آخر، فلذوق الباحث وتأثره بباحثين سابقين الأثر البالغ في قضية الاختيار، ناهيك عن البعد التّاريخي للشّاهد.

- يعتبر المعيار الدّيني من أهم المعايير المؤثرة في انتقاء الشّواهد البلاغيّة، لما يملكه من طاقة إبلاغيّة تفوق الشّواهد الأخرى، ولا جرم أن يعتمد البلاغيون الشّاهد الدّيني في تناولهم لعلم البلاغة، ومُحَمَّد عبد المطلب ينهج نهجا مماثلاً في اعتماده على الشّواهد الدّينيّة.

- يعد المعيار التّاريخي مركز الاختيارات للشّواهد، فالبلاغيون المعاصرون تأثروا بالمصنّفات التّراثية، ولا يُلام البلاغيون على تأثرهم بالتّراث الأدبي، لما يحويه من كنوز ودُرر أدبيّة، ويعتبر الشّعر من أجمل تلك الدُرر وأثمنها، فكلّما امتدت القصائد في الفضاء الزّمني البعيد كان لها الأثر البالغ على المتلقين، فيزيدها العامل التّاريخي طاقة جماليّة.

- لا بدّ للباحث في علم البلاغة من ضوابط في احتجاجه بالشّاهد البلاغي، وقد تختلف الضوابط من مبدع لآخر، فنجده يستدعي شاهدًا بلاغيًّا دون الآخر في احتجاجه لبعض القضايا البلاغيّة لتصبح قوالب جاهزة فيما بعد.

- يعتبر الضّابط الفنّي من العوامل المهمة في اختيارات أحمد مطلوب لشواهده البلاغيّة، زيادة على الضابط الزمني الّذي يعدّ بحق أهم الضّوابط فلطالما نظرنا بعين التّبجيل والتقديس للقديم .

- يجب على البلاغيين المعاصرين الاهتمام بالشّواهد المعاصرة باختلاف أجناسها الأدبيّة، وتوظيفها في حقل الدّرس البلاغي حتّى لا نحرم المتأخرين حقهم وننصفهم، ونجعل طلاب البلاغة يجتهدون ويكتشفون أسرار البلاغة بروح المعاصرة.

- يتحتم على الباحثين المزاوجة بين الشّواهد التّراثيّة والشّواهد المعاصرة حتّى نحيي القديم ونشير إلى الجديد، فلا نُبجل القديم إلى حد التّقديس ولا نُحرم من تذوق الجديد.

- ضرورة فتح المجال لاستخدام الشّواهد السّردية حتّى نضفي على البلاغة لمسة جديدة ونزينها بحلّة عصرية، كما يجب توسيع الاشتغال على الجانب الثّاني للبلاغة ونقصد الإقناع باقتحام الخطابات بأنواعها المختلفة وتحليلها بلاغيًا وباستخدام النّظريات الحديثة.

وعلى ضوء ما سبق، يكون عملنا قد أوشك على نهايته، راجين من المولى عزّوجل أن نكون قد ساهمنا في إثراء الدرس البلاغي ولو بالقليل، والوقوف على مسألة الشّاهد من المسائل الشّائكة، وحاولنا بقدر المستطاع الوقوف على العوامل والدّوافع المتدخلة في اختيار المعاصرين للشّاهد والاحتجاج به.

وأخيرا أتوجه بالشكر للمولى عزّوجلّ على توفيقه لنا في تتبع مجريات هذه الرسالة، رفقة أستاذي المشرف الدكتور **جلول بوطيبة،** الّذي كان سندا وعونا لي في إتمام هذا العمل ورفقة أستاذي الفاضل الدكتور **نورالدين دحماني** الذي أنفق من وقته وجهده الفكري لأجل تتبع محطات هذه الرسالة، فنتوجه لهما بالشّكر الجزيل، داعين الله أن يحفظهما وأن يجزيهما خير الجزاء، وهو العلي القدير.

قائمــة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

1- المراجع العربية

1- أدونيس، الشعرية العربية، دار الآداب، بيروت، ط2، 1989م.

2- الأزهر زناد، البلاغة العربية نحو رؤية جديدة، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1992م.

3- الأزهري، تح عبد الحليم النّجار، تهذيب اللّغة، الدّار المصريّة للتّأليف والتّرجمة، مصر، (د،ط)، (د،ت)، ج3.

4- أحمد طايعي، التواصل البلاغي من المصرح به إلى المسكوت عنه، منشورات زاوية،مطبعة أمنية، الرباط، ط1، 2008م.

5- أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع، دار الكتب العلميّة، لبنان، ط3، 1993م.

6- أحمد الشايب، الأسلوب دراسة بلاغيّة تحليليّة لأصول الأساليب الأدبيّة، مكتبة النّهضة المصريّة، ط8، 1991م.

7- الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام،تح عبد الرّزاق عفيفي، دار الصّميعي للنّشر والتّوزيع، السعودية، ط1، 2003م.

8- أمين الخولي، فن القول، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، (دط)، 1996م.

9- أنور الجندي، الفصحى لغة القرآن، دار الكتاب اللّبناني ، لبنان، 1982م.

10- اسماعيل بن حمّاد الجوهري، الصّحاح، تح أحمد عبد الغفور العطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط4، 1990م.

11- الباقلاني، إعجاز القرآن، تحقيق السّيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، (د ط)، 1971م.

12- بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان، بيروت، (د،ط)، 1987م.

13- أبوبكر العزّاوي، اللّغة والحجاج، منتديات سور الأزبكية، ط1، 2006م.

14- أبو البقاء الكفوي، الكليّات، تح عدنان درويش و مُحَّد المصري، مؤسّسّة الرّسالة للنّشر، لبنان، ط1.

15- البغدادي، خزانة الأدب ولُب لباب لسان العرب، تح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1989م، ج1.

16- جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2016م.

17- جلال الدّين السّيوطي، الاقتراح في أصول النّحو، تحقيق عبد الحكيم عطيّة، دار البيروتي، ط2، 2006م.

18- جميل حمداوي، التداوليات وتحليل الخطاب، مكتبة المثقف، ط1، 2015م.

19- أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، الصّناعتين، تحقيق مُحَّد البجاوي، مُحَّد أبو الفضل ابراهيم، دار إحياء الكتب العلمية، عيسى البابي الحلبي، ط1، 1952م، ص5.

20- أبو هلال العسكري، الفروق اللّغوية ، تح مُحَّد إبراهيم سليم، دار العلم و الثّقافة للنّشر والتّوزيع، مصر،1998م.

21- هناء حلاسة، بلاغة الحجة في خطاب الخلفاء الرّاشدين دراسة وصفيّة لنمادج خطابيّة، مركز الكتاب الأكاديمي، الأردنن ط1، 2016م.

22- ابن الوزير، المصفّى في أصول الفقه، دار الفكر المعاصر، لبنان، 1996م.

23- وليد قصّاب، من قضايا الأدب الإسلامي، دار الفكر، دمشق، ط1، 2008م.

24- الزّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس ، تح محمود محمّد الطّناحي، التّراث العربي ، الكويت، ط2، 1993م، ج28.

25- أبو زيد محمّد بن أبي خطاب القريشي تحقيق علي محمّد البجاوي، جمهرة أمثال العرب في الجاهلية والإسلام، دار النهضة، مصر، 1981م.

26- الزّمخشري، أساس البلاغة، تحقيق محمّد باسل عيون السّود، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 1998م، ج2.

27- الزّمخشري، الكشّاف، تح عادل أحد عبد الموجود– علي محمّد العوض، مكتبة العبيكان، الرّياض، ط1، 1998م، ج1.

28- الزّمخشري، الكشّاف عن حقائق التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل، دار المعرفة للطّباعة والنّشر، بيروت، ط3، 2009م.

29- الزّركشي، البرهان في علوم القرآن، تح محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار التّراث، القاهرة، (د، ت)، (د، ط)، ج 1.

30- أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريّا، مقاييس اللّغة، تح عبد السّلام محمّد هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1979م، ج3.

31- حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، دار الفكر العربي، القاهرة، (د ط)، 1998م.

32- حسن المودن، بلاغة الخطاب الإقناعي نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2014م.

33- حمادي صمود، التّفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوّره إلى القرن السّادس، منشورات الجامعة التونسية، 1981م.

34- حفناوي رشيد بعلي، مسارات النقد ومدارات ما بعد الحداثة في ترويض النص و تفويض الخطاب، دروب للنّشر والتّوزيع، عمان، ط1، 2011م.

35- طه عبد الرّحمن، اللّسان والميزان أو التّكوثر العقلي، المركز الثّقافي العربي، الدّار البيضاء، المغرب، ط1، 1998م.

36- طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط2، 2000م.

37- يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربيّة،: علم المعاني، علم البيان، علم البديع، دار المسيرة للنّشر والتّوزيع، عمان، ط1، 2007م.

38- كمال عزّ الدّين، الحديث النّبوي الشّريف من الوجهة البلاغيّة، دار اقرأ، بيروت، ط1، 1984م.

39- ابن كثير، البداية والنّهاية، مكتبة المعارف، بيروت، (د ط)، 1992م.

40- مُحَمَّد أحمد قاسم، محي الدين ديب، علوم البلاغة (البديع، البيان، المعاني)، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، ط1، 2003م.

41- مُحَمَّد ألتونجي، الجامع في علوم البلاغة المعاني، البيان، البديع، دار العزة والكرامة، الجزائر، ط1، 2013م.

42- مُحَمَّد بدري عبد الجليل، المجاز وأثره في الدّرس اللّغوي، دار النّهضة العربيّة للطّباعة والنّشر، بيروت، 1986م.

43- مُحَمَّد بركات حمدي أبو علي، فصول في البلاغة، دار الفكر للنّشر والتّوزيع، عمان، ط1، 1983م.

44- مُحَمَّد أبو زهرة، الخطابة أصولها، تاريخها في أزهى عصورها عند العرب، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، 1980م.

45- محمد حسن العماري، قضيّة اللّفظ والمعنى وأثرها في تدوين البلاغة العربية، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1.

46- محمد كريم الكوّاز، البلاغة والنّقد المصطلح والنّشأة والتّجديد، الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2006م.

47- محمد الكواز، علم الأسلوب مفاهيم وتطبيقات، منشورات جامعة السّابع من أبريل، (د ت)، (د ط).

48- محمد مشبال، البلاغة والأصول دراسة في أسس التّفكير البلاغي نموذج ابن جني، رؤية للنّشر والتّوزيع، القاهرة، ط1، 2016م.

49- محمد سمير نجيب اللّبدي، معجم المصطلحات النّحوية والصّرفيّة، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط1، 1985م.

50- أبو محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، شرحه ونشره السّيد أحمد صقر، المكتبة العلمية، (د، ط(، (د، ت).

51- محمد بن عبد الوهاب، مختصر سيرة الرّسول ﷺ، راجعه عبد الرحمان بن ناصر البراك، عبد العزيز بن عبد الله الرّاجعي، محمد العلي البراك، مطابع الفرزدق التّجارية، الرياض، (د ط)، (د ت).

52- محمد عبد الباسط عيد، في حجاج النّص الشّعري، دار أفريقيا الشّرق، المغرب، (د ط)، 2013م.

53- محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط1، 1994م.

54- محمد عبد المطلب، البلاغة العربيّة قراءة أُخرى، الشّركة المصريّة العالميّة للنّشر، مصر، ط2، 2007م.

55- محمد عبد المنعم خفّاجي – عبد العزيز شريف- علي علي صبح، الأدب الإسلامي : المفهوم والقضيّة، دار الجيل، بيروت، ط1، 1992م.

56- مُحَمَّد رمضان الجربي، البلاغة التطبيقية دراسة تطبيقية لعلم البيان، مكتبة الآداب، ط1، 2009م.

57- محمود توفيق سعد، القول البلاغي في بديع القرآن مراجعات منهجية، مركز تفسير للدّراسات القرآنيّة، (د ط)، (د ت).

58- أبو منصور الثّعالبي، فقه اللّغة وأسرار العربيّة، تح يحي مراد، مؤسّسة المختار للنّشر والتّوزيع، القاهرة، ط1، 2009م.

59- ابن منظور أبو الفضل جمال الدّين مُحَمَّد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، لبنان: دار صادر بيروت، لبنان، 1968م.

60- مصطفى بدر زيد، البلاغة التّطبيقيّة لطلاب المعاهد الدّينية، المطبعة الرّحمانيّة، مصر، ط1، 1926م.

61- مصطفى صادق الرّافعي، إعجاز القرآن و البلاغة النّبويّة، دار الكتاب العربي، ط9، 1973م.

62- مسعود صحراوي، التّداوليّة عند العلماء العرب، دراسة تداوليّة لظاهرة الأفعال الكلاميّة في التّراث اللّساني العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2005م.

63- النّبيسابوري الميداني، مجمع الأمثال، تح مُحَمَّد محي الدّين عبد الحميد، مكتبة السّنة المحمية، 1955م.

64- سامية الدّريدي، الحجاج في الشّعر العربي بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط2، 2011م.

65- السّيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المكتبة العصرية، بيروت، (د ط)، (د ت)

66- السّكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق نعيم زرزور، دار الكتب العلميّة، لبنان، ط2، 1987م.

67- ابن سنان الخفّاجي، سرّ الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1982م.

68- سعيد الأفغاني، أصول النّحو، المكتب الإسلامي، بيروت، 1987م.

69- علي بن مُحَّد السّيد الشّريف الجرجاني، التّعريفات، تح مُحَّد صديق المنشاوي ، دار الفضيلة، مصر،2004م.

70- عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، دار العارف، مصر، (د ط)، 1971م.

71- أبو العبّاس عبد الله بن المعتّز، البديع، موسوعة علوم اللّغة العربيّة، علم البلاغة، شرحه وحقّقه عرفان المطرجي، مؤسّسة الكتب الثّقافيّة، بيروت، لبنان، ط1، 2012م.

72- عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، مسكلياني للنشر، تونس، ط1، 2011م.

73- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، لبنان، ط2، 2007م.

74- عبد الهادي بن ظافر الشّهري، إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، ط1، 2003م، ص4.

75- عبد السّتار شيخ، عثمان بن عفان الحي السّخي ذو النّورين، دار القلم، دمشق، ط1، 2014م.

76- عبد العاطي غريب علي علام، البلاغة العربيّة بين النّاقدين الخالدين عبد القاهر الجرجاني وابن سنان الخفاجي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1993م.

77- عبد العالي قادا، بلاغة الإقناع دراسة نظرية وتطبيقية، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2016م.

78- عبد العزيز عبد المعطي عرفة، قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربيّة، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1985م.

79- عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم البيان، دار النّهضة العربيّة، بيروت، (د ط)، 1985م.

80- عبد العزيز عتيق، علم البيان، دار النهضة العربيّة للطّباعة والنّشر، بيروت، (د ط)، 1985م.

81- عبد العظيم إبراهيم مُحَمَّد المطعني، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، أطروحة دكتوراه، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، ج1، 1992م.

82- عبد القادر حسين، المختصر في تاريخ البلاغة، دار غريب للطّباعة والنّشر، القاهرة، (د ط)، 2001م.

83- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق مُحَمَّد رضوان الدّاية، فايز الدّاية، دار الفكر الإسلامي، دمشق، ط1، 1428هـ، 2007م.

84- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تحقيق محمود مُحَمَّد شاكر، دار المدني، جدّة، ط1، 1412هـ، 1991م.

85- عبد القادر زروقي، الشّعرية العربيّة (تفاعل أم تأثر)، دار الروافد الثّقافيّة، بيروت، ط1، 2015م.

86- عبد الرءوف بن مناوي، التّوقيف على مهمات التّعريف،تح عبد الحميد صالح حمدان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1990م.

87- عبد الرّءوف مخلوف، نوابغ الفكر العربي ابن رشيق القيرواني، دار المعارف، مصر،، (د ط)، 1946م.

88- عبد الرّحمان بن معاضة الشّهري، الشّاهد الشّعري في تفسير القرآن الكريم، مكتبة دار المنهاج، الرّياض، ط1، 2010م.

89- عبد الرحمن بن مُحَمَّد ابن خلدون،مقدمة ابن خلدون، تحقيق عبد الله مُحَمَّد الدرويش، مكتبة الهداية، دمشق، ط1، 2004م.

90- أبو عثمان عمرو بن الجاحظ، البيان والتّبيّين، تحقيق عبد السّلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1998م.

91- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السّلام مُحَمَّد هارون، ط2، 1965م.

92- أبو عثمان بن بحر الجاحظ، رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السّلام هارون، دار الجبل، بيروت، ط1، 1991م.

93- العلوي، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، تحقيق عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2002م.

94- علي الجارم، مصطفى أمين، البلاغة الواضحة اليان- المعاني- البديع، دار المعارف، (د ط)، 1999م.

95- علي بن عبد العزيز الجرجاني، الوساطة بين المتنّبي وخصومه، تحقيق مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم – علي مُحَمَّد البجاوي، المكتبة العصريّة، بيروت، ط1، 2006م.

96- علي عشري زايد، البلاغة العربيّة: تاريخها. مصادرها. مناهجها، مكتبة الشباب، المنيرة، (د، ط)، 1972م.

97- عيد المتعال الصّعيدي، البلاغة العالية –علم المعاني – مكتبة الآداب للّنشر والتّوزيع، القاهرة، ط2، 1991م.

98- فاضل صالح السمرائي، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، دار عمار للنشر والتوزيع، الأردن، ط3، 2003م.

99- الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تح مكتب تحقيق التّراث، مؤسّسة الرّسالة، لبنان، ط8.

100- الفرّاء، معاني القرآن، دار عالم الكتب ، بيروت، ط3، 1983م.

101- صلاح فضل، أساليب شعريّة، دار الآداب، بيروت، ط1، 1995م.

102-ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تح إبراهيم شمس الدّين، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط2، 2007م.

103-أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي، الموازنة بين البحتري وأبي تمّام، تحقيق أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ط4، 1992م.

104-قدامة بن جعفر، نقد النثر، دار الكتب العلمية، لبنان، (د ط)، 1870م.

105-الرّماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق مُحَمَّد خلف الله، مُحَمَّد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط3، 1976م.

106-ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشّعر وآدابه ونقده، حقّقه وفصله وعلّق حواشيه، مُحَمَّد محي الدّين عبد المجيد، دار الجيل، سوريا، ط5، 1981م.

107-شوقي ضيف، البلاغة تطوّر وتاريخ، دار المعارف، مصر، ط9، (د، ت).

108-شوقي ضيف، في النّقد الأدبي، مكتبة الدّراسات الأدبيّة، دار المعارف، ط9،القاهرة، 2004م.

109-الشّهرستاني، الملل والنّحل،تحقيق مُحَمَّد سّيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 1975م.

110-التّهانوي،كشّاف اصطلاحات الفنون، تح رفيق العجم – علي دحروج، مكتبة لبنان للنّشر، ط1، 1996م.

111-الخطيب القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، تحقيق عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي، ط2، (د، ت).

112-الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، تح عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2003م.

113-ضياء الدّين بن الأثير، المثل السّائر في أدب الكاتب والشّاعر، تح أحمد الحوفي وبدوي طبانه، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، مصر،ط2، (د، ت).

2- المراجع المترجمة:

1- فيليب بوطون، الحجاج في التواصل، ترجمة مُحَّد مشبال، عبد الواحد التهامي العلمي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2013م.

2- رومان ياكبسون، قضايا شعرية، ترجمة مُحَّد الولي ومبارك حنون، دار توبقال للنّشر، المغرب، ط1، 1988م.

3- المجلات والدوريـــات:

1- أحمد مطلوب، منهج السّكاكي في البلاغة، مجلة المجمع العراقي، بغداد، المجلد 10، 1962م.

2- حسن تمام، المصطلح البلاغي القديم في ضوء البلاغة الحديثة، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مجلد7، العدد: 3 و4، 1987م.

3- عبد الرّحمان رجاء الله السّلمي، منهج ابن الأثير في تناول الشّاهد الشّعري المثل السّائر أنموذجا، مجلة كلية الآداب واللّغات، العدد (19)، جامعة بسكرة، 2016م، ص212.

4- يحي جبر، الشّاهد اللّغوي، مجلّة النّجاح للأبحاث، المجلّد الثّاني، العدد السّادس، 1992.

.

فهرس الآيات القرآنيـــة

فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقم الآية	السورة	الصفحة
إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ	05	الفاتحة	150
غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ	07	الفاتحة	156
وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ	124	البقرة	150
أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ	175	البقرة	42
نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ	03	آل عمران	180
هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ	138	آل عمران	238
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ	136	النساء	181
وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ	35	المائدة	199
هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ	22	يونس	155

209	يونس	27	وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا
101	النحل	69	يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ
208	النحل	112	فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ
208	الإسراء	24	وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ
163	الإسراء	45	وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا
100	مريم	04	قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا
185	النور	29	بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ ۚ
239	القصص	24	وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ
144	الأحزاب	30	يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا
144	الأحزاب	32	يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ ۚ فَلَا تَخْضَعْنَ

			بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا
156	الأحزاب	72	إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ
42	الصافّات	65	طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ
209	الزُّمر	70	وَوُفِّيَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَا يَفۡعَلُونَ
79	غافر	13	وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗاۚ
209	الشورى	40	وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ
150	الحجرات	09	وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ
238	الرحمن	04	ٱلرَّحۡمَٰنُ ١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ
59	المطففين	03	وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ
99	الانشقاق	17	وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ

فهرس الأشعـــــــــار

البيت الشّـــعـــــري	اسم الشاعر	الصفحة
حرف الهمـــــزة		
يَرْمُونَ بالخُطَبِ الطوَالِ وتارةً وَحْى اللاحظِ خَشْيَة الرُّقباء		104
حرف البـــــاء		
إذا سَقَطَ السَّماءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ رَعَيْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا غِضَابَا	جرير بن عطية	77، 102
إليكَ أَشْكُو ربّ ما حلَّ بِي مِنْ صدّ هـذَا التائِه المُعْجبِ	العباس بن الأحنف	97
مبـارك الاسم أغرّ اللقب كريم الجرشي شريف النسب	المتنبي	120
لا يترك سوى انطباع مرّ بالغياب	أشبري	133
مـات والله سعيـد بـن وهـب رحـم الله سعيــد بــن وهــب	أبو العتاهية	157
طربتُ وما شوقًا إلى البيض أطربُ ولا لعبًا مني وذو الشيب يلعبُ	الكميت	159
إيه يا ليل هل شهدت المصابـا كيف ينصبُّ في النفوس انصبابـا	حافظ إبراهيم	169
إن الرجالَ لهم إليكِ وسيلة أن يأخذوك تكحَّلي وتخضَّبي	عنترة	199
ذهب الشباب فما له مـن عـودة وأتـى المشيب فـأين منه المهـرب		218
السيفُ أصْدقُ أنباءً من الكتبِ في حدّهِ الحدُّ بين الجدّ واللعبِ	أبو تمام	243
حـــــرف الدال		

فلا تحسَبَنِّي كافرا لك نِعمَةٌ عَلى شاهِدي يا شَاهِدَ اللهِ فاشْهَدِ		الأعشى	15
هُم الألى وَهَبوا للمَجْدِ أنفسهم فما يُبالُـونَ مَا نالــوا إذَا حُمِــدُوا			66
بمُقلَّص عَتَدٍ جَهيزٍ شَدُّهُ قَيْدَ الأَوَابِدِ والرِّهَانِ جَوَادٍ		الأسود بن يعفر	105
عذبة أنت كالطفولة كالأحلام	كاللحن كالصّباح الجديد	أبو قاسم الشّابي	170
فإنك كالليل الذي مُدركي	وإن خلت أنّ المنتأى عنك بعيد	النابغة الذبياني	202
اختصمَ الجُود والجمال	فيك فصارا ألي جِدال	أبي نواس	165
كأن التاج تاج بني هرقل	جلوه لأعظم الأعياد عيدًا	أيمن بن خزيم الأسدي	204
فللموت ما تلد الوالدة			163

حــــرف الهـــــاء

وَمَا مِثْلُه فِي النَّاسِ إلّا مُمَلَّكاً	أبُو أُمِّـهِ حَـيٌّ أَبُـوهُ يُقَـارِبُـهْ	الفرزدق	90
صُلْبُ العَصا بالضَّرب قد دَمَّاها			78
وكان في جاراته لا عهد له	وأيُّ أمـر سيّـئ لا فَعَلـه .		159
كَأَنَّ مُثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رَؤُوسِنَا * وَأَسْيَافُنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ		بشار بن برد	202
شيعوا الشمس ومالوا بضحاها	وانحنـى الشرق عليها فبكاها	أحمد شوقي	170

حــــرف الحـــــاء

آذار أقبل، قُم بنا يا صاحِ	حي الربيع حديقــة الأرواح	أحمد شوقي	252

حـــــرف الطـــاء

تَحلُّ عَنِ الرَّهْط الأمـــانيُّ عـادةً	لها من عَقِيــل في ممالكها رَهْـطُ	أبو العلاء المعري	194

حرف اليـــــاء

وكانت في حياتك لِي عِظَاتٌ	وأَنْتَ اليوم أوعظُ منك حَيًّا	أبو العتاهية	94
يا ابنَة الأَقْوَام إنْ شئتِ فلاَ	تَعْجَلي باللّوْم حتى تَسأَلي		106
كلُّ جيم جَثت جيفة تحْتوي		حسن طبل	232

حـــــرف الكـــــاف

يا دهرُ قوّمْ من أخْدَعيْك فقـد	أضْجَجْتَ هذا الأَنامَ من خُرُقِك	أبو تمام	46
شذاي الفرنسي .. هل أتملك		نزار قباني	131
يادارُ غيّرك البلى، ومحـــاك	ياليت شِعري ما الـذي أبلاكِ؟	اسحاق الموصلي	245

حـــــرف اللام

كَانَتْ مَوَاعِيدُ عُرْقُوبٍ لَهَا مَثَلاً	وَمَا مَوَاعِيدُهَا إلا الأَبَاطِيلُ	كعب بن زهير	19
أيقتلـــني والمشرفي مضـــاجعي	ومسنونـة زرق كأنيـاب أغـوال	امرؤ القيس	42
لَعَمْرُكَ ما أَهْوَيْتُ كَفي لِريبَـةٍ	ولا حَمَلَتْنِـــي نحْوَ فاحشــة رِجْلِـي	معن بن أوس	66
فإن تَهلكْ شنوءة أو تبدَّلْ	فسيري إنَّ في غَسَّان خالاَ	امرؤ القيس	68

وقد أغتدي والطير في وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل	امرئ القيس	76، 105
وَلِذَا اسْمُ أغْطِيَةِ العُيونِ جُفُونُها مِن أنَّها عَمَلَ السُّيُوفِ عَوَامِلُ	المتنبي	90
كَذَبْتُم، وبَيْتِ الله، إنْ جَدَّ مَا أَرَى لَتَلْبِسَنْ أَسْيَافُنــا بالأَنَامِـلِ	أبو الطالب	95
غدائره مستشزراتٌ إلى العلا تضل المداري في مثنى ومرسل	امرئ القيس	120، 212
يُنَادونِي وَخَيْلُ المَـوْتِ تجْرِي مَحَلُّــكَ لاَ يُعَادِلُـهُ مَحَـــلُّ	عنترة بن شداد	147
ذي المعالي فليعلوَنْ من تعالى هــكذا هكــذا وإلا فـــلا لا		174
وليلٍ كموجِ البحرِ أرخى سدوله عليَّ بأنواع الهموم ليبتلي	امرؤ القيس	201
كأنَّ قُلوبَ الطَّيرِ رَطْبًا ويَابِسًا لَدى وَكْرِها العُنَّابُ والحَشْفُ البَالي		223
صِدغ الحبيبِ وحالي كِلاهما كالليالي		217
أيُّها الطّلَلُ البالي	امرؤ القيس	224
مِكَرّ مِفَرّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعا كَجُلْمودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلٍ	امرؤ القيس	226
هَلْ تَعْرِفُ اليومَ رَسْمَ الدَّارِ والطَّللا كما عَرَفَتْ بجفنِ الصَّيْقَلِ الخَلَل	عمر أبي ربيعة	227
قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبيبٍ ومَنْزِلِ بِسَقْطِ اللّوى بَيْنَ الدّخُولِ فَحَوْمَل	امرؤ القيس	233
في فِتيةٍ من قريشٍ قال قائلُهم ببطنِ مَكّةَ لما أَسلمـوا زُولوا	كعب بن زهير	243

حـــــرف الميـــــــــم

"لنا الجفناتُ الغُرُّ يلمعن بالضُّحى	وأَسْيَافُنَا يقْطُرْنَ من نَجْدَةٍ دَمَـا	حسان بن ثابت	35
ألا هل أتى الحسـناءَ أنَّ حليلَها	بميسانَ يُسقى في زجاج وحَنْتَمِ	النعمان	38
فلو كنتُ مولى قيسِ عَيلانَ لم تَجِدْ	عَلَيَّ لمخلوقٍ مِن النَّاس دِرهَما	أبو قطن الغنوي	111
أَسَـرَّكِ لمـَّا صُرِّعَ القوْمُ نَشْوَةً	خُروجِيَ منها سالماً غيـرَ غَارِمِ	عمارة بن الوليد	97
إنْ تَغفـر اللهـمَّ تغفر جَمَّـا	وأيُّ عبـدٍ لـك لا ألمّـا	أبو خراش الهذلي	158
أعْوَامُ وَصْلٍ كادَ يُنْسي طولُهـا	ذكرى النَّوى، فكأنَّها أيّـامُ	أبو تمام	227
أحَلَّتْ دمي من غيرِ جرمٍ وحَرَّمَتْ	بلا سببٍ يومَ اللّقاءِ كلامي	البحتري	235
قواطنًا مكة من ورّقِ الحَما		رؤبة بن العجاج	224، 253

حـــــرف النـــــــون

"غير مأسوف على زمـن	ينقضي بالـهم والحزن		62
ودنا الفصح فالولائد ينظمن	سراعــاً أكلة المرجان	حسان بن ثابت	72
دقات قلب المرء قائلة له	إن الحياة دقائق وثوان	أحمد شوقي	123
ما كل ما يتمنى المرء يدركه	تجري الرياح بما لا تشتهي السفن	المتنبي	139
أبا هندٍ فَلَا تَعَجَل عَلَينـا	وَأنظِرنـا نُخَبِّرْكَ اليَقينـا	عمرو بن كلثوم	146
لاح منها حاجبٌ للناظرين	فَنَسُوا بالليل وضّاح الجبين	حافظ إبراهيم	151
وعالـم بعلمـه لـم يَعْمَلَـنْ	معذّب من قَبْلِ عُبّاد الوثَنْ		156

امتلأ الحوضُ وقال قَطْنِي			164
كَفى بِكَ داءً أَن ترى الموتَ شافيا	وحَسْبُ المنايا أن يَكُنَّ أَمانيا	المتنبي	168
رُبَّ ورْقَاءَ هَتُوفٍ فِي الضُّحا	ذَاتِ شَجْوٍ صَدَحَتْ فِي فَنَنِ		189
جاء تشرينُ، إنَّ وجهكِ أحلى	بكثيرٍ .. ما سرُّه تشرينُ؟	نزار قباني	190
يا حاصد النار من أشلاء قتلانا	منك الضحايا وإن كانوا ضحايانا	بدر شاكر السياب	252
إن العيون التي في طرفها حَوَر	قتلننا ثم لم يُحيين قتلانا	جرير	254

حرف السين

دع المكارم لا ترحل لبغيتها	واقعد فإنك الطاعم الكاسي	الحطيئة	139
مَشْمَخِرٌّ تَعلو لَهُ شُرُفاتٌ	رُفعت في رُءوس رَضوَى وقُدْسِ	البحتري	151
دعني وشُرْبَ الهَوى يا شارِبَ الكاسِ	فإِنَّني لِلَّذي حُسّيتُه حاسي	أبي تمام	228
أجارتنا إنَّ التعفف بالياس	وصبر على استدرارا دنيا بابـاس	ابن وهيب	255

حرف العين

ضَعِيفُ العَصَا، بادِي العروقِ، ترى له	عليها إذا ما أجدبَ الناسُ إِصْبَعَا.		78
وَإِذَا النِنيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظَافِرَهَا	أَلْفَيْتَ كلَّ تَمِيمَةٍ لاَ تَنْفَعُ.	الهذّلي	122
ولو أنَّ مَجدًا أَخْلَدَ الدهْر واحِدًا	مِنَ النَّاسِ أَبْقى مَجْدُهُ الدَّهْرَ مُطْعِما	حسان بن ثابت	168

خليطَينِ من شعبيْنِ شَتَّى تجاورَا قديمًا وكانا للتفرُّقِ أمتَعَا.		185
فنعلِنُ أنَّ الضيقَ اتّساعٌ	فاروق شوشة	220
فَخَرَتْ فَانْتَمَتْ فَقُلْتُ انظُرِيني ليسَ جهلٌ أَتَيْتُهُ بِبَدِيعٍ	الأحوص	226
هل يجلبَن إليّ عطفك موقف ثبت لديك أقول فيه وتسمع	البحتري	254

حرف الفـــــاء

والحبُّ ظَهْرٌ أَنت راكبُـــهُ فإذا صرفـتَ عِنـــانَـــه انْصَـرَفَـــا	أبو نواس	45

حــــــرف القـــــــاف

إنّ لنـا قلائصا حقائقا مستوثقات لو يجدن سائقا		99
بين برديك يا صبية كنز من نقـــاء معطر معشـوق		200
أصوغُ بها حُرّ الكلامِ لجزعلٍ مديحًا كعقـد اللؤلؤِ المتنـاسقِ	الرصافي	252

حــــــرف الـــــــراء

فَلَوْ إِذْ نَبادَهْرٌ، وَأُنْكِرَ صَاحِبٌ، وسُلّط أَعْدَاءٌ، وغَابَ نَصِيرُ	إبراهيم بن العباس	91
"بَلَغْنَا السَّمَاءَ، مَجْدُنَا وجُدُودُنا وإِنَّا لَنَرْجُو فَوْقَ ذَلِك مَظْهَرَا	النابغة الجعدي	95
هل تَعْرِفُونَ بِذِي بَهْدَى فَوَارِسَنَا يَوْمَ الْهُذَيْلِ بِأَيْدِي الْقَوْمِ/ مُقْتَسَرُ؟	جرير	96
شَدُّوا المطِيَّ على دَلِيلٍ دائبٍ مِن أهلِ كاظِمةٍ بسِيفِ الأَبْحُرِ		22
ثَانِيهِ فِي كَبِدِ السّماء، وَلَم يَكُنْ كَاثْنَيْنِ ثَانٍ إِذْ هُمَا فِي الغَارِ	أبو تمام	90

في كلّ شعـرٍ أنـت قائِلـه إن الـغنـاء لهذا الـشعرِ مـضـمـارُ	حسان بن ثابت	129
يا مُوقد النـار بالهنـديّ والغـارِ هيّجت لي حَزَنًا يا مُوقد النارِ		157
وإن صخـرًا لـوالينـا وسيدنـا وإن صخـرًا إذا نشتـو لنحـار	الخنساء	158
حَسْبُ المحبين في الدنيا عذابهم تالله لا عَذَّبتهم بعدها سَقرُ		159
شراعه النديّ كالقمر	السّياب	183
وَقَبْرُ حَرْبٍ بِمَكانٍ قَفْر وَلَيْسَ قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْر		211
كأنّ المُدام وصَوْبَ الغَمامِ وريحُ الخزامى ونَشر القطر		217
إذا أبو قاسِم جادَتْ لَنَا يَــدُهُ لم يُحْمد الأجودانِ: البحرُ والمطرُ	أحمد بن أبي طاهر	228
لجــة عنــد لجــة عنــد أخــرى كهضــاب ماجــت بها البيداءُ	أحمد شوقي	251
خــليليّ أنّ الأرض غربــال قــدرة تجمعت الأحياءُ بين إطــاره	الرّصافي	251
أضاعوني وأيّ فتـى أضاعوا ليومِ كريهـةٍ وسـدادِ ثَغْـرِ؟		254
فَدَعِ الوعيد فما وعيدك ضائري أطنين أجنحةِ الذُباب يضيرُ؟		255

حـــــرف التـــــاء

يا من سيسمع صوتي كلّما نعقت	مُحَمَّد عفيفي مطر	230
والمصابيحُ في غَبَشِ الفَجْرِ،	أحمد عبد	235

ملخص الأطـــــروحـــــــــة

الملخـــص بالعربيـــة

الكلمات المفتاحية: الشّاهد البلاغي، الاتّباع، الابتداع، الاحتجاج، الانتقــاء.

ملخــص الأطروحــة:

إنّ البلاغة العربيّة دينيّة النّشأة قرآنية المولد، فهي علم له أهميته وقدره وعلى الباحثين أن يحلوه المكانة اللائقة به، وبما أنّ التّجديد قضيّة تراثيّة، فقد فتح الكثير من العلماء بابه وعلى رأسهم عبد القاهر الجرجاني.

وحاولنا في دراستنا هذه تسليط الضوء على الشّواهد البلاغيّة لما لها من أهميّة في الدّرس البلاغي، فقيمة العالم تتجلى بمدى معرفته بالشّواهد، وتتبعها سواء عند القدامى أو المحدثين وملاحظة أثر اللّاحق بالسّابق، ومدى اعتماد البلاغيين المعاصرين على الشّواهد التّراثيّة، وإدراك الشّواهد المبتدعة في المصنفات الأدبيّة المعاصرة، والقيام بتحليل هذه الشّواهد، كما سنحاول أن نتطرق لوظائف الشّواهد عند القدامى والمحدثين وعوامل استدعائها ودوافع الاحتجاج بها.

الملخص بالإنجليزيـــة:

Key words: rhetorical witness, follow, innovation, protest, selection.

Thesis summary:

The Arabic rhetoric is religious in origin, Quranic in birth, as it is a science of its importance and destiny, and researchers must replace it with the rightful position, and since the matter of renewal is a heritage issue, many scholars have opened its door, headed by Abd al-Qaher al-Jarjani. In our study, we tried to shed light on the rhetorical evidence because of its importance in the rhetorical lesson, for the value of the world is reflected in the extent of its knowledge of the evidence, and its traceability, whether among the old or the modern, and noting the influence of the later on the pervious, and the extent to

which contemporary rhetoricians depend on the heritage evidence, and the perception of the evidence created in contemporary literary works. And carry out an analysis of these evidences, and we will also try to address the functions of evidence for ancient and modern scholars, the factors of their recall and the motives for invoking them,

فهـــــرس الموضوعات

الفهرس

مقـــدمـــة ....أ -ح

المدخل 13

تمهيد: 14

أوّلا: معنى الشّاهد: 14

ثانيًّا: المِثال والمِثل و المَثل 18

ثالثا: الاحتجاج 20

رابعا: الدّليل 22

خامسا: البرهان 24

سادسا البيّنة 27

سابعا: الإتّباع 28

ثامنا: الابتداع 31

الفصل الأول: الشّاهد البلاغي عند البلاغيين القدامى 34

المبحث الأوّل: المهاد التّاريخي للشّاهد البلاغي 35

1- نشأة الشّاهد البلاغي 35

2- مصادر الشّاهد البلاغي 56

-3 الشّاهد بين البلاغيّين والنّحويين: 60

المبحث الثّاني: قضايا الشّاهد البلاغي عند القدامى 64

تمهيد: 64

قضايا الشّاهد البلاغي عند القدامى 64

1- قضيّة اللّفظ والمعنى: 65

المبحث الثّالث: عوامل استدعاء الشّاهد البلاغي عند القدامى 93

تمهيد: ...93
-1عوامل استدعاء الشّاهد البلاغي ...93

الفصل الثّاني: الشّاهد البلاغي عند البلاغيين المعاصرين ...117

المبحث الأوّل: قضايا الشّاهد البلاغي عند المعاصرين ...118

تمهيد: ...118
1- القضايا البلاغيّة عند المعاصرين: ...118

المبحث الثّاني: دوافع الاحتجاج بالشّاهد البلاغي عند المعاصرين ...154

1- الدّافع الدّيني: ...154
2- الدّافع التّعليمي: ...162
3- الدّافع التّاريخي: ...167
4- الدّافع الذّوقي: ...172

المبحث الثّالث: وظائف الشّاهد البلاغي عند المعاصرين ...177

1- الوظيفة الإقناعيّة: ...177
2- الوظيفة الإمتاعيّة: ...184
2-2 الوظيفة الإمتاعية للشّواهد البلاغيّة: ...188
3- الوظيفة التّواصليّة: ...191
5- الوظيفة النّفعيّة: ...196
4- الوظيفة الإبلاغيّة: ...201

الفصل الثالث: الشّاهد البلاغي عند البلاغيين المعاصرين ...204

المبحث الأوّل: معايير انتقاء الشّاهد البلاغي عند مُحَمَّد عبد المطلب ...205

1- قضية اختيار الشّاهد عند مُحَمَّد عبد المطلب: ...205
2- خصائص الشّاهد البلاغي عند مُحَمَّد عبد المطلب: ...215

المبحث الثاني: منهج التعامل مع الشّاهد الشعري عند مُحَمَّد عبد المطلب: ...222

1- منهج التّعامل مع الشّاهد الشّعري عند مُحَمَّد عبد المطلب: ...222
2- الشّاهد الشّعري بين الجزء والكل: ...224
2- الشّاهد البلاغي بين الاستدلال التّقعيدي والتّحليل البياني: ...234

المبحث الثّالث: ضوابط الاحتجاج بالشّاهد البلاغي عند أحمد مطلوب ...237

1- ضوابط الاحتجاج بالشّاهد البلاغي: عند أحمد مطلوب (أو عوامل الاستدعاء): 237
2- منهج التعامل مع الشّاهد الشّعري عند أحمد مطلوب: 253

خاتمـــــة 257

قائمـة المصادر والمراجع 264

فهرس الآيات القرآنية 276

فهرس الأشعـــــــار 280

الملخـــص بالعربيـــة...291